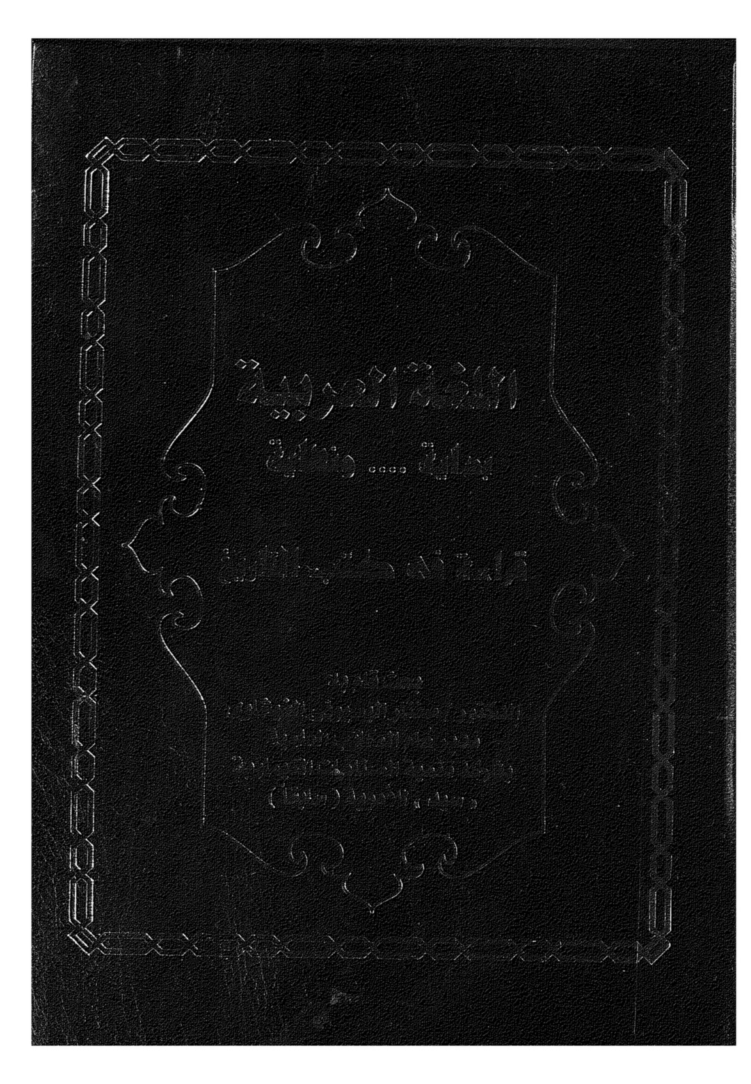
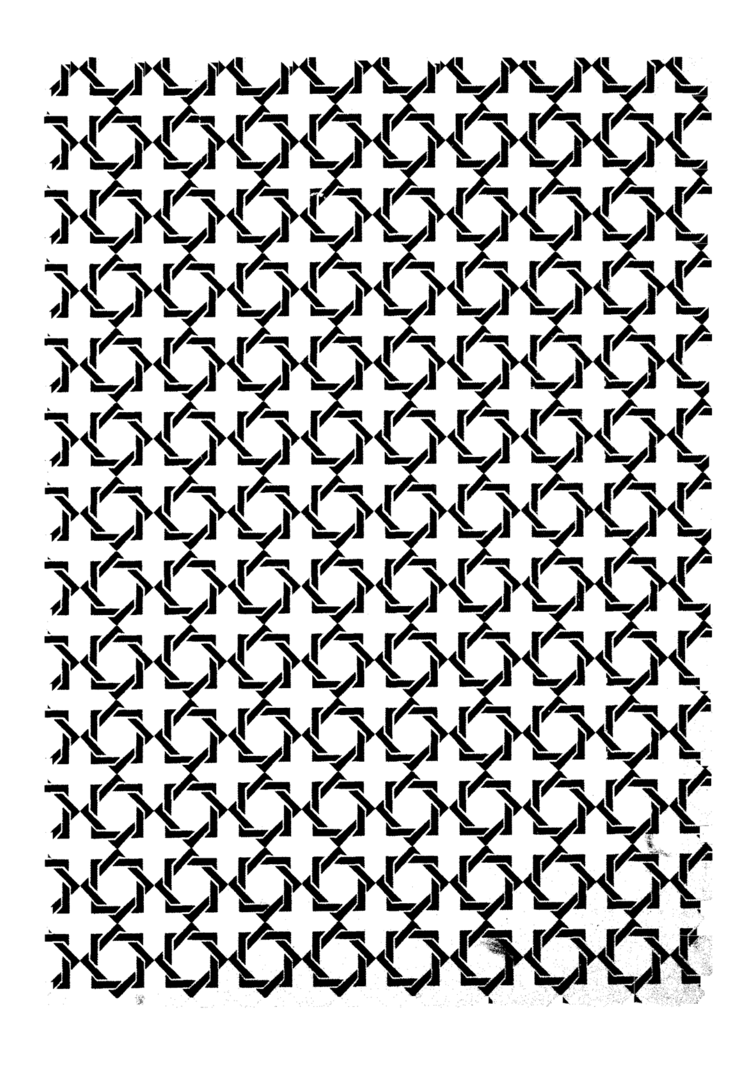
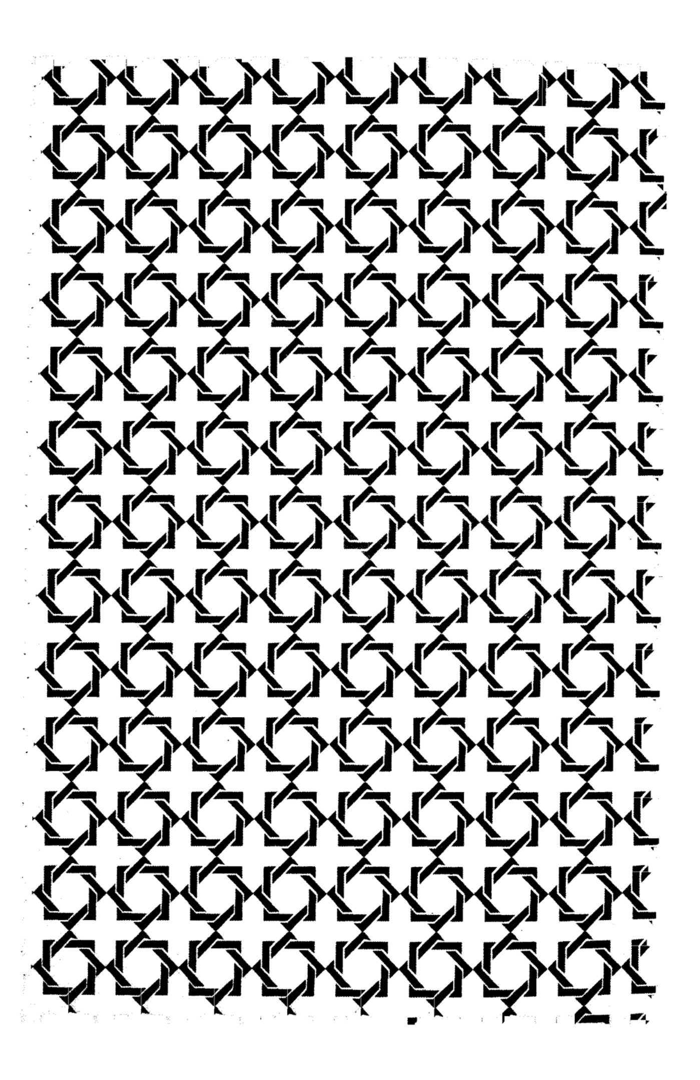
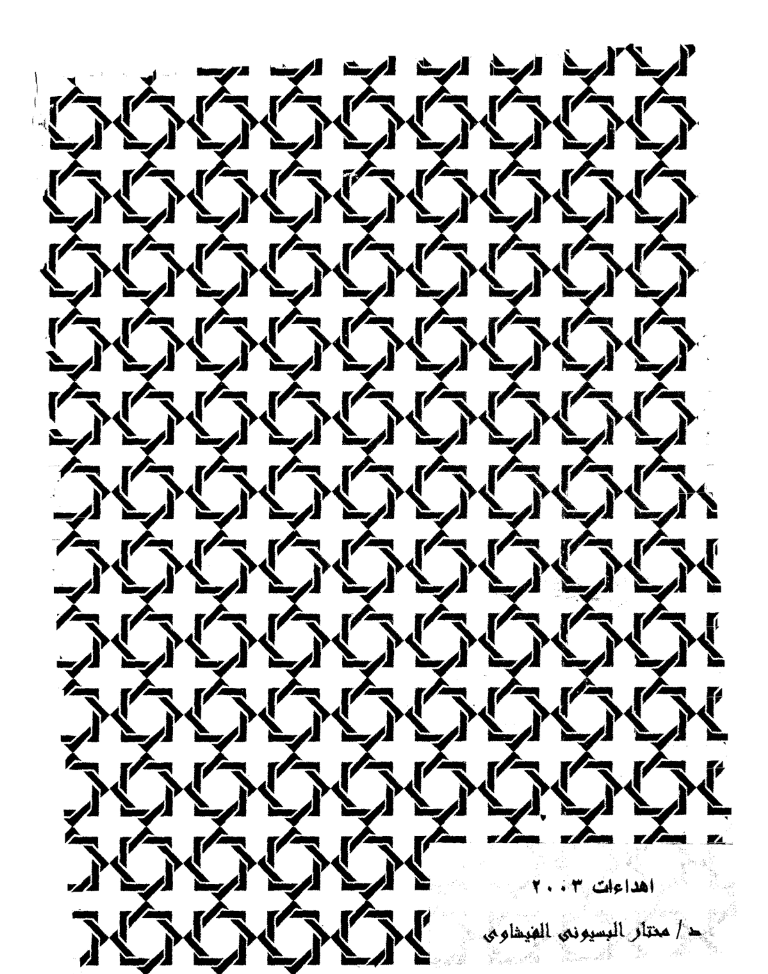

اللغة العربية







بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

اللغة العربية

بداية ..... و نهاية

قراءة في كتب التاريخ

" يقول الإمام محمد عبده "

(إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية و ركن من أركان اليقين فلابد من تحصيله.)

و يقول الأستاذ الدكتور طه حسين:

هل هذه اللغة العربية الفصحى التي أتى بها القرآن الكريم و الحديث الشريف و ما وصل إلينا من النصوص المعاصرة للنبي و أصحابه لغة قريش) ؟؟!!

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى القارئ

يشرفنى بأن أقدم لك كتابى هذا تحت عنوان :

اللغة العربية - بداية ونهاية

عبارة عن قراءة فى كتب التاريخ ليجيب على عدة أسئلة أعلم أنها كانت تشغل بالك من زمن طويل ها نحن نضع هذه الأجابة بين يديك .

١ - السؤال الأول هو الذى تفضل به أستاذنا الكبير عميد الأدب العربى د. طه حسين.

هل هذه اللغة العربية الفصحى التى أتى بها القرآن الكريم والحديث الشريف وما وصل إلينا من النصوص المعاصرة للنبى وأصحابه لغة قريش ؟؟

٢ - ما هى لهجات العرب قبل ظهور الأسلام ؟

٣ - هل كانت لديهم مدارس لتعليم لغة مشتركة قبل ظهور الإسلام ؟

٤ - ماذا يقول الأستاذ الكبير أحمد أمين فى كتابه فجر الأسلام عن مدارس مكة والمدينة بعد ظهور محمد عليه الصلاة والسلام ؟

٥ - يقول الله سبحانه وتعالى : (آلم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) ما هى هذه الآية والعلاقة ؟

٦ - ما هو تاريخ كل من اللغات القبطية والإنجليزية والفرنسية والألمانية ؟

٧ - متى بدأت الكتابة ؟ ومن الذى بدأها ؟ فى الزمن الأول ومتى بدآت فى العصر الحديث ومن الذى بدآها ومتى ظهر أول كتاب بالمعنى المعروف حديثاً ؟

٨ - من أول من كتب اللغة العربية ؟ وعلى أى شئ كتب ؟ وكيف حفظه ؟

٩ - كيف قراءة الأثار كنقوش ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا

و يقول سبحانه

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة العنكبوت الآية ٦٩

بحث قام به

الدكتور / مختار البسيونى الفيشاوي

مدير عام المكاتب العلمية

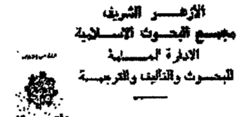
بشركة تنمية الصناعات الكيماوية

"سيد" للأدوية (سابقا)

نموذج رقم « ١٧ »

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الإسـلامية
الإدارة العـــامة
للبحـوث والتأليف والترجمـة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation





السـيد / د / المختار البسيوني الجنادي

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : الملحمة المصرية (رواية روائية)
تأليفكم / ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللــه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

تحريرا في ٨ / ذو القعدة / ١٤٢٧ هـ
الموافق ١١ / ١ / ٢٠٠٧ م

إدارة البحوث والتأليف والترجمـة



و الآن:

معنى كلمة لغة: أو تعريف كلمة لغة:

و ذلك من كتاب الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٥٧

اللغة: هي وسيلة الاتصال بين البشر في شكل أصوات منتظمة و هي السمة الفريدة التي يتميز بها الجنس البشرى (و هنا لنا تحفظ على الجنس البشرى فقط) ثم يضيف و لا نكاد تعلم شيئا عن أصل نشأهًا (نذكر هنا بقول الله سبحانه و تعالى من سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤

ثم يضيف كتاب الموسوعة العربية الميسرة، القول: غير أن العلماء يعتقدون أن الناس ظلوا يستخدموها منذ أمد بعيد، إذا قورن تاريخ الكتابة الذي لا يجاوز ٦٥٠٠ سنة عدّ ضئيلا بالنسبة لنشأة اللغة. و اللغات التي يتكلم بها الآن أدنى الشعوب ثقافة تتضمن من الظواهر العريضة الدقيقة ما يشبه تلك التي في لغات الشعوب المتمدينة، بل حتى في اللغات التي عرفت عن طريق أقدم الآثار، و بذلك تلك التي افترض وجودها و تألفت منها أشكال لم يظهر لها أي أثر يظهرنا على ما يعدّ أكثر بدائية مما هي عليه في العصر الحديث، و ينتمي كل فرد إلى جماعة لغوية تتكون من أولئك الذين يتكلمون لغة واحدة، يوجد الآن ما يجاوز ألفا من الجماعات اللغوية منها ما

يبلغ عدد المتكلمين بلغتها عدة ملايين و منها ما لا يزيد عددهم على بضع عشرات من الناس، و أليك مجموعة من اللغات مرتبة ترتيبا نزوليا، و عدد المتكلمين بكل منها أكثر من ٥٠ مليونا و هي الصين الشمالية، الإنجليزية، الروسية، الألمانية، الأسبانية، اليابانية، العربية، البنغالية، و يتكلم كثيرا من الناس أكثر من لغة، و أول لغة يبدأ المرء بتعلمها تسمى اللغة الأم أو اللغة الوطنية، و في هذه التسمية لعض التجاوز لان اللغات لا تورث بل تكتسب بالتعليم. و حين يتقن للمرء لغة أخرى يقال عنه ثنائي اللغة. و قد ينسى المرء لغة قومه بسبب الهجرة كما حدث لبعض الأوروبيين حين هاجروا إلى الولايات المتحدة، أو بسبب ضغط سياسي و إقتصادى و ثقافي كما حدث للهنود للحمر في أمريكا. و قد يؤدى ترك اللغة إلى اندثارها. و يختلف الأفراد في كلامهم أو طريقة نطقهم، و هذه الظاهرة لا تكاد تلاحظ في المحيط الضيق، و قد تكون واضحة جلية و تعد حينئذ لهجات للغة هذه الجماعة.

و يرى علماء اللغات في ضوء هذه الحقيقة و في ضوء التاريخ المعروف لعدة لغات، إن كل لغة دائمة التغير، و لكن الدليل المقنع لم يقم كاملا على وجود اتجاه عام لمثل هذا التغير بين اللغات و أدت عدة عوامل منها انتشار الكتابة– إلى نشأة لغة نموذجية في معظم الجماعات اللغوية الكبرى، هي اللغة الرسمية الخاصة التي يقال أنها نظريا لا تتعرض للتغير، و هي لغة المدارس التي يتوهم بعضهم أنها الأصل الذي منه تنحدر اللغة الدارجة و الحقيقة، إن اللغة النموذجية ليست إلا تطور لهجة محلية لها تأثير قوى، فاللغة الإنجليزية النموذجية اشتقت من لهجة لندن، و اللغة الإيطالية النموذجية استمدت منها اللهجة التوسكانية و كثيرا ما يعد استعمال اللغة النموذجية دليلا على

أدب المتكلم و حسن سلوكه. ففي أمريكا مثلا يعدّ اصطناع اللغة النموذجية و مراعاة قواعدها و إتباع النطق المقرَر لها من سمات الرجل المثقف. و قد يتأثر الكلام الدارج باللغة النموذجية فيصبح الكثير من أساليب الكلام الدارج دليلا على جهل المتكلم و انحطاط مركزه الإجتماعى، و تختلف النظرة إلى مستوى تلك الأساليب باختلاف المناطق و البيئات، فبعض ما يقبل في انجلترا يعد انحرافا ترفضه الأوساط الأمريكية و قد تختلف اللغة النموذجية الأدبية بعض الاختلاف عن لغة الكلام النموذجية السائدة بين المتعلمين في حديثهم العابر، أما الكلمات العامية التي تشيع بين أصحاب حرفة بذاتها و لا بفهمها غيرهم أو بين طلبة المدارس و الكليات فلا تعدو في اللغة الإنجليزية أن تكون مجرد اختلاف في محصول المرء من الألفاظ. و قد تصطنع بعض الهيئات لغة مساعدة، ليست مما يسمى اللغة الأم أو اللغة القومية، و تستعملها لأغراض بذاتها أو لظروف تطلبها مثل لغة التجارة التي اشتقت من اللغة الإنجليزية و شاعت في بعض الموانى الصينية. ومثل اللغة العالمية المصنوعة كالاسبرانتو وغيرها، ولا تلتزم الفروق بين اللغات طابعا بعينة، فاللغات التي يشبة بعضها في النظام والترتيب تعد ذات اصل واحد، وقد حددت الصلات بين اللغات تحديدا علميا في اغلب الحالات على أساس الناحية الصوتية في اللغة، مثل تنظيم الأصوات وتبويبها على شكل نماذج و أنماط، ذلك لان المقارنة بين اللغات على أساس الظواهر النحوية لم تكشف عن حقيقة علميه مؤكده.

وتُأليف مجموعات اللغات المتشابهة ما يسمى بالفصائل أو الأصول اللغوية، وقد اتجه الدارسون إلى فصيلتين هما:-

الفصيلة الهندية الأوروبية، والفصيلة السامية وخصوهما بعناية أكثر من غيرهما:-
وتقول الموسوعة العربية الميسرة ص١٥٥٩ تحت كلمة لغـــــة:-

لغة عربية:

إحدى اللغات السامية (نسبة إلى سام بن نوح علية السلام) ومنها الأراميه وفروعها السريانية والكلدانية فالأولى لغة بابل القديمة وأشور، والسريانية هي الكلدانية مع تغير في ألفاظها.هذا مع انقسام السريانية إلى سريانية شرقية وسريانية غربية، ومنها أيضا العبرانية وتتفرع عنها اللغة الفينيقية القرطاجية ثم تجيء اللغة العربية وهى اشهر اللغات السامية، وقد كانت قبل بعثة النبي عليه السلام محصورة في شبه جزيرة العرب.فلما ظهر الإسلام انتشرت فيما بين أواسط الهند وجبل طارق وما بين البحر الأسود وبحر العرب، تشهد بذالك حروفها وألفاظها المستعملة في لغات الترك والفرس والهنود وغيرهم، ومن اللغة العربية تتفرع لغات الحبشة و فروع أخرى.
و قد بدأت اللغة العربية تاريخها المعروف- كما تقول الموسوعة - بخصائصها المميزة لها اليوم في عصر سابق للدعوة الإسلامية، يرده علماء المقارنة بين اللغات إلى القرن الرابع قبل الهجرة. فعندهم انه لابد من أجيال طويلة تمضى قبل أن تصل اللغة العربية إلى هذه التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب وبين صيغ المشتقات أو بين أوزان الجمع و المثنى، و جموع الكثرة و القلة في الأوزان السماعية و لابد كذلك من أجيال طويلة يتم بها تكوين حروف الجر و العطف و سائر الحروف التي تدخل في ترتيب الجملة بمعانيها المختلفة و تنفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء و الأفعال التي تولدت عنها.

تتميز اللغة العربية بعدة مزايا تجعلها من ارقي اللغات، و هذه المزايا ظاهرة من تركيب حروفها على حدة إلى تركيب مفرداتها على حدة إلى تركيب قواعدها و عباراتها إلى تركيب اعاريضها وتفصيلها. فالأبجدية العربية بحروفها الثمانية والعشرين ليست أوفر عددا من الأبجديات في اللغات الكثيرة الأخرى، ولكنها ابلغ منها جميعا في الوفاء بالمخارج الصوتية، لأن كثيرا من هذه الحروف الزائدة إنما هو حركات مختلفة لحرف واحد، أو هو حرف واحد من مخرج صوتي واحد، بينما اللغة العربية إذ تعتمد على تقسيم الحروف على حسب موقعها من أجهزة النطق ولا تحتاج إلى تقسيمها بإختلاف الضغط على المخرج الواحد فتظل أوفر عددا في أصوات المخارج.
فإذا انتقلنا من الحروف إلى الكلمات رأينا أن الوزن هو قوام التفرقة بين أقسام الكلام، و إن اللغات السامية التي تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقات بالموازين التي تسرى على جميع أجزائها و توفق بين مبانيها و معانيها.
و من خصائص اللغة العربية أيضا أن الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشعرية المجازية و دلالتها العلمية الواقعية في وقت واحد بغير لبس بين هذه الدلالة أو تلك، فلا لبس بين الموضوع بمعنى الفكرة التي تبحثها بين الموضوع من الوضع في مكان محسوس، و بهذه الخاصية تتصل المفردات اللغوية بأشكالها المحسوسة و معانيها المعقولة في وقت واحد دونما لبس بين المحسوس و المعقول.
و الإعراب من مزايا اللغة العربية و يرى كثيرون من علماء المقارنة بين اللغات، إن اللغة العربية تفردت بين لغات العالم بهذه المزيه، مع شيوع أنواع من الإعراب في

بعض اللغات الهند – جرمانية، كاللاتينية و بعض اللغات السامية كالعبرية و الحبشية و بعض اللغات القديمة المهجورة كاللغة المصرية في عهد الفراعنة.

فالإعراب في العربية واف يعم أقسام الكلام أفعالا و أسماءا و حروفا، حيثما وقعت معانيها من الجمل و العبارات، بينما الإعراب في اللغات الأخرى لا يزيد على إلحاق طائفة من الأسماء و الأفعال بعلامات الجمع و الإفراد أو علامات التذكير و التأنيث.

و تنفرد اللغة العربية بين سائر لغات العالم بفن العروض (الشعر) الذي أدى إلى نشأة الشعر فنا كاملا مستقلا عن الفنون الأخرى، و المقصود بالفن الكامل للشعر الذي توافرت له شروط الوزن و القافية و أقسام التفاعيل في جميع بحوره و أبياته، فالشعر في كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الإيقاع و لا تلاحظ فيه القافية و لا الأوزان المقررة. و ليس أدل على مزية فن العروض من أن شعراء الفرس اقتبسوا أوزان العروض العربية و فصلوها على الأوزان التي أخترعها لهم الموسيقيون، و كذلك اقتبس شعراء اللغة العبرية أوزان العروض العربية بعد اتصالهم بالعرب، و لم يكن للعبريين قبل ذلك شعر موزون.

و ثمة ظاهرة في اللغة العربية بشكل واضح و هو انقسامها إلى عامية و فصحى.

فالأولى: هي لغة التخاطب بين الناس أو اللغة الدارجة التي تستعمل في أغراض البيع و الشراء و ما اليهما.

و الأخرى أو الثانية: هي لغة الأدب و الدرس، و هي اللغة الرسمية التي تستعمل في التعليم و في الدواوين و بين الاثنين بون شاسع و فرق كبير.

و الأخرى هي لغة جعل بعض الباحثين يذهب إلى ضرورة إيجاد لغة ثالثة تقف بين اللغتين، فلا تجنح إلى تقعر اللغة الفصحى و لا هبط إلى تبذل اللغة الدارجة، و إنما تتميز بالسهولة و البساطة، فتصلح في مخاطبة السواد الأعظم بين الشعب و هو ما يلاحظ اليوم في مقالات الصحف و أحاديث الإذاعة و برامج التلفزيون و معظم المسرحيات الأدبية التي تقدم على المسرح.

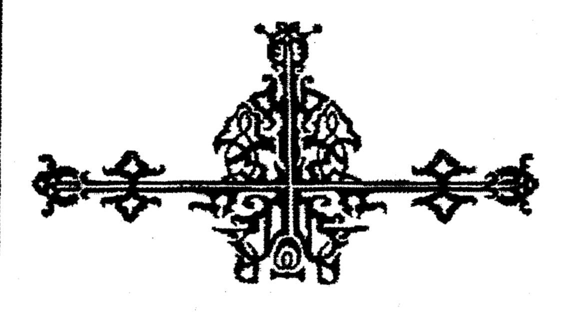
(يلاحظ هنا انه استعمل للدلالة على اللهجة العامية التي يتكلم بها السواد الأعظم من الناس كلمة لغة و الصحيح كلمة لهجة) حيث أن هذه اللهجات المختلفة تختلف بين أبناء كل بلد عربي عن الأخرى بل كل منطقة عربية داخل القطر نفسه عن المنطقة التي تجاورها).

ثم يضيف كاتب الموسوعة العربية الميسرة: انه لا تزال المعركة قائمة بين المحافظين الذين يتمسكون بالفصحى أداة للتعبير الأدبي وبين أنصار التجديد ممن ينادون باستخدام اللغة الدارجة (نفس الخطأ الذي سبقت الإشارة إليه) سواء منهم من يقصرها على الحوار او من يعممها في الكتابة، ومما يميز اللغة العربية كذلك تفردها بحروف الضاد بين سائر لغات العالم بحيث أصبح هذا الحرف علما عليها فيقال فيها "لغة الضاد" ويقال في الناطقين بها "الناطقون بالضاد"(انظر لهجات عربية).(بينما نرى أن الأصح و الأسلم أن تقال أنها لغة الألف حيث أن الألف هو الحرف الذي لم يذكر في أي لغة أخرى غير لغة القرآن الكريم و جاء ذكره في الحروف المقطعة خاصة.

دار الرشيد للنشر

ملامح من تاريخ اللغة العربية

د. احمد نصيف الجنابي



و الآن:

مسيرة اللغة العربية
من أقدم العصور حتى عصر القرآن
من كتاب " ملامح من تاريخ اللغة العربية"
الأستاذ الدكتور / أحمد نصيف الجنابى
صادر من دار الرشيد للنشر
الجمهورية العراقية. وزارة الثقافة عام ١٩٨١
سلسلة دراسات (٢٥٦)

اللغة العربية و اللغات السامية:

اللغة السامية:- يسمى بهذا الاسم مجموعة من لغات آسية و افريقية و لا يزال بعضها حيا إلى اليوم، أما الأخر فقد مات. و نعني بهذه اللغات العربية و الفينيقية و، والآرامية، والآشورية، والعبرية والحبشية.

وقد سميت هذه اللغات باللغات السامية لأول مرة في نهاية القرن الثامن عشر، عندما كان يبحث " شوتسر" "**Schtozer**" عن تسمية مشتركة للعبريين و العرب و الأحباش، الذين توجد بين لغاتهم صلات القرابة (على وجه التحديد، سنة ١٧٨٧ م) استنادا إلى جدول الشعوب في الإصحاح العاشر من سفر التكوين (من أسفار التوراة) من كتاب فقه اللغات السامية/ ١١.

و صلات القرابة بين اللغات السامية، صلات وثيقة نوعا ما و هي – على أية حال – أوثق منها بين اللغات (الهند – أوروبية) ثم يضيف الكاتب:

حقا لا يجوز للمرء أن يعد هذه اللغات لغة واحدة لا اختلاف بينها، لأنه إذا استحال في دائرة ضيقة أن يتكلم شخصان – بالطريقة نفسها – لغة واحدة، فان ذلك يستحيل من باب أولى بالنسبة للمجموعات البشرية الكبيرة، التي لا يتصل بعضها ببعض كثيرا.

الخصائص المشتركة بين العربية و اللغات السابقة:-

و يمكن بسهولة إدراك خصائص اللغات السامية و مميزاها، و من بين هذه الخصائص: كثرة الأصول الثلاثية أو المهنية قياسا على تلك الأصول، و وجود الزمنيين الرئيسيين لحدوث الفعل و تغير الدلالة بتغير حركات الكلمة الداخلية و فيما عدا ذلك نلاحظ المشابهة في الموازين الاسمية و الفعلية، و كذلك اتفاق وضع الضمائر و طريقة استعمالها، و صيغ الفعل و المشابهة الكبيرة إلى حد كبير في تراكيب الكلام و بناء الجمل و أخيرا كثرة المفردات المشتركة بين هذه اللغات.

و قد جاء العرب كما يقول المؤلف – إلي أرض الحضارة في أخر موجه من موجات هجرة الشعوب السامية وورثت لغتهم كل اللغات السامية الأخرى تقريبا.

و تتقابل اللغة العربية مع اللغة الحبشية – تحت أسم السامية الجنوبية الغربية و اللهجات الكنعانية و الآرامية تحت أسم السامية الشمالية الغربية ، و تفترق الأولى عن الثانية في احتفاظها الكامل بالأصوات الأصلية ولاسيما أصوات الحلق (و هي ستة: العين و الحاء و الهاء و الخاء و الغين و الهمزة). و أصوات الصفير (و هي ثلاثة: الزاي و السين والضاد) المختلفة الدرجة) كما أنها تختلف عنها كذلك في

احتفاظها التام بالحركات القديمة، و طريقة بناء الصيغ في السامية الأم ، وتوجـــد في العربية في أرقى مراحل تطورهـــا ، وقـــد وســـعت كـــل امكانـــات الاســـتعداد الأصـــلي تقريبـــا ، وبـــذلك زادت قـــدرة اللغـــة علـــى التعـــبير بالأفعـــال زيادة كبيرة .

أهمية معرفة اللغات السامية في البحث اللغوي

يقول المؤلف: مادامت اللغة العربية واحدة من مجموعة اللغات السامية، فان دراســـة اللغات السامية ودراسة العربية موازنة بالساميات تؤدى إلى نتائج مفيدة في البحـــث اللغوي، بقدر ما هي نتائج سليمة إلى حد كبير واهم الفوائد التي يجنيها الباحث مـــن دراسة اللغات السامية وهـــــــــــــي:

١- معرفة التطور اللغوي: يقول فقد قرأ " عبد الله بن مسعود" الصحابي الجليل للآية ٦١ من سورة البقرة ....

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا

قرآها (وثومها) فما أصل الكلمة في العربية ؟؟!! أهي بالثاء أم بالفاء ؟؟ ثم يقول إن العارفين باللغات السامية قالوا: إن حرف الشين في العبرية التي تقابل "تـــا" في الآرامية تقابل " ثاء" في العربية (انظر مثلا: فصول في فقه العربية /٣٢) وتلك

قاعدة مطردة في مقارنة أصوات اللغات السامية. فكلمة (شوم) في العبرية هي (توما) في الآرامية و (ثوم) في العربية، ومعنى هذا إن اصل الكلمة في العبرية بالشاء، و أما الفاء فهي تطور عنها، و قد جاءت كلمات كثيرة في العربية، و تعاقبت فيها (الثاء) و (الفاء) مثل:

الحثالة	الحفالة	الرديء من كل شيء
اللثام	اللغام	ـــــ
فلان ذو ثروة	فورة	أي كثرة
ثلغ رأسه	فلقه	إذا شدخه
غلام ثوهد	فوهد	هو الناعم
ألأثاثي	الأثافي	الأولى لغة تميم
ثم	فم	حرف العطف

و هناك أمثلة أخرى حفلت بها كتب اللغة لاسيما كتب الإبدال .. (أنظر: كتاب المزهر ١/٤٦٥)

٢- معرفة الحروف الأصلية و الزائدة.

٣- معرفة الكلمات المركبة.

و يضيف : الخلاصة أن معرفة اللغات السامية ذات أهمية قصوى في دراسة اللغة العربية، لكشف مراحل التطور في الأدوات و معرفة الحروف الأصلية من غيرها و معرفة الأدوات المركبة، و تفسير مجموعة من الظواهر اللغوية. (و لنا هنا رأي نود أن

نظهره أنه أتخذ اللغة العبرية مقياسا لقياس اللغة العربية. و كما سيتضح فيما بعد و النص القرءاني كما يلي:

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾

و عن اللغة العربية و لهجاتها:

يقول أشرنا في الفصل الأول من كتابه المعنون (ملامح من تاريخ اللغة العربية) أن اللغات السامية التي تفرعت عن اللغة الأم، اتفقت في صفات و خصائص، و لكنها اختلفت في أخرى، نتيجة لاختلاف الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات و العوامل المختلفة التي خضعت لها فأثرت في لغاها، و عملت فيها عوامل التطور وهي تحكم كل لغات العالم، و عوامل التطور أثرت كذلك في اللغة العربية، فنشأت لهجاها، و إن كنا نعرف أيضا أن اللغة العربية قد تطورت تطورا أخر حيث نشأ بمرور الزمن ما يسمى " باللغة المشتركة " و الاتجاه الأول حدث في اللغة اليومية " التي يتحدث بها العرب في الشئون العامة و الخاصة.

أما الاتجاه الأخر فهو الذي امتازت به " لغة الشعر" إذ أنه وصل إلينا بهذه " اللغة المشتركة" و هي تكاد تخلو من اللهجات و هي ما تسمى " بالفصحى" " أي اللغة الفصحى ".

ثم يضيف: فاللغة العربية الفصحى ليست لغة قريش ولا لغة غيرها من القبائل إنما هي اختيار لا شعوري من لغة هؤلاء و هؤلاء ، حدث من احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل في مواسم الحج و التجارة أو الأسواق الأدبية المختلفة فنتج عن هذا الاحتكاك الكبير بين القبائل ذلك الكيان اللغوي الذي عرفناه باسم " اللغة الفصحى" و هي اللغة المشتركة بين أدباء هذه القبائل جميعا ينظمون بها شعرهم و يعبرون بها عما يجيش في صدورهم في ساعات الجبر كمواقف الخطابة مثلا (و هل كان لديهم خطابة؟) و مع هذا يمكننا القول – كما يقول المؤلف- أن لهجة قريش تضرب في مميزات هذه اللغة الفصحى بسهم وافر إذ لم يرو لنا عن هذه اللهجة شيء يخالف ما نعرفه عن العربية الفصحى، سوى إنها لم تكن همز في كلامها، و قد اختارت "الفصحى" ظاهرة الهمز من لهجة تميم. و لذلك لا نعجب إذا رأينا بعض اللغويين العرب يجعل العربية الفصحى مرادفة للهجة قريش، فيقول أبن فارس مثلا (أجمع علماؤنا بكلام العرب و الرواة لأشعارهم و العلماء بلغاهم و أيامهم و محالهم أن قريشا أفصح العرب السنة، و أصفاهم لغة و ذلك أن الله جل ثناءه اختارهم من جميع العرب و اصطفاهم و اختار منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه و سلم فجعل قريشا، قطان حرمه ، و جيران بيته الحرام و وولاته، و كانت وفود العرب من حجاجها و غيرهم يفدون إلي مكة للحج و يتحاكمون إلي قريش في أمورهم، و كانت قريش مع

فصاحتها و حسن لغاتها و رقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب يميزوا من كلامهم و أشعارهم أحسن لغاتهم و أصفى كلامهم، فأجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلي فصاحتهم و طلاقتهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب (كتاب الصاحي /٥٢) ، كما يروى السيوطي عن الفراء أنه قال: كانت العرب تحضر الموسم في كل عام و تحج البيت في الجاهلية و قريش يسمعون " لغات " جميع العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب، و خلت لغتهم من مستبشع اللغات، و مستقبح الألفاظ، و تدرج اللغويون العرب على تلقيب كل لهجة من اللهجات العربية تقريبا (هذه هي التسمية الصحيحة للقول السابق الإشارة إليه بكلمة " لغات") من لهجة قريش بلقب يدور في مؤلفاتهم و يحاولون شرح هذا اللقب أو ذاك فيغمض بعضهم و يختلفون فيما بينهم في عزو هذا اللقب و ذاك إلى هذه القبيلة أو تلك. و فيما يأتي هذه الألقاب مرتبة ترتيبا أبجديا، ألفا بائيا (من كتاب فصول في فقه اللغة /١٠٢ و ما بعدها)

١- الإستنطاء: روي هذا اللقب عن لهجة سعد و بكر و هذيل و الأسد و قيس و الأنصار و هؤلاء من قبائل اليمن عدا هذيل كما روي انه لغة أهل اليمن، وهو عبارة عن جعلهم " العين الساكنة " " نونا" إذا جاورت الطاء، هكذا تقول المصادر (من كتاب لهجات العرب للعلامةأحمد تيمور/١١٣) غير أنه لم تمثل له إلا بمثال واحد و هو " أنطي" بدلا من " أعطى".

٢- القلقلة: هذه الظاهرة عبارة عن كسر حرف المضارعة " أنا أعلـــم " " و نحن نعلم، و أنت تعلم و هو يعلم " و ما إلي ذلك، وهي لقب لقبيلـــة " بهراء " من كتب الخصائص ١١/٢، و خزانة الأدب٥٩٦/٤، و لهجات العرب/ ٨٦ .) و قد عزاها صاحب " لسان العـــرب" الي كـــثير مـــن القبائل العربية، فقال " و تعلم " بالكسر لغة قيس و تميم و أسد و ربيعة و عامة العرب.

٣- الشنشنة: روت المصادر هذا اللقب منسوبا إلي لغة اليمن، و رواه ابن عبد ربه لقبيلة تغلب و هو عبارة عن جعل الكاف شينا مطلقا فقد سمع بعض أهل اليمن في عرفة يقول " لبيش اللهم لبيش" أي " لبيك اللهم لبيك.

٤- الطمطمانية: يعزى هذا اللقب إلى طيء و الأزد و إلي قبائـــل حمـــير في جنوبي الجزيرة العربية، و هو عبارة عن إبدال لام التعريـــف " ميمـــا " فيقال مثلا " طاب امهواء" و صفا أمجـــو، أي طـــاب الهـــواء و صـــفا الجو، و هكذا.

٥- العجرفية: و رد هذا اللقب في قول " تغلب" ارتفعت قريش في الفصاحة عن " عنعنة" تميم و تلتلة " بهراء" و" كشكشة" ربيعـــة و"كسكســـة" هوازن " و تضجع " قيس " عجرفية" ضبه، و قد نسبه ثعلب كما نرى لقبيلة " ضبة" و لم يفسره أو يشرحه و هكذا.

٦- العجعجـــــــــة

٧-العنعنـــــــة

٨- الغمغمــــــة

٩- الفخفخـــة

١٠- القطعة(و هو عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامة)

١١- الكسكسة (و هي إبدال كاف المخاطب سينا)

١٢- الكشكشة (و هي عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف ســينا أو إلحاقها شينــــــاً).

و بعد بحث طويل في هذين العنوانين الأخيرين، يقول: و هذه الازدواجية التي حدثت للكاف العربية في هذه اللهجات حدثت للجيم السامية في العربية الفصحى أي أن الأصل في صوت الجيم هو عدم التعطيش، و قد تطور صوت الجيم في الفصحى عن نطق يشبه نطق المصرين لهذا الصوت.

١٣- اللخلخانية: و لم يعرف معناه على وجه التحديد قديما.

١٤- الوتم: و هو عبارة عن قلب " السين " " تاء".

١٥- ألوكم: و عبارة عن كسر الكاف من ضمير المخاطبين المتصل " كم " إذا سبق بكسرة أي ياء فيقولون " ربكم في ربكم و عليكم في عليكم "

١٦- الوهم: و هو عبارة عن كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل (هـــم، مطلقا، فيقولون "عنهم، عنهم، و بينهم، في منهم، عنهم و بينـــهم " (مـــن كتاب المزهر ٢٢٢/١) و كتاب لهجات العرب /١١١) ثم يقول صـــاحب الكتاب د. أحمد نصيف الجنابي: لابد أن نقرر هنا إن قســـمان مـــن تلـــك

اللهجات الخاصة، قد دخل اللغة العربية الفصيحة فكسر حرف المضارعة (القلقلة) سمة أصيلة من سمات اللغة الفصيحة.

و كسر الهاء من ضمير الغائبين و هو " الوهم" أصبح جزءا من القراءات القرآنية الصحيحة " السبعية" لا الشاذة (من كتاب السبعة/ ١٠٩) و بذلك أصبحت هذه اللهجات و ما شاكلها جزء لا ينفصم من اللغة المشتركة.

اللغة العربية المشتركة:

ثم يضيف الكاتب د. أحمد نصيف الجنابي في الفصل الثالث من كتابه تحت عنوان اللغة العربية المشتركة:- النصوص اللغوية الصحيحة التي وصلت إلينا، تضع أمامنا حقيقة كبيرة لابد أن نقف عندها طويلا، و هي إن اللغة العربية الفصحى قلما تتضمن نصوصا متصلة باللهجات و لاسيما تلك اللغة الأدبية مثل لغة الشعر، و حينما ندرس نصوص اللغة الأدبية نجدها تمثل لغة موحدة منسجمة لا تكاد تتضمن شيئا عن تلك الروايات المنسوبة إلى لهجات العرب.).

و هذه اللغة التي اصطنعها الشاعر و الأديب هي بمثابة اللغة المشتركة التي انتظمت جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، فقد كان يتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عما يجول بخاطره، كما كان يتخذها الخطيب للتأثير في سامعيه سواء أكان الشاعر أو الخطيب من قريش أو تميم أو غيرها من قبائل العرب، فان خاصية اللغة المشتركة الأساسية، إنها

لغة وسطي تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعا، و قد نشأت اللغة المشتركة و نمت و ازدهرت قبل الإسلام (؟!!) .

و يرى الدكتور/ أنيس أن أقدم ما نستطيع تصوره في شأن شبه الجزيرة العربية، هو أن نتخيلها و قد انتظمتها لهجات محلية كثيرة، انعزل بعضها عن بعض، و استقل كل منها بصفات خاصة، ثم كانت تلك الظروف التي هيأت لبيئة معينة في شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها ثم ازدهارها و التغلب على اللهجات الأخرى. (من كتاب مستقبل اللغة العربية المشتركة/٧).

و هذا يعنى انه قد جدت عوامل مختلفة حملت أهل هذه اللهجات على التقارب و الاختلاط، فأدى ذلك إلى نشأة اللغة المشتركة التي يتفاهم بها الناس جميعا و إن انتموا إلى قبائل مختلفة ؟؟!!!

و في كل بلاد العالم لابد للغة المشتركة من مكان متميز تنشأ فيه و أسباب و ظروف معينه تساعد على تكونها و ازدهارها و حياتها بجانب اللهجات الأخرى، فما هي يا ترى تلك الأسباب التي ساعدت على نشأة اللغة المشتركة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ؟ و في أي مكان من تلك الجزيرة تكونت هذه اللغة المشتركة؟

يقول السيد المؤلف: لقد نشأت هذه اللغة العربية المشتركة في مكة أم القرى لظروف دينية و سياسية و اقتصادية.

العامل الديني: كانت بيئة مكة منذ عهود سحيقة قبل الإسلام بيئة مقدسة يفد إليها العرب من كل فج ليحجوا إليها، و يؤدى هذا بالطبع إلى اجتماع فريق كبير من العرب، في هذه البقعة المباركة يختلطون بأهلها و يختلط أهلها بهم، و من هذا

الاختلاط ينشأ ما يسمى باللغة المشتركة، و ليس الأمر اصطلاحا شعوريا بين القبائل على اختيار لغة معينة كلغة قريش مثلا، لغة مشتركة، و إنما ذلك أمر لا شعوري، كما يحدث للريفي الذي يحضر إلي القاهرة، و يعيش فيها مدة مثلا، فانه سرعان ما يتأثر باللهجة القاهرية قهرا عنه و دون شعور منه.

هذه القبائل لم تفد إلى مكة للحج و العبادة فقط، و إنما ليشهدوا كذلك تلك الأسواق التي تقام حول مكة للبيع و الشراء، و يسمع فيها عيون الشعر و جيد القول. كما كان الحال في سوق عكاظ المشهورة، التي كانت تدوم فيها الندوات ما يقرب من الشهرين. و هذه الأسواق كان أهل مكة يختلطون بالوافدين، فيسمعون منهم كما يسمع منهم هؤلاء، و هناك نبتت البذرة الأولى للغة المشتركة بين هؤلاء القبائل جميعا، و نمت و ازدهرت بتوالي وفود القبائل إلي هذه الأسواق، و قد حملت هذه الوفود تلك اللغة المشتركة إلى مواطن قبائلها، فانتشرت بين أنحاء الجزيرة العربية، و لكنها لم تنتشر- على ما نرجح - إلا بين الخاصة فقط من أبناء القبائل المختلفة و هم أولئك الشعراء و الخطباء و قد ازدادت هذه اللغة نموا و ازدهارا بنزول القرآن الكريم - ثم يضيف.- و لسنا نوافق القائلين بأن نزول القرآن هو الذي وحد العربية، و أوجد اللغة المشتركة !!!!!!

أن هذه اللغة نمت و ازدهرت- كما يقول المؤلف- قبل نزول القرآن الكريم بها و لذا تخيرها القرآن ونزل بها- ليفهمه جميع الناس في شتى القبائل الغربية. (و لنا هنا تحفظ على هذا الرأي) .

و هناك عامل أخر أقتصادى: له أهمية في تكوين اللغة المشتركة – فان أهل مكة كانوا تجارا، يتنقلون بتجارهم في أماكن مختلفة و يرتحلون بها إلى اليمن في الشتاء و إلى الشام في الصيف، و لا يستقرون في مكان إلا بمقدار الزمن الذي يحدده لهم البيع و الشراء، هذا النشاط التجاري الضخم قد اتاح لهم الثراء. و من ملك المال و أحتضن الدين فقد تحقق له سلطان سياسي قوى و كان أكثر حضارة و أقوى نفوذا من غيره. و لهذا كله كانت اللهجة القرشية من أقوى اللهجات أثرا في تكوين اللغة الفصحى، و تتميز تلك العربية الفصحى المشتركة بصفات معينة شأها في ذلك شأن كل لغة مشتركة. (مستقبل اللغة العربية المشتركة /٩)

الصفة الأولى: هي أها فوق مستوى العامة بمعنى أن العامة لا يصطنعوها في خطـــابهم، و انه إذا سمعوا متكلما بها رفعوه فوق مستوى ثقافتهم، فاللغة العربية المشتركة الـــتي وردت بها الآثار الأدبية و التي نظم بها الشعراء و خطب بها الخطباء لم تكن في متناول جميع العرب، بل كانت في مستوى أرقى و اسمي مما يمكن إن يتناولة الخاصة الذي هو أهم مميزات اللغة الفصحى، و لم تكن كل العرب تقدر عليه ثم يقول عن اللغة العربية و الظاهرة القرآنية: (في الفصل الرابع من كتابه):كانت اللغة العربية قبـــل نـــزول القرآن تسير في اتجاهين:

الاتجاه الأول: وجود اللغة المشتركة التي ينظم بها الشعر.

الاتجاه الثاني: وجود اللهجات التي يتحدث بها أبناء القبائل حديثهم اليومي، وعندما جاء الإسلام و نزل القرآن الكريم فآمن به من آمن من العرب، ووحد قبائلهم في أمة واحدة فكان لابد من توحيد اللغة و زوال

هذه الحدود بين لغة مشتركة ينظم بها الشعراء و لغة أخرى يتكلم بها أبناء القبائل، فكانت لغة القرآن لغة موحدة لأمة واحدة.

و لما أن خرج العرب من الجزيرة مبشرين بالإسلام حملوا معهم لغة القرآن و كان ذلك منعطفا جديدا في حياة اللغة العربية له تأثير كبير، و تنحصر مظاهر هذا التأثير في أمور أربعة:

١- بقاء اللغة هذا الأمد الطويل.

٢- توحد لهجاتها، و زوال ما كان فيها من تناكر

٣- جعلها لغة رسمية في جميع الممالك التي دخلها الإسلام.

٤- جعلها لغة تعليمية بعد أن كانت ملكة راسخة.

ثم يتكلم سيادته عن بقاء اللغة:

يقول د. أحمد نصيف الجنابي في كتابه" ملامح من تاريخ اللغة العربية"

يحدثنا التاريخ عن أمم كثيرة، سادت حتى ملكت و ضعفت حتى أُمحت، وقد كان لتلك الأمم لغات سايرت حياتها السياسية جنبا إلي جنب و كانت مرآة تنعكس عليها صور وجودها و ألوان حياتها، فرقيت برقيها، و ضعفت بضعفها. ثم أصبحت يعرفها التاريخ كما يعرف الشيء، عفت آثاره و نُسيت معالمه فلا يدركه الناس عن طريق وجود قائم، و إنما يدركونه عن طريق تاريخ متحدث "فاللغة الفينيقية" لغة أهل لبنان قديما، و " اللغة الآشورية " لغة أهل نينوي، و اللغة المصرية و غيرها مما لسنا بسبيل حصره، لا ترى لها ظلالا إلا في بطون الصحف و أعماق القبور، طوى الزمن

صفحتها و محا آيتها على ما كان لأهلها من حضارة .رائعة و مدنية بالغة و سلطان عظيم، و ذلك أن اللغة ككل مظهر اجتماعي خاضعة لقانون النشوء و الارتقاء، فهي تقوى و تضعف، و هي ترقى و تنحط ثم هي تحيى و تموت. تخضع الأمة لغيرها من الأمم فتمتزج بها ثم تفنى بها، فتخضع اللغة و تمتزج ثم تفنى في لغتها و قد تخضع اللغة للتغير و التبديل عن طريق آخر غير طريق الامتزاج بأمة أخرى، كان يهاجر فريق من الأمة إلى موضع، و آخر إلي آخر، و يرى كل من أسباب العيش ومقتضيات الحياة ما لم يكن يرى من قبل و ما لم ير غيره، فلا يسعهم إلا أن يخضعوا لأحكام البيئات الجديدة، فيأخذ كل في خلق لغة تناسبه وتتفق مع نوع حياته بحكم انه لا يجد ما يلزمه الحرص على اللغة الأولى، وقد وجد ما يدفع به إلي هجرها و الخروج عنها، وبذالك تزول اللغة الأصلية وتبقى أثرا من الآثار وهذا ما حدث لتلك اللغات التي ذكرنا ولغيرها مما يعده المؤرخون لغات أثريه.

فلا شك في إن اللغات تتغير وتتبدل، ولا شبهة في إن هذا التغير والتبدل قد يعظم و يتسع حتى يجعل اللغة الواحدة لغات كثيرة متباينة، ولكننا إذا نظرنا إلى اللغة العربية رأيناها تطوى هذا الزمان الطويل ، وتقطع تلك المراحل الشاسعة وتمتزج مع ذلك بأمم كثيرة وتواجه مدنيات شتى يرغم اقلها شأنا أكثر اللغات غنى على العجز ثم هي لا يكاد الناس يرون بدا منها ولا منصرفا عنها، ولا يزيدها كرّ الغداة ومرّ العشي إلا قداسة وجلالا، يجعلونها تتشبث بالبقاء وتمشى إلى الخلود، ما السر إذن في هذا الشذوذ عما قد رضخ له كل ما يعرف الوجود من لغات، وما تلك القوة التي تحوط اللغة العربية وترعاها ؟؟؟!!!

لا نستطيع أن نقول أن سر ذلك أنها لغة المدنية، فيها كل ما تفتقر أليه الأمم في كـــل الأزمنة من ألفاظ ومعان وأخيلة، بحيث يجد الناس فيها كل ما يفتقرون إليـــه، فهـــم لذلك يحرصون عليها ويصدون عنها عوادي الزمن حتى بقيت لم يمســـها ســـوء، لا نستطيع أن نقول ذلك، فما نعرف لغة في الوهم أو الخيال بهـــذا المكـــان، والواقـــع يكذب هذا لأنها أخذت فعل غيرها من اللغات في القديم والحديث هذا إلى جانب أنها لغة بداوة تعرف الصحراء وما يتصل بها من الفاقة والـــبعير، والضـــب واليربـــوع، والشيح والقيصوم، ولا نستطيع كذلك أن نقول إنها لغة قوم اجتمع لهم من القـــوة والسلطان في كل الأزمنة ما يقف إلى جانب تعصبهم لها ما يرغم الناس على حفظهـــا ومعالجة أصولها واداها على نحو ما تفعل أمم الغرب في مستعمراتها اليوم .

فقد رأينا نفوذ العرب اخذ يضعف في منتصف القرن الثاني الهجري، بل رأينا النفوذ الاسلامى نفسه يضعف حتى سقطت بغداد في يد التتار وتجتاز الأمم الإسلامية عصور كقطع الليل، مسلوبة القوة وما يشبه العثرة فلا نفوذ ولا سلطان .

وإذا كان لا مناص من التسليم بأنها ليست لغة مدنية على النحو الذي وصفنا، علمنا أن بقاء تلك اللغة الشريفة إلى اليوم اثر من آثار القرآن الكريم، وليس من الميســـور تصور ذلك إلا إذا تصورنا ما للقرآن من منزلة في نفوس أولئك الـــذين هـــداهم الله للإسلام، وخالط حبه لعدالة مبادئه ووضوح تعاليمه في قلوبهم، فراه المسلمون كمـــا هو في الواقع دستور الإسلام الأعلى، ومفخرته الكبرى فحرصوا عليه ووقفوا يبذلون في الدفاع عنه أعز ما يملكون من دم ومال، وليس ذلك لأنهم جماع الخير وحســـب، بل لذلك ولان الاحتفاظ به على الصورة التي انزل عليها يحقق الحكمة مـــن ذلـــك

وهى بقاء هذه الصورة الرائعة آية إعجاز وبرهان عجزهم، فطبيعي أن يحافظ المسلمون على ألفاظه وتراكيبه لتظل المعجزة باقية على وجه الدهر، فان القران بمجموع ألفاظه وبيانه والتعبير عن تلك المعاني بألفاظ غير ألفاظه يخرجه من الصورة التي نزل بها وعجز البشر عنها.

وواضح أن نظر المسلمين إلى القران هذا النظر الذي هو في الواقع مقتضى من مقتضيات الإسلام يستلزم أن ينظر هذه النظرة نفسها إلى اللغة العربية لأنها المرجع في حفظه والسبيل إلى فهمه وأن يعد كل عدوان عليها، عدوانا عليه (أي القران) وكل تكريم لها وإشادة بها تكريما له وأشادة به – كما يقول المؤلف – ولعل هذا هو سر مهاجمة الإلحاد للغة ومحاولة النيل منها والتشكيك في ماضيها وفى تقديري – كما يقول المؤلف – أن هذا سبيل قريب أو بعيد للنيل من القران.

وإذن فإن بقاء العربية إلي اليوم والى ما شاء الله راجع إلي الدفاع عن القران، لأن الدفاع عنه – لكونه أصل الدين ومنبع العقيدة – يستتبع الدفاع عنها (أي اللغة العربية) لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله وأن القران من عنده لا من وضع النبي وأصحابه.

ثم يضيف المؤلف: ولو فرض انه نزل كما نزل غيره من الكتب المقدسة، حكما، وأمرا، ونهيا، ووعدا ووعيد، ولم يتحر هذا الأسلوب الذي جاء به فلم يعن الناس بلفظه ولم ينظروا إليه قولا فصلا وبيانا شافيا وبلاغة معجزة لكان من الممكن أن تزول هذه اللغة بعد أن يضعف العنصر الذي يتعصب لها على إنها لغة قومية (كيف وقد وعد الله سبحانه وتعالى بحفظها في كتابه الكريم). ومن ذلك تضعف هي

وتتراجع حتى تعود لغة أثرية، وفى اللغة العبرية – كما يقول المؤلف – ما يؤكد هـــذا فأنها وهى لغة كتاب مقدس صارت إلى ذمة التاريخ، ولو أن التوراة جاءت كما جاء القران فتحدث اليهود على النحو القرانى لاحتفظوا بلغتهم لان ذلك احتفاظا بمعجزة نبيهم، فكان ممكنا أن نرى اليوم لغة موسي عليه السلام.

والخلاصة.أن التوراة لم تعن بالناحية اللفظية، إذ لا حكمة تدفعها إلى ذلك، لان اليهود لم يبلغوا من قوة اللسن وحسن البيان أن يرى التقصير في ذلك شيء له قيمته، وخطورته، كما كان الشأن عند العرب حتى تتحداهم التوراة لتعجزهم، ومن ذلك تلجئهم إلى الإذعان وتحملهم على الخضوع ، لذلك لم تعن إلا بالناحية الإختراعية، فعنى الناس بما فيها من ذلك ينقلونه إلى اللغة التي يريدون، ويفرغونه في القالب الذي يشاؤن ما داموا لا حاجة بهم إلى الحرص على الألفاظ، ولذلك اندفعت العبرية تصارع الأحداث الزمنية بما فيها من مناعة ذاتية خاضعة خضوعا مطلقا لقانون النشوء والارتقاء من غير أن يكون لها سند تركن إليه في حياتها وتعول فيه بقائها عليه فما زالت تنمو وتضعف (انظر كتاب فقه اللغات السامية /١٩ وما بعدها) وتلفظ قديما وتؤى حديثا حتى وصلت إلى ما يسميه الناس اليوم العبرية وشتان ما هي ولغة موسي علية السلام. والخلاصة . تبعا لقول المؤلف :

إن اللغة العربية كغيرها من لغات البشرية خاضعة للتغيير والتبدل والزوال والفنـــاء (حاشا لله). وان القران الكريم بحكم انه لسان الإسلام الناطق ومعجزته الباقية هـــو الذي حفظها من الضياع لأنه جاء على وجه تحدى به العرب تحديا صارخا، فـــذلوا واستكانوا، فحرص كل مسلم على ألفاظه احتفاظا بالمعجزة وتعبدا بتلاوته، ولو انـــه

جاء كما جاء غيره من الكتب السماوية مجردا من الإعجاز، لما كان حتما على الناس أن يلزموا أنفسهم تعهد اللغة العربية والتعرف عليها، بل كانوا يأخذون ما فيه مما يصلحهم في معاشهم ومعادهم بعد أن ينقلوه إلى لغاتهم فتضطر العربية أن تقف وحدها في معترك الحياة فلا تزال تتطلع إلى التجديد حتى تصبح في مبدأها ونهايتها لغتين أو لغات متباينة، أو تمشى إلى الموت وتدب إلى الفناء حتى تصبح في ذمة التاريخ .

وعن توحد لهجاتها وزوال تناكرها:

يقول المؤلف: للعرب لهجات كثيرة منها الرديء المستكره، تعزف عنه النفس وينفر منه الطبع، ومنها الفصيح المقبول يحسن وقوعه في السمع ويخف نطقه على اللسان، شأن الأمة يقترب بعضها من حياة الحضارة ويظل محتفظا بمميزاته الخاصة فيكون له من ذلك ذوق ولطف حسن ويبقى بعضه حيث هو لا تأخذه عين المدنية، فينشأ على ما نشأته عليه حياة الخشونة والجفاف، وذلك يظهر أثره في تلك اللهجات الخشنة الجافة التي لا تكاد تسيغها الأسماع . ثم يضيف: ولا أعني أن منشأ تخالف اللهجات على هذا النحو إنما هو القرب أو البعد عن الحضارة فحسب، فان لطبيعة الإقليم أثرا قويا في هذا، يدرك ذلك واضحا من ينظر في لهجات الأمم في أنحاء الأرض.
ولنا رأى في هذا الكتاب سوف نعرضه في مكانه المناسب.

و من كتاب " فجر الإسلام"

للكاتب الكبير الأستاذ احمد امين

وهو كتاب يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أخر الدولة الأموية الطبعة العاشرة عام ١٩٣٣، وكانت الطبعة الأولى في عام ١٩٢٩ وقد كتب في مقدمة الكتاب الأستاذ الدكتور / طه حسين عميد الأدب العربي مقدمة طويلة نأخذ منها قول سيادته:- وثلاثتنا متضامنون في الكتاب على اختلاف أقسامه، قد استقل "احمد أمين" في درس الحياة العقلية، ولكنه قرأه معنا، وأقررناه كما اقره فنحن شريكاه فيه على هذا النحو واستقل "عبد الحميد العبادى " بدرس الحياة السياسية، ولكنه قرأه علينا وأقررناه كما اقره، فنحن شريكاه على هذا النحو واستقللت بدرس الحياة الأدبية، ولكننا قرأناه جميعا وأقررناه، فنحن جميعا شركاء فيه على هذا النحو، وكل ما أتمناه ألان هو أن نوفق إلى أن ندرس " ضحى الإسلام" بعد أن درسنا فجر الإسلام.

فجر الإسلام طه حسين ديسمبر ١٩٢٨.

أما من هو الأستاذ الكبير " عبدا لحميد العبادى " فهو كما جاء في كتاب " رسائل طه حسين " للأستاذ إبرهيم عبد الحميد من كتب مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ (مهرجان القراءة للجميع) ما يلي: تحت عنوان " **عبدا لحميد العبادى** " مؤسس المدرسة العلمية في التاريخ الاسلامى ص ١٠٥.

كان د. عبد ا لحميد العبادى احد الذين استعان بهم د. طه حسين لتقوية الجامعة الوليدة – حينئذ – وتغذيتها بالعناصر المصرية أمام الكثرة الغالبة من العناصر الأجنبية والتي لم يكن لها بديل آنذاك حتى استطاع طه حسين بالتعاون مع " لطفي السيد " أن يمصر الجامعة بتلك البعثات المنتجة للأساتذة الجامعيين في جميع التخصصات، وحتى يحدث ذلك، كان على تلك القلة من العناصر المصرية أن تقوم بالعبء الأكبر، ليس فقط بالتدريس للطلبة المصرين، بل لتأسيس مناهج علمية جديدة تقوم عليها النهضة الجماعية والثقافية المصرية الحديثة.

وكان من هؤلاء المؤسسين د."عبد الحميد العبادى" الذي اشترك مع طه حسين و احمد أمين في مشروع اتفقوا علية لإعادة كتابة العصر الاسلامى برؤية عصريه جديدة، فتناول طه حسين الجانب الادبى، وعهد إلى أحمد أمين بالجانب العقلي و الأجتماعى، وتحمل د.العبادى عبء كتابة التاريخ الاسلامى برؤية علمية كان هو مؤسسها الأول والذي سار على نهجة كل مؤرخي التاريخ الاسلامى حتى اليوم.

د.العبادى احد أضلاع مثلثنا الذهبي في الجامعة المصرية.

والان والى كتاب "فجر الإسلام ".
لمؤلفه احمد أمين
يقول المؤلف في الباب الثاني:
"الإسلام"

الفصل الأول بين الجاهلية والإسلام.

لفظ الإسلام ومعناه: إذا تتبعنا مادة "س ل م " ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنى السلام = المسالمة، وضد المسالمة "الحرب" والخصام.

جاء في القرآن (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

ولعل هذه الآية هي المفتاح الذي نصل به إلى معرفة السبب في تسمية العهد الذي قبل محمد عليه الصلاة والسلام "جاهليا" وعهده "إسلاما". والجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم " ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والانفه، يقول وقد جاء في حديث الإفك: (و لكن اجتهلته الحمية) اى حملته الأنفة والغضب على الجهل. وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر، وقد عير رجلا بأمة " انك امرؤ فيك جاهلية" اى فيك روح جاهلية وقريب من هذا المعنى استعمالهم "استجهله الشيء أي "استخفه" وفيه قوله: وقاك الهوى واستجهلتك المنازل ". وفى معلقة عمرو ابن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدا علينا .... فنجهل فوق جهل الجاهلين

فنرى من هذا كله – كما يقول المؤلف – إن كلمة الجاهلية تدل على الخفة الأنفة والحمية والمفاخرة، وهى أمور أوضح ما كانت في حياة العرب قبل الإسلام فسمي العصر "الجاهلية " ويقابل هذه المعاني هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب وهى كلها نزعة سلام، فمعنى الآية كما قال الطبري:(إن عباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض بالحلم ولا يجهلون على من جهل عليهم).

ثم انتقلت الكلمة إلى معنى أخر قريب من هذا، هو استعمال اسلم المشتق من السلام بمعنى الخضوع والانقياد، لما كان الخضوع ادعى إلي السلام، و في هذا المعنى جاءت الآية (و أنيبوا إلي ربكم و اسلموا له) و (فقل أسلمت وجهي لله) و قد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا علي المؤمنين و الكافرين جميعا لأنهم خاضعون لله، و منقادون له بحكم خلقتهم، رضوا أو كرهوا، تسرى عليهم قوانين العالم و لا يستطيعون الخروج عليها، و قولة سبحانة: (و له أسلم من في السموات و الأرض طوعا أو كرها و إليه يرجعون) فكل من في السموات و الأرض مسلم بهذا المعنى، اى خاضع لأمر الله مطيع لما وضع في العالم من قوانين. ثم قصرت في الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعا، فكان المسلم هو الذي رضي بطاعة الله، فاجتمعت لـه الطبيعة و الطاعة بالإرادة، و قريب من هذا المعنى قولة تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون) و بهذا المعنى تطلق كلمة " مسلم " على كل من خضع لله و أطاع أي نبي من الأنبياء، فأتباع إبرهيم و موسى و عيسى و محمد مسلمون:(و قالت يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم، انه من سليمان و انه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا

تعلوا علي و أتوني مسلمين) (ووصى بها إبرهيم بنية، و يعقـــوب، يـــا بـــني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و انتم مسلمون) و في سورة يوسف (توفني مسلما و الحقني بالصالحين)، (فلما أحس عيسى منهم الكفر، قال من أنصارى إلي الله، قال الحواريون نحن أنصار الله أمنا بالله و اشهد بأنا مسلمون)

ثم يضيف كاتبنا الأستاذ احمد أمين: ثم خصت في الاستعمال بالدين الذي أتى به محمد صلى الله عليه و سلم، و بهذا المعنى ورد قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم ديـــنكم و اتمت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا). و قوله: (و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) فهذا الإسلام عماده الخضوع لله و الانقياد له، و لعل هذا الاسم انسب اسم للرد علي العقلية الجاهلية و عقلية الأنفة و الحمية.

و هذا التعريف لعقلية الجاهلية وعقلية الأنفة و الحمية تدعونا إلى معرفة طبيعة العربي قبل الإسلام، و لهذا نوجزها فيما يلى:

طبيعة العقلية العربية

يقول اختلفت أراء الباحثين في هذا اختلافا كبيرا و نحن نستعرض لك بعضها:

١- يقول بعض الشعوب في العرب: لم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض لها ملوك تحميها و مدائن تضمها و أحكام تدين بهـــا، و فلســـفة تنتجها و بدائع تفد عليها في الأدوات و الصناعات مثل صنعة الـــديباج، و لعبة الشطرنج و رمانه ألقبان، و مثل فلسفة الروم في ذات الخلق و القـــانون والإصطرلاب. و لم يكن للعرب ملك يجمع سوادها و يضم قواصيها و يقنع

ظالمها و ينهى سفيهها، و لا كان لها قط تنمية في صناعة و لا أثر في فلسفة، إلا ما كان من الشعر، و قد شاركتها فيه العجم و ذلك أن للـــروم أشـــعار عجيبة قائمة الأوزان و العروض ....

٢- و يقول الجاحظ: في الرد عليهم و المقارنة بين العرب و غيرهم: أن الهند لهم معان مدونه، و كتب مجلدة، لا تضاف إلى رجـــل معـــروف، و لا إلى عـــالم موصوف و إنما هي كتب متوارثة و آداب على وجه الدهر سائرة مذكورة. و لليونان فلسفة و منطق و لكن صاحب المنطق نفسه بكيء اللســـان و لا موصوف بالبيان. و في الفرس خطباء إلا إن كل كلام للفرس و كل معـــني للعجم فإنما هو عن طول فكرة، و عن اجتهاد و خلوة بينمـــا كـــل شـــيء للعرب هو بديهة و ارتجال و كأنه إلهام، و ليست هناك معاناة و لا مكابـــده ولا اجالة فكر و لا استعانة و إنما هو يصرف همه إلى الكلام، فتأتيه المعـــاني إرسالا، و تنهال عليه الألفاظ إتنهالا، و كانوا أميين لا يكتبون، و مطبوعين لا يتكلفون، و كان الكلام الجيد عندهم اظهر و أكثر، و هم عليه اقـــدر و اقهر...... و ليس هم كمن حفظ علم غيره، و احتذى علي كلام من كـــان قبله، و لم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم و التحم بصدورهم و اتصل بعقولهم من غير تكلف و لا قصد و لا تحفظ و لا ترف. (من كتاب البيان و التنين جزء ٣ / ١٥ مختصرة).

رأى ابن خلدون: يقول الأستاذ احمد أمين في كتابة " فجر الإسلام ":

يرى ابن خلدون إن حالة العرب حالة اجتماعية طبيعية يمر عليها الإنسان في نشوئه و ارتقائه، و عبر عن ذلك بقوله أن جيل العرب في الخلقة طبيعي، و يقول إنهم بطبيعة التوجس الذي هم فيه، أهل انتهاب و عبث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة و لا ركوب خطر و يفرون إلي منتجعهم بالقفر، و القبائل الممتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عبثهم و فسادهم، و أما البسائط متي أقتدروا عليها بفقدان الحامية و ضعف الدولة فهي نهب لهم يرددون عليها الغارة و النهب إلى إن يصبح أهلها مغلبين لهم ثم يعايرونهم باختلاف الأيدي و انحراف السياسة إلي إن ينقرض عمرانهم.

و هم إذا تغلبوا علي أوطان أسرع إليها الخراب، لأنهم أمة وحشية، فينقلون الحجر من المباني و يخربونها لينصبوه اثافى للقدر و يخربون السقف ليعمروا به خيامهم و يتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم، و ليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه، و ليست لهم عناية بالأحكام و زجر الناس عن المفاسد، و إنما همهم ما يأخذونه من أموال الناس نهبا، فإذا توصلوا إلى ذلك أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم و النظر في مصالحهم، و هم متنافسون في الرياسة و قل إن يسلم واحد منهم الأمر لغيره و لو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل، فيتعدد الحكام منهم و الأمراء و تختلف الأيدي علي الرعية في الجباية و الأحكام، فيفسد العمران و ينتقص، و أنظر إلي ما ملكوه من الأوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه، و أقفر ساكنه، فاليمن - قراهم - خراب إلا قليلا من الأمصار، و عراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع، و الشام لهذا العهد كذلك. (ص ١٢٦).

و هم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، للغلظة و الأنفة و بعد الهمة و المنافســة في الرياسة، فقلما تجتمع، أهواؤهم من ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينيــة، مــن القوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة.(ص١٢٧).

وهم ابعد الناس عن الصنائع لأنهم اعرق في البدو، وابعد عن العمران الحضري وما يدعو إليه من الصنائع و غيرها.

ولهذا نجد أواني العرب وما ملكوه في الإسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب إليه من قطر أخر.(ص٣٢٧).

وهم ابعد الناس عن العلوم، لان العلوم ذات ملكات، محتاجه إلى التعليم فانــدرجت في جملة الصنائع، والعرب ابعد الناس عنها كما قدمنا. فصارت العلوم حضارية وبعد العرب عنها وعن سوقها، والحضر لذلك العهد هم العجم او من في معناهم من الموالى ولذلك كان حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم أو المستعجمون باللغــة ولم يقــم بحفظ العلم و تدوينه إلا الاعجام. (ص٤٧٨).

وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكــات وبراءها من ذميم الأخلاق إلا ما كان من خلق التوجس القريب المعانــاة، المتــهيئ لقبول الخيــــر. (ص١٢٧).

وهم أقرب للشجاعة لأنهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى ســواهم ولا يثقون فيها بغيرهم عنهم، دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، قد صار لهم البأس خلقا، والشجاعة سجية، ونجد المتوحشين من العرب أهل البــدو اشد بأسا ممن تأخذه الأحكام.ص ١٠٦ وهم لا يزالون موسومين بين الأمم بالبيان في

الكلام والفصاحة في النطق والذلاقة في اللسان والبيان سمتهم بين الأمم منذ كانوا.(جزء٢/٥).

أما ماذا يقول كتاب الفرنجة:-

فمن كتاب"أرابيا قبل محمد"Arabia before Mohamed للمؤلف "أوليرى" يقول " أوليرى" أن العربي الذي يعد مثلا أو نموذج مادي، ينظر إلى الأشياء نظرة مادية وضيعة، ولا يقومها إلا بحسب ما تنتج من نفع، يتملك الطمع مشاعره، وليس له مجال للخيال ولا العواطف، لا يميل كثيرا إلى دين ولا يكترث بشيء إلا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية يملؤه الشعور بكرامته الشخصية حتى ليثور على كل شكل من أشكال السلطة وحتى ليتوقع منه سيد قبيلته وقائده في الحروب الحسد والبغض والخيانة من أول يوم اختير للسيادة عليه، ولو كان صديقا حميما من قبل، من أحسن إليه كان موضع نقمته لان الإحسان يثير فيه شعورا بالخضوع وضعف المترلة وان عليه واجبا لمن أحسن إليه.

ويقول "لاما نس":- أن العربي نموذج للديمقراطية ولكنها مبالغ فيها إلى حد بعيد، وان ثورته على كل سلطة تحاول أن تحد من حريته ولو كانت في مصلحته. وهي السر الذي يفسر لنا سلسلة الجرائم التي شغلت اكبر جزء في تاريخ العرب، وجهل هذا السر هو الذي قاد الاوربيين في أيامنا هذه إلى كثير من الأخطاء وحملهم كثير من الضحايا كان يمكنهم الاستغناء عنها. وصعوبة قيادة العرب وعدم خضوعهم للسلطة هي التي تحول بينهم وبين سيرهم في سبيل الحضارة الغربية.

ويبلغ حب العربي لحريته مبلغا كبيرا، حتى إذا حاولت إن تحـدها أو تـنقص مـن إطرافها، هاج كأنه وحش في قفص، وثار ثورة جنونية لتحطيم أغلاله والعـودة إلى حريته، ولكن العربي من ناحية أخرى مطيع لتقاليد قبيلته، كـريم يـؤدى واجبـات الضيافة والمحالفة في الحروب، كما يؤدى واجبات الصداقة مخلصا في أدائها حسب ما رسمها العرف.ثم يقول لاما نس:- وعلى العموم فالذي يظهر لي أن هـذه الصـفات والخصائص اقرب إلى صفات وخصائص هذا الطور من النشوء الاجتماعي عامة من أن تعد صفات خاصة لشعب معين، حتى إذا قر العرب وعاشوا عيشة زراعية مـثلا، تعدلت هذه العقلية.

ثم يقول الأستاذ احمد أمين في كتابه "فجر الإسلام ": وهناك غير هذا كثير من أقوال الكتاب في كتب الأدب من ينسب للعرب كل فضيلة وينفى عنها كل رذيلة، كالذي ذكره "الالوسي" في كتابه "بلوغ الأرب " فقد قال بعد كلام طويل: والحاصـل أن العرب لما كانوا أتم الناس عقولا و أحلاما وأطلقهم لسانا وأوفرهم إفهاما، اسـتتبع ذلك لهم كل فضيلة وأورثهم كل منقية جليلة (من كتاب بلوغ الأرب ج١: ١٤٤) ويقول ابن رشيق في كتابه العمدة العـرب أفضـل الأمـم، وحكمتـها اشـرف الحكم....الخ وفى مناقشة لهذه الآراء...

يقول المؤلف الأستاذ احمد أمين:

لسنا نعتقد تقديس العرب ولا نعبأ بمثل هذا القول الذي يمجدهم ويصـفهم بكـل كمال وينزههم عن كل نقص لان هذا النمط من القول ليس نمط البحث العلمي. إنما

نعتقد إن العرب شعب ككل الشعوب له مميزاته وفيه عيوبه وهو خاضع لكل نقـــد علمي في عقليته ونفسيته وآدابه وتاريخه. فالقول الذي يمثله الرأي الخامس لا يستحق مناقشة ولا جدلا كذلك يخطيء الشعوبي أصحاب القول الأول الذين كانوا يتطلبون من العرب فلسفة كفلسفة اليونان وقانونا كقانون الرومان وان يمهروا في الصناعات كصناعة الديباج أو في المخترعات كالاصطرلاب. فانه إن كان يقارن هـــذه الأمـــم بالعرب في جاهليتها كانت مقارنة خاطئة لان المقارنة إنما تصح بين أمم في طور واحد من الحضارة، لا بين متبدية وأخرى متحضرة، ومثل هذه المقارنة بين عقل في طفولتـــه وعقل في كهولته، وكل امة من هذه الأمم كالفرس والروم مرت بدور بداوة لم يكن فيه فلسفة ولا مخترعات، إنما إن كان يقارن العرب بعد حضارهما فقد كان لها قـــانون وكان لها علم وان كان قليلا –كما سيأتي– إنما الذي يستحق البحث والمناقشة هـــو رأى "ابن خلدون " و "اوليرى".

فبالنسبة لرأى ابن خلدون:– فخلاصته أن العربى متوحش نهاب، سلاب، إذا اخضع مملكة أسرع إليها الخراب، يصعب انقياده لرئيس ولا يجيد صناعة ولا يحسن علما ولا عنده استعداد للإجادة فيهما، سليم الطباع، مستعد للخير شجاع.

وخلاصة رأى "اوليرى" أن العربي مادي ضيق الخيال، جامد العواطف، شديد الشعور بكرامته وحريته، ثائر على كل سلطة، كريم مخلص لتقاليد قبيلته فهمـــا يتفقـــان في وصف العرب بالمادية و ثورهم علي كل سلطة أما الوصف الثاني فانه مستعد للخـــير شجاع كريم مخلص لتقاليد قبليته فلا مجال للشك فيها.

ويقل كاتبنا: وقد صدق "اوليرى" في قوله إن هذه الصفة هي التي تفسر لنا الجرائم والخيانات التي شغلت اكبر جزء في تاريخ العرب. أما المادية فكثير من المستشرقين يوافقون "ابن خلدون" و"اوليرى" على وصف العرب بها كالأستاذ "براون" في كتابه"تاريخ الأدب عند الفرس" ويعنون بهذا الوصف إنهم لا يقدرون إلا المادة وألا الدرهم والدينار، فأما المعنويات فلا قيمة لها في نظرهم. وحقا انك لتدرك هذا المعنى بجلاء في بعض سكان البادية اليوم، ولكن هل هذا الوصف لهم يصح أن يعمم في عرب الجاهلية؟؟!!

ثم يجيب كاتبنا: ذلك ما نشك فيه، فانه لو صح ما يروى لنا في كتب الأدب من حكايات الكرم والوفاء وبذل النفس عن سماحة في المحافظة على تقاليد القبيلة لتنافى تمام المنافاة مع المادية لذلك يظهر لنا أن كلا من "اوليرى" و"ابن خلدون" اخطأ في عدم تحديد "العربي " الذي يصفه، فنحن نعتقد أن "عربي الجاهلية يخالف في أمور كثيرة " عربي الإسلام " بل عربي الجاهلية نفسه متحضرا غيره" باديا " وبدو اليوم يخالفون في أمور كثيرة " بدو الجاهلية "وابن خلدون – رغما عن دقته في بحثه – لم يحدد بالضبط معنى العربي الذي يصفه، وهذا ما جعله يضطرب في قوله:– فإنك إذا قرأت قوله في بعض المواضع تفهم انه إنما يريد "العربي البدوي" كالذي يهدم القصور و يستعمل حجارها في الاثافى وخشب سعفها في الاوتاد، فإنما ينطبق ذلك على البدوي الممعن في البداوة، لا العربي المتحضر في الدولة الأموية أو العباسية، ثم تراه يذكر في انه لا يحسن اختيار مواقع البلاد كما فعل عند تخطيط البصرة والكوفة، وهذا كما تعلم ليس هو العربي البدوي الممعن في البداوة، إنما هو عربي صدر الإسلام

الذي فتح فارس والروم، وليس العربي الذي يخطط المدن هو الذي يهدم القصور، ثم هو يذكر انه لا يحسن علما وان الموالى هم السابقون في هذا المضمار، ولـيس هـذا عربي البدو ولا عربي صدر الإسلام إنمـا هـو عـربي الدولـة العباسـية وأخـر الدولة الأموية.

وقد ناقض " ابن خلدون" نفسه –كما يقول المؤلف – إذ يقرر في موضع أخر مـن مقدمته ما يفهم منه استعداد العربي بطبيعته للتحضر والاستفادة ممن يخالطه ويعاشره، قال "ومثل هذا واقع للعرب لما كان الفتح، وملكوا فارس والروم، واستخدموا بناهم وأبناءهم ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة، فقد حكى انه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينتهم ملحا، وأمثال ذلك. فلما استعملوا أهل الدول قبلهم في مهنهم وحاجات منـازلهم، واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك أفادوهم في علاج ذلك والقيـام علـى عملـه والتفـنن فيـه، فبلغـوا الغايـة في ذلـك وتطـوروا بطـور الحضـارة (مقدمة ابن خلدون ص ١٤٤). فنرى من هذا أن ابن خلدون في حكمـه علـى العربي خلط بين العربي في عصوره المختلفة و أصدر أحكاما عامة مع انه هـو نفسـه القائل بأن العربي يتغير بتغير البيئة.

ثم يقول "أوليرى" إن العربي ضعيف الخيال، جامد العواطف. أما ضعف الخيال فلعل منشأه أن الناظر في شعر العربي لا يرى فيه أثرا للشعر القصصـي ولا التمثيلـي ولا يرى الملاحم الطويلة التي تشيد بذكر مناظر الأمة كإلياذة هـوميروس، وشـاهنامة الفردوس، ثم هم في عصورهم الحديثة ليس لهم خيال خصب في تأليف الروايات ونحو

ذلك، ونحن كما يقول المؤلف – مع اعتقادنا قصور العرب في هذا النوع من القول، نرى إن هذا الضرب احد مظاهر الخيال لا مظهر الخيال كله، فـالفخر والحماسـة والغزل والوصف و التشبيب والمجاز كل هذا ونحوه مظهر من مظاهر الخيال، والعرب قد أكثروا القول فيه كثرة استرعت الأنظار وإن كان الابتكار فيه قليلا، كذالك مـا مليء به شعر العربي من الغزل وبكاء الأطلال والديار وذكرى الأيام والحوادث وما وصف به شعوره ووجدانه وصور به التياعـه وهيامـه لا يمكـن أن يصـدر عـن عواطف جامدة.

أما رأى الجاحظ: فيتلخص في انه يسلم بقول الشعوبية في انه ليس لهـم علـم ولا فلسفة ولا كتب موروثة، ويرى أن العرب عُوِّضُوا عن هذا بميزتين واضحتين طلاقـه اللسان وحضور البديهة – والحق أهما صفتان ظاهرتان فيهم، ويكفى أن تلقى نظرة على ما خلفوه من آدابهم لتعترف بما منحوا من لسان ذلق وبديهة حاضرة، ولعلـك من هذه المناقشة تلمح رأينا في العرب. فهم ليسوا في جاهليتهم وإسلامهم في درجـة واحدة من الرقى العقلي والخلقي. فلنقتصر الآن على وصف العربي الجاهلي:–

العربي عصبي المزاج، سريع الغضب يهيج للشيء التافه ثم لا يقف في هياجه عند حد وهو اشد هياجا إذا جرحت كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته، وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه، حتى أفنتهم الحروب، وحتى صارت الحرب نظامهم المـألوف وحياقم اليومية المعتادة، والمزاج العصبي يستتبع عادة الذكاء. وفى الحق إن العـربي ذكى، يظهر ذكاؤه في لغته، فكثيرا ما يعتمد على الإشارة البعيدة واللمحة الدالـة، كما يظهر في حضور بديهته، فما هو إلا إن يفاجأ بالأمر فيفجؤك بحسـن الجـواب.

ولكن ليس ذكاؤه من النوع الخالق المبتكر، فهو يقلب المعنى الواحد علـى أشـكال متعددة فيبهرك تفننه في القول اكثرما يبهرك ابتكاره للمعنى، وان شـئت فقـل إن لسانه امهر من عقله ، خياله محدود وغير متنوع، فقلما يرسم له خياله عيشة خـيرا من عيشته، وحياة خيرا من حياته يسعى إليها، لذلك لم يعرف "المثل الأعلـى" لأنـه وليد الخيال ولم يضع له في نعته كلمة واحدة دالة عليه، ولم يشر إليه فيما نعرف مـن قوله في عالم جديد يستقى منه معنى جديد، ولكنه في دائرتـه الضـيقة اسـتطاع إن يذهب كل مذهب. أما من ناحيتهم الخلقية فميل إلى الحرية قل إن يحدها حد ، ولكن الذي فهموه من الحرية هي الحرية الشخصية لا الاجتماعية فهم لا يدينون بالطاعـة لرئيس او حاكم ، تاريخهم فى الجاهلية – حتى وفى الاسلام – سلسلة حروب داخلية وحروب خارجية .

ثم يضيف الكاتب : ان العربى يحب المساواة ولكنها مساواة فى حدود القبيلة وهو مع حبه المساواة كبير الاعتداد بقبيلته ثم بجنسه ، يشعر فى اعماق نفسـه بأنـه مـن دم ممتاز ، لم يؤمن بعظمة الفرس والروم مع ما له ولهم من جدب وخصب ، وفقر وغنى ، وبداوة وحضارة حتى اذا فتح بلادهم نظر اليهم نظرة السيد الى المسود.

ومن ص ٤٠ يقول المؤلف: لاحظ بعض المستشرقين إن طبيعة العقل العربي لا تنظـر إلى الأشياء نظرة عامة شاملة، وليس في استطاعتها ذلك، وقبله لاحظ هـذا المعـنى بعض المؤلفين الأقدمين من المسلمين، فقد جاء في كتاب"الملل والنحل" للشـهرتانى" عند الكلام على الحكمـاء.

الصف الثاني حكماء العرب وهم شرذمة قليلة، وأكثر حكمتهم فلتات الطبع وخطرات الفكر، وقال في موضع أخر إن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد....والمقارنة بين الاثنين مقصورة على اعتبار خواص الأشياء، والحكم بأحكام الماهيات، والغالب عليهم القدرة والطبع، وان الروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقارنة مقصورة على اعتبار كيفية الأشياء والحكم بأحكام الطبائع والغالب عليهم الاكتساب والجهد. فالعربي لم ينظر إلى العالم نظرة عامة كما فعل اليوناني مثلا. لقد القى اليوناني – أول ما تفلسف – نظرة عامة على العالم، فسأل نفسه: كيف برز هذا العالم إلى الوجود ؟!! أني أرى هذا العالم جم التغيير كثير التقلب؟ ، افليس وراء هذه التغيرات أساس واحد ثابت ؟؟!! وإذا كان فما هو ؟؟ الماء أم الهواء أم النار؟!!!

ورأى العالم كله كالشيء الواحد يتصل بعضه ببعض وهو خاضع لقوانين ثابتة، فما هذا النظام ؟، وكيف نشأ ؟، وبم وجد ؟!.

هذه الأسئلة وأمثالها وجهها اليوناني إلى نفسه فكانت أساس فلسفته ومعناها كلها النظرة الشاملة، إما العربي فلم يتجه نظره هذا الاتجاه –ولا بعد الإسلام– بل كان يطوف فيما حوله، فإذا رأى منظرا خاصا أعجبه تحرك له وجاش صدره بالبيت أو الأبيات من الشعر والحكمة أو المثل.

ومن ص ٤٥ ولما كان العرب يسكنون بقعة صحراوية تصهرها الشمس ويقل فيها الماء ويجف الهواء، وهى أمور لم تسمح للنبات أن يكثر، ولا للمزروعات أن تنمو إلا كلأ مبعثرا هنا وهناك ، و أنواعا من الأشجار والنبات مفرقة استطاعت إن تتحمل

الصيف القائظ، والجو الجاف، فهزلت حيواناهم ونحلت أجسامهم، وهـي كـذلك أضعفت فيها حركة المرور فلم يستطع السير فيها إلا الجمل، فصعب على المـدنيات المجاورة من فرس أو روم أن تستعمر الجزيرة وتفيض عليها من ثقافتها، اللهم إلا مـا تسرب إليها في مجار ضيقة معوجة عن طرق مختلفة بيناها قبل. ويقول وشـيء أخـر لابد من النظر إليه وهو تأثير هذه الصحراء في النفوس، وذلك إن الحياة في الصحراء قليلة إذا ما قيست بحياة الحضر، سواء في ذلك حياة النبات أم الحيوان أم الإنسـان، قد عريت أرضها غالبا من أثار البشر، فلا ابنيه ضخمة ولا مزروعـات واسـعة ولا أشجار باسقة، فابن الصحراء يقابل الطبيعة وجها لوجه، لا شيء يحول دون التفاتـه إليها، تطلع الشمس فلا ظل، ويطلع القمر والنجوم فلا حائل، تبعث الشمس أشعتها المحرقة القاسية فتصيب أعماق نخاعه، ويسطع القمر يرسل أشعته الفضـية الوادعـة فتبهر لبه، وتتألق النجوم في السماء فتملك عليه نفسه، وتعصف الرياح العاتية فتدمر كل ما أتت عليه. أمام هذه الطبيعة القوية والطبيعة الجميلة والطبيعة القاسية تهـرع النفوس الحساسة إلى رحمن رحيم والى بارىء مصور إلى حفيظ مقيت، إلى الله سبحانه وتعالى، ولعل هذا السر في أن الديانات الثلاث التي يدين بها أكثر العالم – اليهوديـة والنصرانية والإسلام – نبعت من صحراء سيناء فلسطين وصحراء العرب.

الحق إن السكون المخيم على الصحراء يملأ النفوس بروعها ويكسـبها صـفاء، لا شيء في الصحراء من صنع الإنسان، بل الكل من صنع الله، لا يقع نظر النـاظر إلا على شمس تسطع، ونجوم تتناغى، وقمر يحدث، ورياح تلعب في جو نسيم مفتـوح، هنالك يستولى على النفس الصافية حالة لا يفهمها ساكن المدن.

كان العرب إذن هم نتيجة إقليم طليق لا يصد هواءه بناء، ولا يحجب شمسه غـيم، ولا يحبس أمطاره وسيوله سد، كل شيء فيه حر على الفطرة، فهم كـذلك أحـرار كإقليمهم، لم يحبسهم زرع يتعهد ونه ولا صناعة يعكفون عليها، كـذلك تحـررت نفوسهم من قيود الحكومات والنظام إلا شيئين قيدا عقولهم ونفوسهم:-

١-قيدهم دينهم الوثني وما يتطلبه من شعائر وتكاليف.

٢- وقيد تقاليد القبيلة وما تستلزمه من واجبات شاقة، وقد كانوا لتقاليد قبيلتهم اشد أخلاصا وأقوى أيمانا.

وأنت إذا نظرت إلى اللغة العربية والأدب العربي في ذلك العهد رايته نتيجة طبيعـة لتلك الحياة وصورة صادقة لهذه البيئة، فألفاظ اللغة مثلا-في منتهى السعة والدقـة- إذا كان الشيء الموضوع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية - وهـى قليلة غير دقيقة فيما ليس كذلك، فالإبل هي عماد الحياة البدوية -هي خير مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومركبهم، فحياة العرب في الصحراء تكاد أن تكون مسـتحيلة لولا فضل الجمل. من اجل هذا ملئت اللغة العربية بالإبل، فلم يترك العرب صـغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بالإبل إلا وضعوا لها اللفظ أو الألفاظ. فإذا أنت انتقلـت مـن الجمل إلى السفينة (كلمة سفينة) رأيت اللغة العربية في غاية القصور فهم لم يوفوها حقها، كما وفوا حق الجمل ولم يصفوا كل أجزائها.

ومظاهر الحياة العقلية في الجاهلية هي اللغة والشعر والأمثال والقصص -وهى فقـط مظاهر عقلهم- أما العلم والفلسفة فلا اثر لهما عندهم لان الطور الاجتماعي الـذي ابناه لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة. نعم كان عندهم معرفة بالأنساب ومعرفة بالأنواء

والسماء ومعرفة بشيء من الاخبار ومعرفة بشيء من الطب، ولكن من الخطأ البين أن تسمى هذه الأشياء علما، كما فعل "الالوسي" وغيره فيقول ومن علومهم علم الطب وعلم الأنواء وعلم السماء ثم يشيدون بذكر ذلك حتى يوهموك انه عندهم علم منظم بأصول وقواعد، فان ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدى معلومات أولية وملاحظات بسيطة لا يصح أن تسمى علما ولا شبه علم، أما القواعد والبحث المنظم الذي يسمى علما للعرب الجاهلين به، وفي مقدمة ابن خلدون ص ٢١٤ ما يؤيد ذلك.

اللغة:

يقول المؤلف: تدل اللغة على الحياة العقلية من ناحية إن لغة كل امة في كل عصر مظهر من مظاهر عقلها، فلم تخلق اللغة دفعة واحدة، ولم يأخذها الخلف من السلف كاملة، إنما تخلق أو يخلق الناس في أول أمرهم ألفاظا على قدر حاجاتهم، فإذا ظهرت أشياء جديدة خلقوا لها ألفاظا جديدة وإذا اندثرت أشياء قد تندثر ألفاظها، لذلك نرى اللغة في حياة وموت مستمرين، وكذلك الاشتقاقات والتعبيرات فهي أيضا تنمو وترقى تبعا لرقي الأمة، هذا ليس فيه مجال للشك، ولما كان هذا أمكننا إذا أحضرنا معجم اللغة الذي تستعمله الأمة في عصر من العصور أن نعرف الأشياء المادية التي كانت تعرفها والتي لا تعرفها. ثم يقول: انه نستطيع إذا حصرنا الكلمات العربية المستعملة في الجاهلية أن نعرف ماذا كانوا يعرفون عن الماديات. ولكن للأسف لم

يوضع معجم كهذا ولا نستطيع أن نوضعة وذلك لأنه يقف في سبيل ذلـك جملـة عقبات: نوجزها فيما يلي:-

أولاً:- أن أكثر الشعر و النثر الجاهلين قد ضاع (لاحظ هنا هذه الملا حظة القيمـة المهمة) و يستدل مؤلفنا على ذلك بقول أبو عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلاأقلـه").

ثانيا:- أن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون قبائل، وهذه القبائل تختلف فيما بينها - كثرة و قلة - في اللغة وفى اللهجة - وهذه اللغات بدء توحيدها قبل الإسلام.(لنـا هنا سؤال هل يوجد ما يدل على ذلك ؟!!)- واستمر العمل في الإسلام ويضـرب مثلا إن اختلاف بيئة كل قبيلة، لا يجعل من الصحيح لنا إذا عثرنا على كلمة في شعر شاعر أن نستدل على الحياة العقلية للعرب أجمعين.

ثالثاً: أن كثيراً من الألفاظ العربية خلق في العصر الاسلامى." قال أبـن جـنى " في الخصائص: أن العربي إذا قويت فصاحتة وسمت طبيعته تصرف وأرتجل مالم يسبق إليه، و هناك ألفاظ تغيرت معانيها في الإسلام، كان يكون المعنى عاما في الجاهلية و خصص في الإسلام، كالصلاة و الزكاة و الحج و البيع و المزارعة و نحو ذلك، بل إن اللفـظ الواحد قد يتغير مدلولة في عقل السامع بانتقالة من طور الحضارة فلفظ الكرسـي في ذهن البدوي ابسط شيء يطلق عليه اسم الكرسي، و في ذهن الحضـري أشـكال مختلفة لم يكن يتخيلها البدوي.

و بالنسبة لمعجم الألفاظ للجاهليين قبل الإسلام يقول كاتبنا إن ذلك مطلب عسـير المنال و يقول إن في القرآن غناء عن ذلك، قد نزل بلغة العرب و فهمه العرب وقت

نزوله و نصه لا يحتمل الشك و تستطيع أن نتعرف منه لغة الجاهليين، و لكن ألفاظه و تعبيراته و معانيه لا تمثل لغة الجاهليين بأكملها، لأن القران استعمل ألفاظا لم يكـــن يستعملها الجاهليون، و خصص ألفاظ لمعاني لم يكن يخصصها الجاهليون، و له أسلوب أخاذ كان بعيدا عن أسلوب الجاهلين و له معان كذلك.

قال "السيوطي" في المزهر: قال ابن خالوية: إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإســـلام للزمن الذي كان قبل البعثة، و "المنافق" اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية قال ابـــن الإعرابي: لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم كلمة " فاسق" أفلا نســـتطيع بعد ذلك أن نقول إن معجم القرآن و معانيه و أمثاله تمثـــل الحيـــاة العقليـــة مـــن الناحية اللغوية.

وبعد قمع كل هذه العقبات نري أن ما يسلم من شعر و مثل صحيحين يدلنا- نوعا ما علي حياقم العقلية – و ما تبقى لدينا من شعر فيدلنا على غنى معجم اللغة قبيـــل الإسلام (؟؟؟!!!) و خاصة فيما يتصل بنوع معيشتهم و قد عبر عن ذلـــك الأســـتاذ "نولداكه" خير تعبير إذ يقول إنا ليتملكنا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القـــديم (لاحظ إن الأستاذ احمد أمين قد نفى وجود مثل هذا المعجم) إذا ذكرنـــا مقـــدار بساطة الحياة العربية وشئونها وتوحد مناظر بلادهم واطراد هـــا اطـــرادا يـــدعو إلى السآمة والملل، وهذا يستتبع حتما ضيق دائرة التفكير، ولكنهم داخل هذه الـــدائرة الضيقة وضعوا لكل تغير – وان قل- كلمة تدل عليه ويجب أن تقر بان معاجم اللغة العربية قد تضخمت كثيرا بكلمات استعملها الشعراء وصـــفا لأشـــياء، فـــذكرها اللغويون على إنها أسماء لتلك الأشياء، فمثلا إذا أطلق شاعر كلمة "الهيصم " علـــى

الأسد من الهضم وهو الكسر، وأطلق عليه أخر "الهراس " من الهرس وهو الدق، وضع أصحاب المعجم الكلمتين على أنهما اسمان مرادفان للأسد.

وقد ادخل باب الهجاء -على الأخص – في اللغة وفى الأدب وهو باب ذهب أكثر ما قيل فيه – تعبيرات كثيرة صاغها قائلوها في صور مبتكرة وأحيانا غريبة، وقد انتقض اللغويون كلمات وردت في بعض الأشعار على قلة ولم تكن مستعملة إلا في قبائل معينة ولكن رغما عن هذا كله يجب أن نعترف بان معجم اللغة العربية غنى غنا رائعا، وسيبقى دائما مرجعا هاما لتوضيح ما غمض من التعبيرات إلى جميع اللغات السامية الأخرى.

ويقول كاتبنا انه يوافق الأستاذ" نولداكه " في غنى اللغة العربية غنا مفرطا في الحدود التي رسمتها لهم بيئتهم، فهم أغنياء الجمل وما إليه، والصحراء وما فيها وألفاظ العواطف المحدودة التي يجيش في صدورهم ولكن ليست غنية فيما خرج عن هذه الحدود كالبحر وعالمه ولا بأنواع الترف التي ينعم بها المنغمسون في الحضارة. ولم يكن يتطلب منهم في الجاهلية أن يضعوا كلمات لما لم يعرفوه في حياقم كنظام الحكومات و لا أنواع الدواوين.وللغة دلالة أخرى على الحياة العقلية من حيث ما تستخدم فيه اللغة من شعر و مثل وقصص.

الشعــر

يقول الأستاذ احمد أمين:- يذهب بعض الباحثين كالأستاذ " برور" في كتابه "تــاريخ الفلسفة في الإسلام" إلى إن الشعراء في الجاهلية كانوا هم أهل المعرفة، يعنون بــذلك إن طبقة الشعراء في الجاهلية كانوا اعلم أهل زمانهم، وليسوا يعنــوا بالضــرورة اى نوع من أنواع العلم المنظم، إنما يعنون أنهم اعلم بما يتطلبه نوع معيشــتهم كمعرفــة الأنساب و مثالب القبيلة ومناقبها، وقد يساعد على هذا الــراى اشــتقاق المــادة، "فشعر " في الأصل معناه علم وشعرت به: علمت به، وليت شعري ما صنع فــلان، اى ليت علمي يحيط بما صنع، وقوله سبحانه:

(وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) اى ما يدريكم. وشعر بكن: فطن كما في اللسان، فالمادة كلها معناها العلم أو المعرفة وعليه فيكون الشــاعر معنــاه العــالم: والشعراء: العلماء. ثم خصصوا الشعر بهذا الضرب من القول: قــال في اللســان:- والشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية وان كان كل علم شعرا من حيث غلب الفقه على علم الشرع وربما ساعد على هذا أيضا ما جــاء فيــه: قــال "الازهرى": الشعر القريض المحدد بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقال الشاعر لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، اى انه يعلم ولكن يرى بعض المستشرقين إن كلمــة شعر مأخوذة من اللغة العبرية (لاحظ هنا القول: بعض المستشرقين) ففيهــا "شــير" بمعنى الترتيلة أو التسبيحة القدسية ويرجحون ذلك بانه لم يرد في اللغة العربية شــعر بمعنى ألف البيت أو القصيدة وكل ما فيها شعر بمعنى قال الشعر وفــرق بينــهما -

وهل" شير" بمعنى الترتيلة أو التسبيحة ولكن بمعنى ردد لان الترتيـــل لا يكـــون إلا بالترديد وليس له اى علاقة بالتأليف.

وبعد فهل حقا إن الشعراء اعلم الطبقات في الجاهلية، نحن (كما يقـــول الكاتـــب) تشك في هذا كثيرا لأننا نرى انه كان في الجاهلية طبقة أخرى هـــي طبقـــة الحكـــام وهؤلاء كانوا يحكمون بين الناس إذا تشاجروا في الفضل والنسب وغير ذلك وكان لكل قبيلة حاكم أو أكثر، كالحاجب ابن زرارة والأقرع بن حابس وعامر بن الـــبر. وما روى عنهم في كتب الأدب من أقوالهم وإحكامهم يدلنا على إنهم ارقـــي عقليـــة واصدق رأيا من الشعراء، وان كان الشعراء أوسع خيالا وأكثر في القول افتنانا. نعم إن الشعراء كانوا من ارقي الطبقات عقلا، بدليل ما صدر عنهم من شـــعر وبـــدليل أحاديث مبعثرة نراها تدل على اعتداد الشعراء بأنفسهم من ناحية الرقـــى العقلـــي كالذي جاء في سيرة ابن هشام إن " الطفيل الدوسى" قدم مكة ورســـول الله بهـــا – صلى الله عليه وسلم – فحذره رجال من قريش من سماع النبي حتى لا يتأثر بقولـــه، قال الطفيل فمازا لون بي حتى أجمعت إلا اسمع منه شيئا، ثم قلت في نفسي: واثكـــل امي: والله أنى رجل لبيب شاعر، ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعني مـــن إن اسمع من هذا الرجل ما يقوله. فان كان الذي ياتى به حسنا قبلته، وان كان قبيحـــا تركته، أضف إلى ذلك إننا نجد أكثر الشعراء في الجاهلية من أكرم الناس على قومهم لان موقف الشاعر في قبيلتة كان التغني بمناقبها ورثاء موتاها، وهجاء أعدائها، وقـــل أن تجد في أول أمرهم من كان صعلوكا يتخذ الشعر حرفة كما فعل "الحطيئة" بعد ثم

يضيف كاتبنا في ختام مقاله هذا: القول ومع هذا فانا نرى أن الشعراء كـــانوا مـــن ارقي طبقاهم عقلا، لكن ليسوا أرقاهم.

دلالة الشعر على الحياة العقلية:-

قديما قالوا إن الشعر ديوان العرب "يعنون بذلك " انه سجل سجلت فيه أخلاقهـــم وعاداهم وديانتهم وعقليتهم وان شئت فقل إهم سجلوا فيه أنفسهم، وقديما انتفـــع الأدباء بشعر العرب في الجاهلية فاستنتجوا منه بعض أيامهم وحروبهم، وعرفوا منـــه أخلاقهم التي يمدحوها والتي يهجوها، واستدلوا على جزيرة العرب وما فيها من بلاد وجبال ووديان وجبال وسهول ووديان ونبات وحيوان وما كانوا يعتقدون في الجـــن وفى الأصنام والخرافات وألفوا في ذلك جميع الكتب المختلفة.

وكانت الطريقة المثلي للانتفاع بهذا " الديوان " إن يعنى العلماء بجمـــع مـــا صـــح عندهم من الشعر الجاهلي، مع نقد السند والمتن، وإبعاد ما لم يصح كما فعل المحدثون في الحديث، فليس لدينا مجموعة من الشعر الجاهلي ذكر سندها، وعنى ببيان رجالهـــا عناية تامة كالذي عندنا من صحيح البخاري ومسلم وغير هما، وكان يجب إن يعـــنى بالشعر الجاهلي هذه العناية متى عددناه "ديوانا" نسجل فيه الحـــوادث والعـــادات ونظرنا إليه كأنه وثائق تاريخية، ولكن يظهر إن هذا النظر إلى الشعر الجاهلي لم يكـــن سائد عند الرواة والأدباء، وإنما كان السائد عندهم أو عند أكثرهم النظر إليه كمادة لتعليم اللغة، أو كأنه طرفة وملهى ومادة لحسن المحاضرة، فلم يكن يعنى بـــه هـــذه العناية التي بذلت في الحديث، ولم ير من يتعمد الكذب فيه إن يتبوأ مقعده من النار.

نعم إن بعض الأدباء صار في الأدب سيره في الحديث فكان يـروى الخـبر معنعنـا، ووضع بعضهم مصطلحات لرواية الأدب على خط مصطلح الحديث، ولكن يظهـر لنا إنها كلها محاولات أولية لم تنضج ولم يسيروا فيها إلى النهاية. ويقول مؤلف كتاب " فجر الإسلام" كذلك أكثر ما روى لنا قد عنى فيه بالمختارات اكبر عناية، وهم في هذا ينظرون نظرة الأديب لا نظرة المؤرخ فالقصيدة التي لم يحكم نسجها ولم تهـذب ألفاظها ولم يصح وزنها قد يعجب بها المؤرخ أكثر من اعجابة بالقصيدة الكاملة مـن جميع نواحيها ويرى فيها دلالة على الحياة العقلية أكثر من قصيدة راقية، ولعل هـذا هو السبب في أنا مع اعتقادنا أن الشعر كان خاضعا للنشوء و الارتقاء، قل إن نرى فيما يروى لنا منه المحاولات الأولية التي بدأ بها الشعراء شعرهم، ثم تدرجوا فيها الى ما وصل الينا من الرقي، ذلك إن الأديب لم يكن يرونة فيهما أو يستضـعف وزنـة فيصلحة، بذلك يضيع كثير من معالم التاريخ.

ثم يضيف: لو كان عندنا هذه المجموعة التي لا يقصد فيها إلى الاختيار ولكن يقصـد فيها إلى الصحيح، لكان لنا مادة صادقة للدلالة على أشياء كثيرة فيها الحياة العقلية.

ومع هذا فما لدينا يمثل بعض الشيء – وإن لم يكن وافيا كما ذكرنا من قبل.

وأشهر المجموعات التي لدينا مما نسب إلى الجاهلية عدا دواوين الشعراء وهي:–

المعلقـات السـبع، ويغلـب علـى الظـن أن جامعهـا حمـاد الراويـة.

المفضليات: وجامعها "المفضل الضـمني" وتشـتمل علـى نحـو ١٢٨ قصـيدة.

ديوان الحماسة لأبي تمام، وفية مقطعات كـثيرة صـغيرة مـن الشـعر الجـاهلي.

ومثلة حماسة البحتري.

وفي كتاب الاغاني، والشعر والشعراء لابن قتيبة أشعار و مقطعات كثيرة للجاهلين ، مختارات ابن الشجرى ، جمهرة أشعار العرب لمن يسمى أبا زيد القرشي.

والشعر الذي وصل إلينا عن الجاهلية لم يتعد تاريخ أقدمة ١٥٠ سنة قبل البعثة. ونظرة عامة إليه تدلنا على أنه ليس متنوع الموضوعات كثير لا غزير المعاني ، فما روى لنا من القصائد موسيقاه واحدة يوقع على نغمة واحدة، والتشابيه والاستعارات تتكرر غالبا، في أكثر القصائد قلة الابتكار وقلة التنوع ولنستعرض كثيرا منها فماذا نرى؟:يتخيل الشاعر انه راحل على جمل ومعه صاحب أو أكثر، وقد يعرض له في طريقه اثر أحبة رحلوا فيستوقف صحبه ويبكى معهم على رسم دارهم، ويذكر أياما هنيئة قضاها معهم وان العيش بعدهم لا يحتمل ثم يصف محبوبته إجمالا وتفصيلا أو يخرج من هذا إلى وصف ناقته وفرسه ويقارنها بالوعل أو النعامة أو الغزال وقد يطفرمن ذلك إلى وصف الصيد ومنظره ومنازلته، وبعد هذا كله يتعرض للموضوع الذي من اجله انشأ القصيدة فيمتدح بشجاعته أو يتغنى بفعال قبيلته أو يعدد محاسن ممدوحة ويصف كرمه أو يفتخر بموقعة انتصر فيها قومه أو يهجو قبيلة تعدت على قبيلته، أو يحمل قومه على الأخذ بالثأر، اويرثى راحلا، وهذه تقريبا كل الموضوعات التي قيل فيها الشعر الجاهلي.

وهي موضوعات محدودة ضيقة كما ترى، وهي ظل حياة الصحراء، وصورة صادقة لعيشة البداوة. والحق إنهم في البيان واللعب بالألفاظ كانوا اقدر منهم على الابتكار وغزارة المعاني، فترى المعنى الواحد قد تورد عليه الشعراء فصاغوه في قوالب متعددة

تستدعي الإعجاب، ولكن لا يستدعى إعجابنـــا خلقهـــم للمعـــاني وابتكـــارهم للموضوعات، وقد عبر عن ذلك بقولـــــــــه:-

هل غادر الشعراء من متردم...أم هل عرفت الدار بعد توهم

وزهير إذ يقول:-

ما أرانا نقول إلا معادا..........أو معادا من لفظنا مكرورا

ويقول: ولكن ضيقوا على أنفسهم أو قل ضيقت عليهم بيئتهم فلـــم يجـــدوا إلا إن يقولوا معادا.

اللهم إلا أبياتا قليلة مبعثرة تشعر فيها بمعنى جديد، وترى فيها أثرا للابتكار واضحا، وألا شعراء كانت لهم مناح خاصة وشخصية واضحة، وتسمع لقولهم نغمة جديـــدة كالذي تراه في "زهير" فقد عنى بأخلاقية قومه وعبر عنها تعبيرا صادقا.

كذلك تشعر حين تقرأ الشعر الجاهلي -غالبا- إن شخصية الشاعر اندمجت في قبيلته حتى كأنه لم يشعر لنفسه بوجود خاص وانك لتتبين هنا بجلاء في معلقة عمـــرو بـــن كلثوم، وقل إن تعثر على شعر ظهرت فيه شخصية الشاعر ووصف ما يشـــعر بـــه وجدانه واظهر فيه انه يحس لنفسه بوجود مستقل عن قبيلته.

ولما انتشرت اليهودية والنصرانية بين العرب ظهرت نغمة دينية جديدة، تراها في مثل شعر عدى بن زيد في الحيرة ثم في " أمية بن أبي الصلت " في الطائف.

وخلاصة القول: إن الشعر الجاهلي لا يدلنا على خيال و اسع متنوع و لا علي غزارة وصف المشاعر و الوجدان بقدر ما يدلنا علي مهارة في التعبير وحسن بيان في القول.

الأمثـــــال

يقول علماء اللغة العربية إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء – ومثلـــه كما تقول شبهه ويشبهه، لان الأصل فيه التشبيه، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا، ويرى غيرهم إن الكلمة مأخوذة من العبرية، ففيها كلمة "مشل" تدل على هذا المعنى وأوسع منه، فهم يطلقونها على الحكمة السائرة، وعلي الحكاية الصغيرة ذات المغزى وعلى الأساطير.

ثم يقول – الكاتب الفاضل– وعلى كل حال فسنبحث في الأمثال – فقط من ناحية دلالتها العقلية، فمن أمثال الأمة تستطيع إن تتفهم الدرجـــة الـــتي وصـــلت إليهـــا وتستطيع إن تعرف كثيرا من أخلاقها وعاداتها وللأمثال من هذه الناحية ميزة علـــى الشعر، ذلك إن الشعر تعبير طبقة من الناس يعبرون في مستوى ارقي مـــن مســـتوى العامة، فالشعراء يعبرون عن شئون القبيلة التي ارتسمت في أذهانهم الراقية–نوعا من الرقى – وهم يعبرون بألفاظ مصقولة يستوجبها الشعر: إما الأمثال فكثيرا ما تنبع من أفراد الشعب نفسه وتعبر عن عقليته العامة ولذلك نجد كثيرا منها غير مصقول أعنى انه لم يتخير لها الأدباء ولا العقلاء الألفاظ، مثل قولهم: ما قطع ضب ذنبه– وقولهم " أم قبيس وأبو قبيس كلاهما يخلط خلط الجس وربما كان هذا هو السبب في إن بعض

الأمثال يفهم معناها أجمالا، لا تفصيلا. قال أبو هلال العسكري في كتابــه "جمهــرة الأمثال" في شرح " شكل مثل ": أن معناه (أعجل) وهو من الكلام الــذي عــرف معناه سماعا من غير إن يدل عليه لفظا، وهذا يدل على إن لغة العرب لم تــرد علينــا بكاملها وان فيها أشياء لم يعرفها العلماء. ويقول المؤلف انه يرى إن هذا يدلنا علــى إن ما وصل إلينا من الشعر والخطابة ونحو ذلك هو لغة الأدبــاء المصــقولة لا لغــة الشعب والعامة ولم يصل إلينا من لغة العامة إلا بعض الأمثال. ثم يضــيف كاتبنــا: ولست أعنى إن كل الأمثال ساقطة التعبير غير مصقولة الألفاظ ولكن أعنى إنها تمثل الشعب باجمع، ومن اجل هذا عبر بعضهم عن المثل بأنه " صوت الشعب" ومن اجل هذا أيضا كانت دلالة المثل والأمثال على لغة الشعب اصدق دلالة من الشــعر. رأى الباحثون في الأمثال إن هناك نوعا منها يكاد يكون شائعا بين الشعوب كلها، ونــوع أخر تختلف فيه الأمة عن الأخرى، والنوع الأول موضوع البحث: كيــف اتفقــت الأمم في هذه الأمثال ؟؟!!. وخصوصا في اللغات ذات الأصل الواحــد كاللغــات السامية ففيها أمثلة متقاربة، وفى الأمثال العربية مشابهة قريبة لأمثــال ســليمان، لا تختلف عنها إلا في صوغها في القالب العــربي أو تحويرهــا تحــويرا طفيفــا لتتفــق والذوق العربي.

والنوع الثاني موضوع البحث: لم كان ذلك في هذه الأمة وكان غير ذلــك في امــة أخرى ؟؟ فالأمة الزراعية لها أمثال مشتقة من زراعتها، والتجارية لها أمثال مشتقة من تجارتها وهكذا، ولذلك فقد أكثر العرب من الأمثال المتعلقة بالإبل وشئونها: فقالوا: " استنوق الجمل " وإنما يخزى الفتى، ليس الجمل " و" أغدة كغــدة الــبعير" وهكــذا

أمثالهم في اللبن والجذور، إما أمثال قريش فكانت تدل على إنهم قبيلة تجارية كقولهم " لا في العير ولا في النفير" ونحو ذلك. وقد عاق على الاستفادة من الأمثال العربية من هذه الناحية أمران:

الأولى: اختلاط الأمثال الجاهلية بأمثال الإسلام اختلاطا كبيرا حتى ليصعب التفريق بينهما، وهذه أول خطوة يجب التحقق منها قبل الاستدلال بالأمثال على الحياة العقلية (لماذا كان هذا ؟؟!!) وقد رووا إن "علاقة الكلابي " جمع الأمثال في عهد يزيد بن معاوية، وقد كان هذا يفيدنا كثيرا لووصل إلينا إذ لا يكون قد ذكر فيه إلا الأمثال الجاهلية وصدر الإسلام، ولكنه لم يصل. الأمر الثاني من وجه الصعوبة: إن أكثر جامعي الأمثال رتبوها على حسب حروف الهجاء. فجعلوا إما أوله " ألفا، ثم ما أوله باء " وهكذا، ولم نر فيما نعلم أحدا رتبها على حسب أصولها الاجتماعية، كان يجمع الأمثال التي تتعلق بالغنى والفقر وبالعمر وأطواله وبالزواج والأسرة، وبالعمل والتجارة، وبالحظ وما إليه، ولو فعلوا ذلك كما فعل بعض مؤلفي الفرنجة في أمثالهم لأفادونا فائدة كبرى. وقد شاع بين العرب في الجاهلية ذكر لقمان واتخذوه شخصية هي مثال الحكمة. ويزعم بعض العلماء إن هناك لقما نين: " لقمان الحكيم "، " ولقمان عاد". وان لكل واحد منها وردت أمثالا، وبعد إن نحن نظرنا إلى أمثال العرب التي نسبت إلى الجاهلين وجدنا بعضها سخيفا يستخرج منك ابتسامة الاستهزاء، وأقوال ساقطة التعبير وبعضها قبيح اللفظ في فحش وبعضها نظرات للحياة متناقضة، مثل: " سمن كلبك ياكّلك "، أو " أجع كلبك يتبعك " وكثير منها نتيجة تجربة صادقة ونظر هادىء حكيم مثل "أخر الظلماء أعشى بالليل " أو " إن من

الحسن لشقوة"، " وأم الصقر مقلات النذور"، " وتجوع الحرة ولا تآكل بثديها "، " والثمرة إلى الثمر تمر والثكلة تحب الثكلى وبينهم داء الضـــرائر " وتـــرى الفتيـــان كالنحل وما يدريك ما الدخل".

و العرب حقا أجادوا في هذا النوع من الأدب وخلفوا لنا ما يدل على عقليتهم أكثر مما يدلنا الشعر و القصص، ويظهر إن سبب ذلك يوافق مزاجهم العقلى، وهو النظر الجزئي الموضعي لا الكلى الشامل لان المثل لا يستدعى احاطة بالعلم و شـــئونة ولا يتطلب خيال واسع ولا بحث عميق، إنما يتطلب تجربة محلية في شان من شئون الحياة.

تدلنا الأمثال على حياة العرب الاجتماعية فنظرة إلى مجموعة الأمثال التي قيلـــت في المرأة تدل على انحطاط مترلتها في نظرهم و التي قيلت في الحياة الاقتصادية تدل على فقر البلاد واجداها. وهناك نوعان آخران يلحقان بالأمثال و هما:-

الأول: الاحاجى و الإلغاز: وترى كثيرا منها قد نثر في كتب الأدب كما في كتـــاب " الحيوان للجاحظ" و المثل السائر لابن الأثير " أمثال الميداني"

الثاني: قصص الحيوان: كالذي زعموا إن النعامة ذهبت فطلبت " قرنيين فرجعت بلا اذنيين".

القصص:

كان للعرب قصص وهو باب كبير من أبواب أدبهم وفية دلالة كبيرة على عقليتـــهم. وهذه القصص في الجاهلية أنواع منها:-

١. أيام العرب: وهى تدور حول الوقائع الحربية التي وقعت في الجاهلية بين القبائل:" كيوم داحس، و الغبراء ويوم الفجار ويوم الكلاب أو بين العرب و أمم أخرى، كيوم "ذي قار " وكان بين شيبان و الفرس وانتصر فيه العرب وكانت هذه القصص موضوع للعرب في سمرهم في جاهليتهم وفى إسلامهم، يضرب لذلك مثلا: قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال كنا نتناشد الشعر، ونتحدث بإخبار جاهليتنا "وترى هذه الأيام وإخبارها مجموعة "في العقد الفريد " "وأمثال الميداني وقد زاد القصاص في بعضها وشوهوا بعض حقائقها.

أحاديث الهوى: وهذا كثير في كتب الأدب كالذي رووا من قصة " المنحل اليشكرى " و المتجردة زوج النعمان وما كان بينهما من علاقة، وما قيل في ذلك من قصص وما روى من أشعار(انظر الاغانى جزء ١٨ ص ١٥٤). وهناك نوع من قصص العرب أخذوه من أمم أخرى و صاغوه في قالب يتفق و ذوقهم كقصة " شريك مع المنذر"(ص٦٧ من كتاب فجر الإسلام) ثم يضيف إن لهذه القصة أصلا يونانيا معروفة، وكقصة رجل من " بني ضبة" في الجاهلية وقوله إن لها شبها قصة من قصص المسيحية الأولى ص ٦٧ من كتاب فجر الإسلام. وقد عرفت العرب في الجاهلية قصصا كثيرة من الفرس وكانوا يروونها و يتسامرون بها وجاء في سيرة ابن هشام إن "النضر بن الحارث " كان من شياطين قريش وممن كانوا بأذون النبي صلى الله علية و سلم و ينصب له العداوة و قد قدم الحيرة و تعلم بها أحاديث ملوك الفرس و أحاديث " رستم" و " اسفنديار" فكان إذا

جلس رسول الله صلي الله عليه و سلم مجلسا فذكر الله وحذر قومه مما أصاب الأمم من قبلهم، خلفه في مجلسة إذا قام، ثم قال: إنا و الله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلم إلى، فانا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس " ورستم " و اسفند يار، ثم يقول: بما ذا محمد أحسن حديثا منى !! ، قال" بن هشام" وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما انزل الله ؟!!.(أبن هشام جزء ١ ص ١٩٠ من الروض الأنفسا) .

المراجع لهذا الباب كما يقول الأستاذ احمد أمين

١. دائرة المعارف الإسلامية في مادة " عرب " و " حمير" و " كهلان" وغير ذلك من مواد أخرى متفرقة.

٢. كتاب العرب قبل الإسلام " لأوليرى" **Oleary: Arabia before Mohamed.**

٣. دائرة المعارف البريطانية في مادة اللغة العلمية

٤. كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب

٥.أمثال الميداني و أمثال أبي هلال العسكري و أمثال المفضل الضبي .

وعن الحركة العلمية وصفها ومراكزها

يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام:الباب الخامس ص١٤٠:-
تركنا العرب في الجاهلية، وليس لهم علم ولا فلسفه ولم يكن بينهم من يصح أن يسمى عالما إلا قليل، وعلى تجوز في إطلاق كلمة عالم، كالحارث بن كلده والنضر بن الحارث.
وقد كان الجهل فاشيا فيهم والأمية شائعة خصوصا في الأقطار البدوية ولما قدمنا من إن الكتابة والعلم إنما يكثران حيث يكثر العمران.ويقول ابن خلدون؛ إن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، وهؤلاء تعلموا من الحميريين، وسواء صح هذا أم لم يصح، فيقول إن البلاذرى؛ قد روى لنا في كتابه "فتوح البلدان"؛ إن الإسلام دخل وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب:عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيده بن الجراح، وطلحه.ويزيد بن أبي سفيان، وأبو حذيفه بن عتبة بن ربيعه، وحاطب بن عمرو، وأبو سلمه بن عبد الأسد المخزومى، وأبان بن سعيد بن العاص بن أميه، وخالد بن سعيد وأخوه عبد الله بن سعيد بن أبي سرح العامرى، وحويطب بن عبد العزى العامرى، وأبو سيفان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان وجهيم بن الصلت.ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي (من كتاب فتوح البلدان طبع أوربا ص٤٧١ وما بعدها) وقليل من نسائهم كن يكتبن كحفصه وأم كلثوم من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، والشفاء بنت عبد الله العدويه، وكانت عائشة أم المؤمنين تقرا المصحف ولا تكتب، وكذلك أم سلمه.فإذا كانت

قريش، رغما عن تقدمها في الشئون التجارية، ليس فيها إلا سبعة عشر كاتبا. وكان الكاتبون في غيرها من القبائل المضريه أندر، ويروى البلاذرى أيضا إن الكتاب(يريد الكتابة بالعربية) كما يقول المؤلف –في الاوس والخزرج كان قليلا، وكان بعض اليهود قد علم (كتاب) العربية وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفى الاوس والخزرج عده يكتبون، قد عدهم فكانوا احد عشر ولندرة الكتابة كانوا يلقبون من جمع بين معرفة الكتابة و الرمي و العوم " الكامل" فلقبوا بهذا اللقب " سعد ابن عبادة"، و "أسيد بن حضير" و "عبد الله بن أبيّ" و في الجاهلية لقب به "سويد بن الصامت.

فلما جاء الإسلام استكتب رسول الله صلى الله عليه و سلم بعض هؤلاء الذين يعرفون الكتابة لكتابة ما يتزل من القرآن، فكان أول من كتب مقدمه المدينة أبيّ بن كعب الأنصاري، فكان أبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله علية و سلم. زيد بن ثابت الأنصاري فكتب له. فكان أبي و زيد يكتبان الوحي بين يديه، و كتبه إلي من يكاتب من الناس و غير ذلك، و أول من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد. (البلازري ص٤٧٣) ثم كتب له صلي الله عليه و سلم بعد هؤلاء عثمان بن عفان و هكذا. ثم يقول ص ١٧٠: نلاحظ إن الدين و الفن و العلم و الأدب تنبع دائما من المدن و تزدهر فيها، و كان ذلك في القديم و هو كذلك في الحديث فأنت الآن تري الأفكار الجديدة و أراء المصلحين إنما تنشأ في المدن أولا، و كذلك معاهد العلم و الآداب و الفن من مدارس و جامعات و مكتبات و صحف و

متاحف، إنما تعظم وتكثر في المدن لا في القرى.

ولذلك أسباب أهمها:

إن المدن أكثر ناسا وأوفر عمرانا وذلك نتيجة لوفرة المؤن، ولذلك يجد أهل المدن زمنا يصرفونه في غير كسب القوت مما يستتبع نوعا من الرقى السياسي يستطيع الناس معه إن يتبادلوا الآراء والأفكار فينشأ الرأي وينشأ العلم ويزهو الأدب.

ومن ص ١٧١: من "فجر الإسلام " يقول المؤلف إن الحجاز كان قطرا فقيرا خلا من الأنهار وكسيت أرضه غالبا بالصخور والرمال واشتدت حرارته فلم تسمح للنبات إن ينمو إلا في وديان مبعثرة هنا وهناك، يعيش أكثر أهله عيشة بدوية، لم يتصلوا بالعالم الذي حولهم إلا للتجارة، ولم تتعاقب عليهم مدنيات مختلفة تورثهم حضارة وعلما.

ولم يصل إليهم من العالم المتحضر إلا إثارة من اليهودية والنصرانية، وقليل من الحكمة والفلسفة من طريق غير معبد، ومع هذا فإنهم وان لم يرثوا مدنية وعلم عن أمم حكموهم وتعاقبوا عليهم، فقد أورثهم استقلالهم أنفة وعزة بالنفس وحرية جاوزت الحد حتى لقد حاولوا إن يكونوا ملوكا أجمعين.

ثم جاء الإسلام فكان لمدينتي الحجاز – أعنى مكة والمدينة – شأن علمي كبير، ولكنه العلم الديني المطبوع بالطابع العربي، فأما مكة فلأنها كانت منبع الإسلام وبها كانت نشأة محمد صلى الله عليه وسلم، وبها كانت الإحداث الأولى من دعوة قريش إلى الإسلام، ومناهضتهم الدعوة وبها كان التشريع المكي وهو لا يفهم فهما حقا حتى يفهم ما كان يحيط به من ظروف مكية.

وإما المدينة فمهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وبها كان أكثر التشـــريع الاســـلامى، وكانت منبعا لأكثر الإحداث التاريخية في صدر الإسلام، وبها حدث النبي صـــلى الله عليه وسلم أكثر حديثه.

وكانت مركز الخلافة في أهم عصر من عصور الإسلام أيام أبي بكر وعمر وعثمـــان بن عفان وبها كان كثير من أكابر الصحابة قد شاهدوا ما فعل النبي وسمعوا ما قال. وكانوا شركاء في بعض ما وقع من أحداث كغزوات وفتوح فهم يحدثون بما سمعـــوا وشاهدوا. فلاغرو إذا كانت مكة والمدينة مركزيين من أهم مراكز الحياة العلمية في ذلك العصر يقصدهما طلاب الحديث وطلاب الفقه و طلاب التاريخ، وقد فاقـــت المدينة مكة في ذلك، لان اشهر من اسلم من أهل مكة هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان من يسلم بعد الهجرة من أهل مكة يهاجر كذلك.

ثم يضيف: لهذا كانت مدرسة المدينة أغزر علما وابعد شهرة تخرج فيها أكثر علماء ذلك العصر في التفسير والحديث والفقه والتاريخ يقصدها طلبة العلم من اقاصـــي البلاد ولتلقى العلم عن علمائها. فابن الاثير يحدثنا إن عبد العزيز بن مروان بعـــث ابنه "عمر" إلى المدينة للتأدب بها. ونرى محمد ابن اسحق "الواقدى" نشـــأ بالمدينـــة وتخرجا في مدرستها فكان عليهما اعتماد كل من كتب بعدهما في المغازى والســـير هذا طبيعي، فمن احفظ لحديث رسول الله واخبر بغزواته واعرف بحياتـــه وحيـــاة خلفائه من أهل المدينة.

أما عن مدرسة مكة:- فيقول كاتبنا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وســـلم مكـــة خلف فيها "معاذا" يفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القران وكان "معاذ"

من أفضل شباب الأنصار علما وحلما وسخاء وقد شهد المشاهد كلها مع رسـول الله وكان يعد من اعلم الصحابة بالحلال والحرام و من أقرئهم بالقران وممـن جمـع القران على عهد الرسول، وقد روى عنه ابن عباس وابن عمر ثم يضيف انه كـان من مشهوري الطبقة الخامسة في مدرسة مكة سفيان بن عينيه، ومسلم بـن خالـد الزنجي وكلاهما كان من الموالى وعليهما اخذ الإمام الشافعي القرشي علمه في نشأته الأولى ثم تحول بعد إن بلغ العشرين من عمره نحو المدينة يتم فيها دراسته.

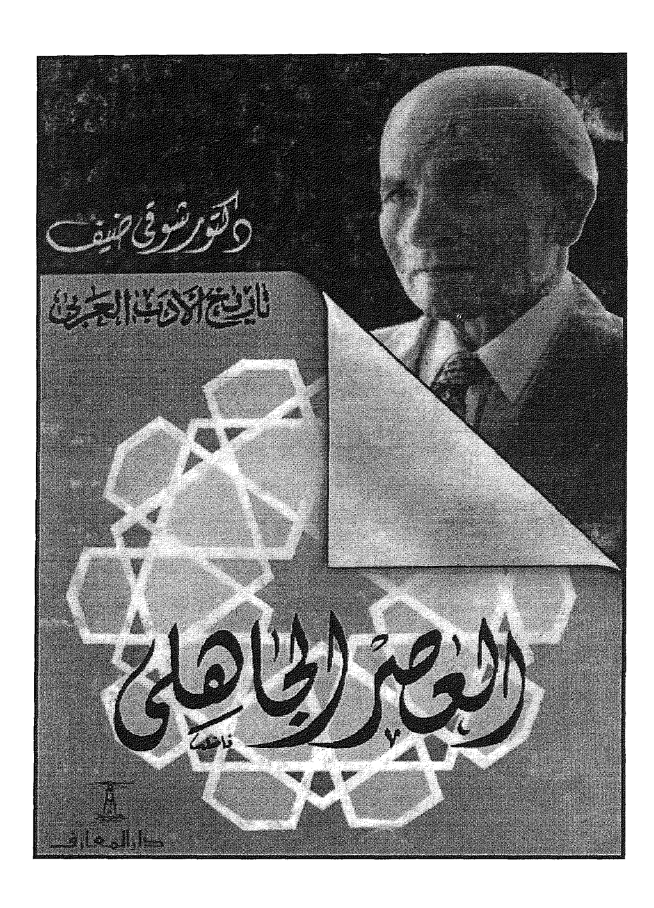
إما مدرسة المدينة فقد اشتهر فيها كثير من الصحابة كعمر وعلى ولكن اشهر مـن امتاز بالعلم فيها وتخصص للحياة العلمية وكثر بها اصحابه وتلاميذه "زيد بن ثابت " و"عبدالله بن عمر بن الخطاب" وكان زيد بن ثابت انصارى صحب النبى صـلى الله عليه وسلم منذ صباه وتعلم السريانية والعبرية فقد حث النبى صلى الله عليه وسـلم كما جاء فى ص ١٤٢ – بعض اصحابه ان يتعلموا لغة غير اللغة العربية لما دعـت الحاجة الى ذلك بعد انتشار الاسلام ففى البخارى عن زيد بن ثابت قـال اتـى بى النبى صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة فقيل هذا من بنى النجار وقد قرأ سبعة عشرة سورة ، فقرأت عليه فاعجبه ذلك فقال : تعلم كتاب (كتابة) يهود ، فانى ما امنهم على كتابى ، ففعلت فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته ، فكنت اكتب لـه اليهم ، واذا كتبوا اليه قرات له . وفى حديث اخر عن زيد بن ثابت " قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم انى اكتب الى قوم فاخاف ان يزيدوا على او ينقصـوا ، فتعلم السريانية فتعلمتها فى سبعة عشر يوما .

ثم مدرسة الكوفة :- من ص ١٨٤ نزل الكوفة من اصحاب رسول الله كـثيرون ، وكان اشهرهم فى العلم على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود .

مدرسة البصرة :- كذلك نزل فى البصرة عدد كبير من الصحابة اشهرهم فى العلم ابو موسى الاشعرى ، وانس بن مالك .

اما عن الشام :- من ص ١٨٧ : واشتهر فى الشام كثير من المدن كمراكز للعلـم والحركة العقلية كصور وانطاكية وصيدا وبـيروت ودمشـق وحمـص . اورثهـا الفينيقيون حروف الكتابة والعبريون التعاليم الالهية واليونانيون المذاهب الفلسفية ، والرومان النظريات الفقهية وكان لذلك الاثر الكبير فى عقلية الشاميين ، وقد ذكرنا قبل ذلك طرفا مما كان للسريانيين من حركة علمية فى هذه البقاع وحولها.

مصر: وكان اشهر ويعد بحق مؤسس المدرسة المصرية عبد الله بن عمرو بن العاص ثم يقول وقد اشتهر من مدرسة مصر بعض الصحابة مثل "يزيد بن ابى حبيب (وهـو نوبى الاصل من دنقلة وقد اخذ العلم عن بعض الصحابة المقيمين بمصر).


دكتور شوقي ضيف
تاريخ الأدب العربي
العصر الجاهلي
دار المعارف

وعن العصر الجاهلى

من كتاب تاريخ الادب العربى
(اصدار دار المعارف)
للاستاذ الدكتور / شوقى ضيف
بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٦٠

اولا : معنى كلمة ادب ويقول الها من الكلمات التى تطور معناهـا بتطـور حيـاة العربية وانتقالها من دور البداوة الى أدوار المدنية والحضارة ، وقد اختلفـت عليهـا معان متقاربة حتى اخذت معناها الذى يتبادر الى اذهاننا اليوم وهو الكلام الانشائى البليغ الذى يقصد به الى التاثير فى عواطف القراءاو السامعين سواء اكان شـعرا ام نثر . بينما كانت فى العصر الجاهلى ان لفظة " آدب " بمعنى الداعى الى الطعـام ، ومن ذلك المادبة بمعنى الطعام الذى يدعى اليه الناس واشتقوا من هذا المعنى "أَدَبَ" " يأْدُبُ" بمعنى صنع مادبة او دعا اليها .

بينما جاءت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى معنى قمذيبى خلقى ، ففـى الحديث الشريف " ادبنى ربى فاحسن تاديبى " وفى عصر بنى امية نجد لها معنى ثانيا : وهو معنى تعليمى فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى بالمؤدبين . ويقول ان اكثـر من ارخوا للادب العربى وزعوا حديثهم فى هذا التاريخ على خمسة عصور اساسية:

١ - عصر الجاهلية :– او ما قبل الاسلام .

٢ - العصر الاسلامى :– من ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم الى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢ هـ او ٧٥٠ م وهو العصر الذى تكونت فيه

الدولة العربية وتمت الفتوحات الاسلامية . ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر الى قسمين :-

فهو الى نهاية عصر الخلفاء الراشدين يسمى عصر صدر الاسلام ، وما يليه الى اخر الدولة الاموية ويسمى العصر الاموى .

٣- والعصر الثالث : هو عصر العباسيين او العصر العباسى ويستمر حتى سقوط بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦ او ١٢٥٨ م . ويقسم بعض المؤرخين هذا العصر قسمين : العصر العباسي الاول : ويمتد نحو مائة عام ، والعصر العباسي الثانى ويستقل ببقية العصر.

٤- وباستيلاء التتار على بغداد يبدا العصر الرابع ويستمر الى نزول الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م .

٥- ثم العصر الحديث الذى يمتد الى ايامنا الحاضرة .

وعن الساميون : يقول تطلق كلمة الساميين على مجموعة من الشعوب فى الشرق الاوسط دلت القرابة بين لغاتها على انها كانت فى الاصل تتكلم بلهجات متقاربة تطورت الى لغات سميت جميعا باسم "السامية" اخذا من اسم سام بن نوح الذى ورد ذكره فى التوراه ، وهى تسمية اصطلاحية فليس هناك امة تسمى بالامة السامية ، وانما هناك صلات لغوية بين طائفة من اللغات تدل على انها ترجع الى اصل لغوى واحد . اذ تتشابه فى اصول افعالها وازمانها وفى كثير من اصول الكلمات والضمائر والاعداد .

وقد قسمها علماء اللغات الى شمالية وجنوبية . وقسموا الشمالية الى شرقية وغربية .اما الشرقية فاللغة الاكدية (البابلية والاشورية) واما اللغة الغربية فاللغة الاوجرتينية (لغة نقوش رأس شمرا) والكنعانية (الفينيقية والعبرية والمؤابية) ثم الارامية .

وقسموا الجنوبية وهى لغة العربية الشمالية وهى الفصحى وعربية جنوبية وهى لغة بلاد اليمن وما والاها فى الزمن القديم ثم الحبشية .

ثم يقول : وتساءل العلماء عن المهد الاصلى لاسلاف الناطقين بهذه اللغات السامية المختلفة وتعددت اجاباتهم فى هذا الصدد فمن قائل انهم نشأوا مع الحاميين فى موطن واحد لعله فى شمالى افريقية او فى ناحية الصومال ومنه هاجر الساميون الى بلاد العرب عن طريق باب المندب او عن طريق شبه جزيرة سيناء .

ومن قائل انهم نشأوا مع الآرميين فى اواسط اسيا او في آرمينية و من قائل انهم نشاؤا في شمال سوريا و من قائل انهم نشأوا فيما بين النهرين . ومهما يكن المهد القديم لاصل نشأتهم الذى يتضمن فى عصور ما قبل التاريخ فان الباحثين يتفقون على ان موطنهم فى العصور التاريخية هو الجزيرة العربية ، فقد نزلوا بها واستقروا وعاشوا حياة مشتركة اكتسبوا خلاله هذا التنشابه فى لغاتهم .

ودفعهم جدب الجزيرة وخصب ما حولها من العراق والشام واليمن الى الهجرة فى موجات يتلو بعضها فى فترات متباعدة ، وكانما كانت الجزيرة تشبه خزانا كبيرا يفيض على ما حوله فى الحين بعد الحين .

واول موجه فاضت من هذا الخزان هى موجة الاكدين (البــابلين والاشــوريين) : خرجت من الجزيرة الى العراق فى اواخر الالف الرابع قبل الميلاد واوائــل الثالــث فوجدت هناك السومريين وقد عاشوا مدة تحت حكمهم ، وتــاثروا فيهــا بلغتــهم ودينهم وعاداقم وكل من سبقوهم فى الحضارة والعمران ثم يقول ولا نمضي طويلا فى النصف الثانى من الالف الثالث ق.م حتى نجدهم يقيمون مملكة لهــم يتخــذون حاضرقا من مدينة "اكد" كان اهم ملوكها "سرجون الاول "فى حــدود ٢٣٥٠ ق.م .الذى مد فتوحه حتى وسعت دولته العراق والجزيرة والشام وكانت تلك اول دولة سامية عرفت فى الشرق الاوسط ولم تلبث ان انهارت فقامت علــى انقاضــها دويلات مستقلة ، وتقدمت دولة بابل فى اوائل الالف الثانى ق.م. فاعادت الامــور الى نصابها ، ومن اشهر ملوكها "حمورابى " الذى تولى الملك فى القرن الثامن عشــر ق.م. واشتهر بين المؤرخين بمسلته التى سجل عليها فى ثلاثمائة سطر شريعته وهــى تصور تصويرا دقيقا القانون البابلى القديم .

ثم تفد امم غير سامية من الشرق – هم الكشيون – فتخــرب بابــل ، ولا يلبــث الحيثيون وهم من امم اسيا الصغرى ، ان يقضوا عليها فى اوائل القــرن الســادس عشر ق.م وبينما كانت بابل تعاني من الكيشين والحيثين كان اخوانهم الذين هاجرو معهم من الجزيرة العربية ويتجهوا نحو الشمال فيما بين النهرين وهــم الاشــوريون ينهضون ، ومعنى ذلك انهم من نفس الموجة الاكدية ، وكانت لغتــهم الاشــورية تخالف البابلية فى بعض خصائصها ، ثم تستقل بابل وتقوم بها الدولة البابلية الحديثــة

او دولة الكلدانين (٦٢٦ – ٥٣٨ – ق.م) الذين اشتهرو باتفاقهم لعلم الفلك كما اشتهر ملكهم بختنصر " بتخريبه لبيت المقدس وسرعان ما يقضى عليهم الفرس بقيادة "كورش" سنة ٥٣٨ ق.م ويخضعون لدولتهم المعروفة بالكيانية ، ويدور الزمن دورة واذا الاسكندر المقدونى فى القرن الرابع ق.م يستولى على الشرق الاوسط وبذلك ينتهى تاريخ هذه الموجة السامية القديمة موجة الاكديين من بابليين واشوريين .

٢-الموجة السامية الثانية : التى خرجت من الجزيرة العربية هى موجة الكنعانيين وقد بدات فى خروجها منذ اوائل الالف الثانى ق.م.و يممت نحو الشام وسواحل البحر الابيض الشرقية واسست هناك مدنا تجارية مثل صيدا وصور ، وجبيل وبيروت وكان اليونان يسمون اهل السواحل من هذه الموجه باسم "الفينيقين " وقد اسسوا لهم مستعمرات فى افريقية واسيا الصغرى والاندلس وهم الذين اخترعوا الخط الابجدى وعنهم انتشر فى العالم . ومن هذه الموجه "الاجريتيون " الذين تغلغلوا فى شمالى سوريا وقد وصلتنا عنهم "نقوش راس شمراً فى شمالى اللاذقية وفيها شعر وحكم ، ومن هذه ايضا المؤابيون " الذين استقروا فى شرق الاردن ، واسسوا به مملكة فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وكذلك العبريون الذين استقروا فى فلسطين منذ القرن الثالث عشر ق.م. (هكذا يقول المؤلف) .

وقد استولى الاشوريون على مملكتهم الشمالية فى القرن السابع ق.م. وهدم بختنصر ملك بابل حاضرتهم اورشاليم في القرن السادس قبل الميلاد و اجلي

سكانها الي بابل ، ولا تلبث الارامية ان تغلب على لغتهم الا انهـم ظلـوا يحافظون عليها فى تعاليمهم الدينية وفى بعض كتاباقم .

١- الاراميون هم ثالث الموجات السامية الكبيرة التى خرجت من الجزيرة العربية قبل الميلاد وقد بدأ خروجهم منذ منتصف الالف الثانى ق.م. والمظنون (لاحظ هنا كلمة المظنون) انهم كانوا بدوا رحلا يتنقلون شمالى صحراء النفوذ فى باديتى الشام والعراق ويتغلغلون الى خليج العقبة غربا و جنوبي الفرات شرقا ، و قد استطاعوا ان يكونو لهم امارة بين بابل و الخليج العربى عرفت باسم "كلد" ومنها اخذ اسم "الكلدانين" ونراهم فى القرن الثالث عشر ق.م. يترحون الى اراضى الرافدين دجلة والفرات فى الشمال ويعرف هؤلاء النازحون باسم" ارام النهرين" وقد استولوا على دمشق واسسوا بها مملكة اشتبكت فى حروب طويلة مع الفينيقين والعبريين وكان لها دور مهم فى شئون التجارة . فقد كانت قوافلها الصلة بين العراق والشام واسيا الصغرى ، وسرعان ما سقطت مملكتهم امام هجمات الاشوريين ، وقد اخذوا عن الفينيقين ابجديتهم بسبب اختلاطهم بهم فى التجارة وكتبوا بها لغتهم ، ولما سقطت دويلاقم تفرقوا فى ممالك غربى اسيا فكان ذلك سببا فى انتشار لغتهم وثقافتهم وحضارقم ،اذ وجدت امم العراق وايران سهولة فى ابجديتهم مما جعل الدولة الكيانية تتخذها احدى اللغات الرسمية ، وقد اصبحت اللغة اليومية للاشوريون والبابلين والعبريين والفينيقين وتقوم الحرب بين الفرس والروم ويتخذون من بلادهم ميدانا لها فيتاثرون بحضارقم وبذلك اصبحوا

ورثة الحضارات القديمة فى هذا المحيط : الحضارة الفارسية والرومانية ، والبابلية والاشورية ، والفينيقية ، وقد كتبت الاناجيل بالارامية اذ كان يستخدمها حواريو المسيح ، كما كتبت بها معظم المؤلفات الدينية للكنائس الشرقية – كما يقول المؤلف – ولها لهجات عدة اهمها اللغة السريانية التى كانت منتشرة فيما بين النهرين. وقد اتخذها المسيحية لغة ادبية لها ، وهى اللغة التى كان يدرس بها الطب والعلوم الطبيعية بجانب اليونانية فى مدارس "الرها" فيما بين النهرين ومدرسة "جنديسابور " الفارسية وغيرها و من لهجاتها ايضا لهجة "الصابئة " فيما بين النهرين ، وقد ظلت بلهجاتها المختلفة لغة حية في الشرق الأوسط ال ان جاء الإسلام فقضت عليها و علي لهجاتها "لغة القران الكريم" ، وان ظلت معروفة فى بعض البيئات .

٢- والموجة السامية الاخيرة : هى موجة العرب الجنوبين وما تفرع عنها من موجه حبشية وقد بدات فى اواخر الالف الثانى ق.م. متجهة الى الجنوب وساحل المحيط الهندى . ويظهر (لاحظ كلمة يظهر) ان جماعات ممن نزلت فى تهامة اليمن هاجرت الى السواحل الافريقية بقصد التجارة وتغلغلت فى هضبة الحبشة وكونت هناك مملكة نشبت بينها وبين العرب الجنوبين سلسلة من الحروب انتهت بقضائها على دولتهم فى سنة ٥٢٥ م . وقد اعتنق حكامها المسيحية منذ القرن الرابع الميلادى .

٣- والعرب الجنوبيون : فبينما تحضر الجنوبيون كان الشماليون فى الحجاز ونجد يعيشون معيشة بدوية ، اذا كانوا فى الجملة بدو رحلا ينتقلون وراء مساقط

الغيث ومواضع العشب والكلأ – ثم يقول سيادته – وكان المعــروف عــن هؤلاء العرب الجنوبين قليلا فهو لا يتجاوز اشارات وردت عنهم فى "العهد القديم " وفى بعض الاثار المصرية و البابلية والاشورية وفى كتابات المــؤرخين الجغرافيين من اليونانين والرومانيين ، ثم ماكتبة العرب عنهم بعــد الاســلام وتختلط به الاساطير، وظل تاريخهم غير واضح الى اواسط القرن الماضى .فقد جد علماء الغرب فى قراءة نقوشهم المنثورة على الابراج والهياكل والنصب والاحجار وهى مكتوبة بخط يسمى " الخط المسند وهو خط سامى قــديم ، وقد عرف هؤلاء العلماء اللغة التى كتبت بها ولهجاتها . (!!!!) . فهى لغــة سامية قريبة من الحبشية والعربية الشمالية انبثقت فيها لهجتان اساسيتان هما "المعينية " و " الثبثية " ومن هذه النقوش أســتطاع البــاحثون ان يعرفــوا الحضارة العربية الجنوبية بدياناتها والهتها وانظمتها الحكومية ودولها وملوكها . واستقر انه كانت هناك خمس ممالك هى :

١- مملكة معين وكانت حاضرتها معين فى الجوف اليمنى .

٢- ثم مملكه سبأ فى جنوبها وعاصمتها مأرب .

٣- مملكة قتبان فى الجنوب الغربى لسبأ وعاصمتها" يمنع " .

٤- المملكة الاوسانية جنوبى قيتبان .

٥- ثم مملكة حضرموت وحاضرتها" شبوه".

وكانت مملكة المعنيين دولة قوية وقد سيطروا على طريق القوافـل التجاريـة لا فى الجنوب فحسب بل ايضا على طول الطريق الى الشمال فقد وجدت نقوش "معينية" فى شمالى الحجاز "بدوان" فى منطقة العلا الحالية وفى الحجر (او مدائن صالح) فكانوا بذلك اول من حمل الحضارة الجنوبية الى اخوانهم فى الشمال . ولا تصل الى القـرن السابع ق.م. حتى يغلب "الثبئيون" على "المعينين" ويمدوا سلطانهم بعد ذلك علـى الجنوب كله كما يمدونه على مراكز "المعينين" فى الشمال واتخذوا مأرب حاضرة لهم وقصة سدها وخرابه مشهورة وكذلك قصة ملكتها بلقيس مع سليمان عليه السلام

وحدث حوالى سنة ٢٧٠ ق.م. ان انشأ بطليموس الثانى اسطولا بحريـا فى البحـر الاحمر يحمل الى مصر عروض الهند وافريقية الشرقية فاحدث ذلـك اضـطرابا فى شئون الثبئين الاقتصادية ونازعهم ملوك "ريدان " اصحاب ظفار وغلبـوا علـيهم وعلى الدول الجنوبية منذ ١١٥ ق.م. وكانوا يلقبون باسم ملوك "سبأ و"ذى ريدان "و"حضرموت" و"اليمنات" وهم الحميريون ودولتهم اخر الدول العربية الجنوبية ولا نصل الى سنة ٢٤ ق.م. حتى نجد " اليوس جالوس" والى الرومان على مصر يجهـز حملة لفتح بلاد الحميرين والاستيلاء على ما بايديهم من مفاتيح تجـارة التوابـل ، وفشلت حملته فشلا ذريعا . ويقال ان الرومان استولوا على ميناء عدن واتخـذوها قاعـدة لتمـوين سـفنهم فشّـلّوا بـذلك تجـارة الحميريـن وسـاءت احوالهم الاقتصادية .

ثم ظهر ملوك الحبشة و استولوا على بلادهم فى منتصف القرن الرابع الميلادى و ظلوا بها نحو عشرين عاما ثم عادت بعدها الدولة الحميرية و لكنها لم تعد الي سابق قوتها، ثم يقول مؤلفنا الفاضل – و في نقوشهم ما يدل علي ان الأعراب نزلوا بديارهم منذ القرن الرابع الميلادي ، و استقروا فيها ، و قد أخذت لغتهم تتغلب فى بعض اللجهات على لغة البلاد الأصلية ، كما ان من هاجر من عرب الجنوب الى الشمال غلبت عليه لغة الشماليين، مما أَعَدَ لإنتصار العربية الشمالية علي العربية الجنوبية في أواخر العصرالجاهلى.

و في هذه الأثناء تغلغلت اليهودية فى الجزيرة العربية منذ اضطهاد اباطرة الرومان اليهود فى القرن الأول للميلاد.و كذلك اندفعت بعثات دينية مسيحية الي الجنوب و اعتنقت مدينة نجران فى القرن الخامس هذا الدين الجديد ، و ربما كان السبب فى هذه البعثات المنافسة الشديدة بين فارس و بيزنطة، و أفزع ملوك حمير تغلغل النصرانية في ديارهم خوفا من تحولها الي البيزنطيين فناهضوها و ايضا فانهم كانوا يخافون من ملوك الحبشة المسيحيين ان يدخلوا عن طريقها بلادهم، و نشب هناك صراع حاد بين اليهودية و النصرانية . و لا نلبث ان نرى " ذانواس" اخر الملوك الحميريين يعتنق اليهودية و يحاول القضاء على المسيحيين فى نجران ، فأوعزت بيزنطة الي النجاشي ان يغزو اليمن فغزاها سنة ٥٢٥ م . و استولى عليها و ضمها الى بلاده. فأستنجد أهلها (أهل اليمن) بالفرس اعداء بيزنطة فردوا الأحباش و ظلوا بها

حتى سنة ٦٢٨ م اذ اعتنق " باذان" عاملهم الإسلام و بذلك ينتهى التاريخ القـــديم للعرب الجنوبين.

ثم يقول المؤلف: ان حضارة العرب الجنوبين كانت حضارة عربية صافية لم تأتيهم من الخارج بل نمت و تطورت فى الداخل و كانوا يؤلهون الفلك (السيارات الفلكية) و النجوم و اثرت ديانتهم الوثنية فى العرب الشماليين اذ يظن الهم أخذوا عنهم – كما اخذوا عن الأراميين – عبادة الكواكب و كانت تقوم على اساس ثالوث هو القمر و اسمه عند المعنيين " ود" و كان الههم الأكبر، و تليه الشمس التى اعتبروها زوجه و هى " اللات" و منها ولد "عشتر" او " العزى" اى الزهرة او "فينوس" و بجانب هذا الثالوث كان عندهم الهة اخرى ترمز لبعض النجوم ، او بعض الطير او بعض مظاهر الطبيعة. و كانوا يدعون القحطانيين او اليمنيين بينما دعى عرب الشـــمال بأســـم العدنانيين او النزاريين. و يلاحظ ان قبائلهم المهاجرة اختـــارت الأمـــم المتحضـــرة فنزلت "غسّان" و "قضاعة" و من اليها فى الشام ، و نزلت" لخم" فى العراق و منهم من نزل داخل الجزيرة "كالأوس و الخزرج" فى المدينة " و كندة" فى الشمال علـــى ان منهم من تم اندماجه فى البدو مثل" طىء" فى جبلى " اجا و ســـلمى" ثم ينـــهى كلامة عن عرب الجنوب بالقول و من يتعقب القبائل القحطانية فى الإسلام يرى الها كانت تحترم النظام المطلق بينما كان يمقته النذاريون.

العرب الشماليون : هم العرب العدنانيون الذين كانوا يسكنون فى الحجاز و نجد و تمتد عشائرهم و قبائلهم الى باديتى الشام و العراق ، و قد ظلوا يعيشون معيشة صحراوية بدوية تعتمد فى اكثر الأحيان على رعى الإبل و الأغنام. و لكن يظهر انهم انشأوا فى بعض الأزمنة مملكة لهم بالجوف " دومة الجندل" فى اقصى الشمال بين العراق و الشام وقد خضعت لنفوذ الآشوريين، اذ نرى ملوكهم يفخرون بالإنتصار عليها كما نراهم يفخرون بالإنتصار على "الثموديين" فى شمالى الحجاز حيث كانوا يقيمون فى العلا و الحجر(مدائن صالح). و قد اتخذ " نابونيد" اخر ملوك دولة بابل الثانية و الحديثة " تيماء" حاضره له من سنة ٥٥٠ ال سنة ٥٤٥ ق.م مما يدل على انه كان بها حضارة زاهية .

ثم يقول : و كل الدلائل تدل على ان العرب الشماليين لم يتجمعوا قبل الميلاد فى وحدة سياسية تجمع شملهم و قد كشفت نقوش ارامية فى " تيماء" الواقعة شمالى مدائن صالح تدل على انه قامت فيها مستعمرة ارامية تجارية فى القرن الخامس ق.م . و كان للمعنيين مستعمرة فى ناحية " العلا" شمالى الحجاز . و كانت تسمى " معين نصران" و كان سكانها من عرب الجنوب. و قد نقلوا اليها عبادهم و هياكلهم المقدسة و مازلوا نشيطين فى التجارة حتى نشأت دولة "النبط" فى سلع " بطرا" فكانت هى التى تنقل تجاره الجنوبيين الى الشام ومصر ، حتى اذا زالت دولتهم فى مستهل القرن الثانى الميلادى حملها " اللحيانيون" الذين كانوا يترلون فى"دادان" (العلا الحديثة) .

واللجيـــانيون عرب شماليون كتبوا نقوشهم "بالخط المعينى المسند" مما يدل على اثر الجنوبين فيهم ولعلهم كانوا يختلطون بقوم منهم ، وقد كتب الثموديين الذين كانوا يقيمون هم ايضا فى شمالى الحجاز وكانوا عربا مثلهم بهذا الخط الجنوبى الذى انتشر الى منازل العرب فى الصفا بحوران جنوبى دمشق ، مما يؤكد علاقة وثيقة بـــين هـــذه الاجزاء وعرب الجنوب حين كانوا يسيطرون على طريق القوافل التجارية من القرن الثامن الى القرن الثالث ق.م وهو القرن الذى قامت فيه امـــارة عربيـــة فى شمـــالى الجزيرة هى " امارة النبط " فقد كان اهل هذه الامارة يأخذون عن الجنوبيين تجارهم ويحملونها بدورهم الى الشام ومصر ، واتخذوا " بطرا" حاضرة لهـــم ، وهكـــذا ورد اسمهاعند اليونان ولعله ترجمة (كما يقول المؤلف) لاسمها الذى جـــاء فى التـــوراة وهو" سلع" وكانت الحجـــر(مـــدائن صـــالح) حاضـــرهم فى الجنـــوب بينمـــا كانت " بصرى" حاضرهم فى الشمال . ثم يقول المؤلف : ويظهر ان قبائـــل مـــن هؤلاء النبط كانت قد سبقت الى الاغارة على بلاد الاراميين شمـــالا ، فتحضـــرت بحضارهم واستخدمت كتاباهم الارامية في نقوشها بينما ظلت تـــتكلم العربيـــة فى احاديثها اليومية . وبذلك نلتقى عند هؤلاء النبط بنقوش عربية كتبـــت بـــالخط " المعينى المسند" غير ان الخط الارامى هو الذى انتصر فقد تطورت نقوشه حتى انتهت الى الخط العربى الذى اشاعه الاسلام .

ثم يقول المؤلف : والمظنون (اى غير المؤكد) ان الانباط لم يترحوا من نجد الى شمـــالى الحجاز ، بل نزحوا من بادية الشام واستطاعوا ان ينهضوا بحضارة راقيـــة لا تـــزال تدل عليها اثارهم فى" بطرا " حاضرهم الكبيرة ، وقد ظلت دولتهم نحو اربعة قرون

من القرن الثالث ق . م . الى اوائل القرن الثانى الميلادى ، وكانت العلاقة بينهم و بين البطالسة ثم بينهم وبين الرومان حسنة ، اذ حالفوهم ولم يتعرضا لاستقلالهم حتى كانت الفتنة اليهودية على عهد طيطوس ، فقضى الرومان على استقلالهم وضموا بلادهم الى دولتهم الرومانية سنة ١٠٦ للميلاد .

وعاد العرب الشماليون الى الظهورفى مملكة تدمر شمالى بادية الشام فى اثناء القرنين الثانى والثالث الميلاديين وكانت السيادة فيها لهم غير ان السكان كانوا اكثرهم من الاراميين ،ووقفت تدمر صامدة خلال المنافسة الشديدة بين روما والفرس لخطة حياد التزمتها زادت فى قوتها و منعتها . واصبحت من اهم المراكز التجارية ، وبلغ من علو شأنها ان استولى ملكها " اذينه "على سوريا كلها واعترف به الرومان امبراطورا على الشرق الا انهم عادوا فنكثوا عهودهم فى عهد "زنوبيا" (الزباء) اذ حاربوها وقضوا عليها سنة ٢٧٣ م، ودمروا " تدمر" فلم تقم لها بعد ذلك قائمة . وظلت سيرة هذه الملكةو أبيها " اذينة " فى ذاكرة العرب الى ما بعد الاسلام ، وان شابتها الاسطورة وبعد عن اساسها التاريخى الصحيح .

نشأة الكتابة العربية والنقوش

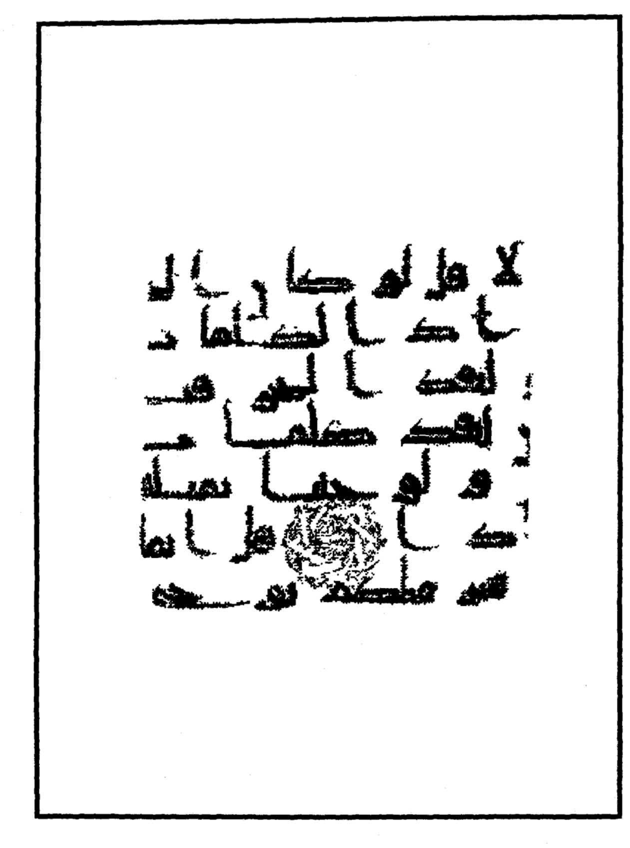
يقول استاذنا الدكتور شوقى ضيف فى كتابة :أولا: (أنظر هنا كتاب اصل الخط العربي و تاريخ تطوره – (بحث فى مجلة كلية الأداب المجلد الثالث العدد الأول) – الى ما قبل الإسلام لخليل يحى نامى ، و(كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام " لجواد علي " ج١ ص١٠ ج٣ ص ٤٢٣ و ما بعدها ، ج ٧ ص ٣٦ و ما بعدها) و

كتاب تاريخ الأدب العربي " لبلاشير " (ترجمة إبرهيم الكيلانى – طبع دمشق ج١ ص ٧٠ و ما بعدها) . ثم يقول استادنا الفاضل : لا يكاد يخلو حجـــر فى جنـــوبى الجزيرة و قلبها و شماليها من نقش تذكارى نقشه كتاب محترفون و غير محتـــرفين من الرعاة و رجال القواقل يذكرون فيه اسماء الهتهم متضرعين اليها ان تحمـــيهم. ثم يقول : و لا تخلو ديار امة سامية من هذه النقوش التى اتاحت لعلمـــاء الســـاميات اكتشاف تاريخ هذه الأمم من جهة و قيام دراسة اللغات السامية و خصائصـــها و معرفة تطورها و مقارنتها بغيرها من اخواها من جهة ثانية و بذلك وقفوا وقوفا دقيقا على حقائق هذه اللغات و حضارات اهلها و ثقافتهم و دياناهم و كل ما اتصل بهم من رقى و تطور علي مر العصور و الأزمان ، و قد عرف الأكـــديون فى العـــراق بخطهم المسمارى او الإسفيني ، بينما عرف عرب الجنوب بخطهم المسند و منه نشـــأ الخط الحبشي و خطوط اللهجات العربية الشمالية القديمـــة و هـــى اللحيانيـــة و الثمودية و الصفوية.

واللحيانيون – كما قدمنا – قبيلة عربية شمالية كانت تسكن فى منطقة " العلا" و نراهم يستعملون " ها" اداة للتعريف بدلا من " ال" و قد اختلف فى تاريخهم فمـــن الباحثين من يرجعهم الي القرون الأولى ق.م. و منهم من يتأخر بهم الي مـــا بعـــد الميلاد ، بل منهم من يتأخر الي القرن الخامس اذ ضعفوا و تلاشوا فى قبيلة هـــذيل ، وعدهم الهمزانى من بقايا " جرهم" و لعله بذلك يشير الى صلتهم باليمنين و يظهـــر الهم كانوا يدينون لهم بالولاء.

اما **الثموديين** فيعود تاريخهم الي ما قبل الميلاد بعدة قرون، وفى القرآن الكـــريم : (فأخذهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين) و قد خلفوا كثيرا من النقوش كتبوها " بالخط المسند المعينى" . (هل يوجد توقيع بخطهم انهم الثموديين هم كاتبوها ؟ و هذا تعليق من عندنا ؟) و هم مثل اللحيانيين و الصفويين كانوا يستخدمون " هـــا" اداة للتعريف بدلا من " ال" و اما الكتابات الصفوية فعثر عليها فى الحرة الواقعة بـــين جبل الدروز و تلول ارض الصفا . و كلمة الصفويين لا تعنى شعبا معينـــا او قبيلـــة معينة انما هى اصطلاح حديث للدلالة علي تلك الكتابات التى عثر عليها فى تلـــك الجهات ، و قد عرف من دراستها انها كتبت بالخط المعـــيني و انهـــا لهجـــة قديمـــة كالثموديه و اللحيانية و كثير من نقوشها يرجع الي القرون الأولي للميلاد، و يظهر ان من كتبوها كانوا بين التبدي و التحضر فمنهم البدو الرعاة و منهم الفلاحون و لهم قري و مزارع و ربما كانت لهم تجارات .

و هذه النقوش الصفوية و الثمودية و اللحيانية عربية – كما قدمنا – برغم انها كتبت بالخط المعيني الجنوبى فخصائصها اللغوية قريبة من خصائص العربية التى نزل بها القرآن و ان اختلفت فى اداة التعريف و فى بعض الصفات اللغوية الا انها علي كل حال تصور طورا من اطوار اللغة العربية الشمالية ، و قد احتوت علي كثير من أسماء الرجال و أسماء الالهه والأصنام. و بجانب هذه االنقوش نجد نقوشا اخري " بالخط النبطي" و هي تنتشر فى " بطرا " حاضرة ملكهم و ما حولها من "الحجر" حاضرقم الجنوبية و " بصري " بحوران فى الشام عاصمتهم الشمالية و ما يتصل بهذه



الجهات فى شرق الأردن و جبل الدروز ، و قد مر بنا الهم كانوا الصلة بين العــرب الجنوبيين و حوض البحر المتوسط و بلغ من قوتهم ان كان يخشاهم اليهود و بقيــة امم الشام حتي اهل روما كانوا يخشونهم فعملوا علي القضاء علي دولتهم حــتي تم لهم ذلك كما قدمنا سنة ١٠٦ للميلاد . و لم ينته بذلك تاريخهم فنقوشهم تســتمر الى القرن الثالث الميلادى و يظهر الهم تلاشوا بعد ذلك فى العرب و كانوا يتكلمون فى احاديثهم اليومية – العربية – الا الهم اختلطوا بالأراميين عن طريق التجــارة و أخذوا منهم ابجديتهم او خطهم و كتبوا به نقوشهم (؟؟!!).

و لذلك قد يعدهم بعض الباحثين من الأراميين – كما يقول المؤلف – و لكن مــن المحقق الهم كانوا عربا يتخاطبون بالعربية .

ولما سقطت دولتهم و انتشروا فى الحجاز و نجد اخذ شــيوخ العــرب و امــرائهم يتخذون خطهم في كتابة نقوشهم و هجروا الخط اللجياني و الثمودى و الصفوى و سرعان ما تطور هذا الخط النبطى الأرامى الي الخط العربى الذي كتب به القــرآن الكريم و المؤلفات الإسلامية.

(نقدم هنا صور من كتابات القرآن الكريم الأولى)

صور من كتابات القرآن الكريم الأولى

و هناك روايات عند المؤرخين المسلمين تزعم ان الخط العربى منشئوه الحيرة ، و انه نقل منها الي مكة و الحجاز غير ان هذه الروايات لا تتفق ووثــائق النقــوش الــتي

كشفت فى الحجاز و درسها علماء اللغات السامية ، فقد وجدوا نقوشا حجازيـــة و غير حجازية تصور انتقال الخط الأرامي الى خط نبطى ثم انتقال هذا الخط الى الخط العربى ، و المعروف ان الحيرة قبيل الإسلام كانت نصرانية و كانت تزخر بالثقافـــة السريانية كما كانت تكتب " بالخط السريانى " قلم المسيحيون فى هذه الأنحاء، و لا يعقل ان يكونوا هم الذين تطوروا بالخط النبطى و اشتقوا منه الخط العربي لانـــه لم يشع فى ديارهم و لأنه كان الوثنين فى شمالى الحجاز . و قد يكون مرجع هذا الوهم – كما يقول المؤلف – فى روايات المؤرخين الإسلاميين ان الخط ألكوفي نما و ازدهر في الكوفة ، فظنوا ان هذه البيئة هي التي ابتكرت الخط العربى و انه نمـــا و تطـــور فى الحيرة.

و الحق – يقول المؤلف – انه إنما حدث له هذا التطور و النمو في الحجاز نفســـها فقد كانت بها تجارة مزدهرة ، جعلتهم يأخذون الخط المعيني أولا و يتطورون به الى خطوطهم اللحيانية و الثمودية و الصفوية ، ثم لما ظهرت مملكة النبط و اســـتخدمت الخط الأرامي و تطورت به ، و تفرق اهلها بعد سقوطها في داخل الجزيرة و علـــي طول طريق القوافل التجارية نشروا قلمهم " النبطى" فهجر عرب الحجـــاز القلـــم المعيني واخذوا يحاولون النفوذ من الخط النبطى الى خطهم العربي الجديد متطـــورين به ضروبا من التطور حتى أخذ شكله النهائى. و ليست المســـألة مســـألة فـــرض و إحتمال و انما هى مسألة نقوش حملت الي علماء الساميات (الدليل القاطع) الذي لا مطعن فيه علي هذه الحقيقة.

فقد عثروا علي نقوش في شمالي الحجاز و علي طول طريق القوافل الي دمشق تثبت تطور الخط النبطى تطورا سريعا الي الخط العربي ، و اهم هذه النقوش علي الترتيب:

١- نقش عثر عليه " ليتمان" فى قرية ام الجمال غرب حواران ، و يرجع تاريخة الى سنة ٢٧٠م . و هو " لفهرمين سلّىّ" الذى كان مربيا " لجذيمة" ملك تنوخ و بخط " نبطى" الا انه يمتاز بظهور روابط بين الحروف.

٢- و يليه نقش " النمارة" الذى اكتشفه "دوسوهاكلر" سنة ١٩٠١ م . و علي بعد ميل من " النمارة" القائمة علي اطلال معبد رومانى شرقي جبل الدروز بالقرب من الأماكن التي عثر فيها علي الكتابات الصفوية ، و قد كتب شاهد القبر ملك من ملوك اللخميين يسمى "امرأ القيس بن عمرو" " و ارخ بشهر كسلول" من سنة ٢٢٣ بتقويم بصرى و هو يوافق شهر كانون الأول (ديسمبر) من سنة ٣٢٨ م . و قد ذكر نصة بالكامل (انظر ص ٣٥ ، ٣٦).

٣- ثم يقول: و نمضى بعد نقش " النمارة" نحو مائة و ثمانين عاما فنلتقى في " زبد" الواقعة جنوبى شرق حلب بنقش وجد علي باب احد المعابد هناك أرخ سنة ٥١٢م و فيه نرى خصائص الكتابة العربية الجاهلية تتكامل، و من غير شك حدث تطورات متعددة بينه و بينه و بين نقش " النمارة" ، اعدت لهذه الصيغة العربية الخالصة التى نجدها فيه أو بعبارة أدق فى خطه و علي شاكلته نقش "حران ٤ اللجا" الذى عثر عليه فى الشمال الغربى لجبل الدروز جنوبى دمشق و هو مؤرخ بسنة ٥٦٨م.

٤- و معنى هذا كله ان الخط العربي نشأ و تطور شمالى الحجاز و أنه لا يرجع فى نشأته و تطوره الى بلاد العراق – كما يقول المؤلـــف – فتلـــك الوثـــائق السابقة دليل لا يرقى اليه الشك فىانه نشأ من الخط النبطى و تطور حـــتى اخذ صيغته النهائية فى أوائل القرن السادس الميلادى فى تلك البيئة الوثنيـــة العربية الخالصة. و هو يختلف اختلافا تاما عن الخط الكـــوفى ذى الزوايـــا الذى يرسم فى اشكال مستديرة، فالحجاز هو موطنه و هو الذي نشـــره فى محيط العرب الشماليين علي طول الدروب و الطرق التى كانت تســـلكها قوافل المكيين التجارية.

العصر الجاهلي

و عن تحديد العصر الجاهلي يقول المؤلف:

قد يتبادر الي الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب و أزمنة، فهو يدل علي الأطوار التاريخية للجزيرة العربية فى عصورها القديمة قبل الميلاد و بعده . و لكن من يبحثون فى الأدب الجاهلي لا يتسعون فى الزمن بة هذا الإتساع اذ لا يتغلغلون به الي ما وراء قرن و نصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنيه و هى الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائل خصائصها ، و التي جاءنا منها الشعر الجاهلي – كما يقول المؤلف – ثم يقول : و لاحظ ذلك الجاحظ بوضوح اذ قال : " اما الشعر العربي " فحديث الميلاد و صغير السن ، أول من نهج سبيله و سهل الطريق اليه " امرؤ القيس بن حجر" و "مهلهل بن ربيعة" . فاذا استظهرنا الشعر و جدنا له – الي ان جاء الإسلام – خمسين و مائة عام. و اذا استظهرنا بغاية الأستظهار فمائتي عام (انظر كتاب الحيوان للجاحظ(طبعة الحلبى) ١/٧٤) . و هى ملاحظة دقيقة لان ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول، و نفس تاريخ العرب الشماليين يشوبه الغموض منذ قضى الرومان علي دويلتهم فى بطرا و تدمر، الا بعض اخبار فارسية و بيزنطية قليلة و بعض نقوش عثر عليها علماء الساميات ، و تشير تلك النقوش و الأخبار الي امارات الغساسنة فى الشام و المناذرة فى الحيرة و مملكة كندة فى شمالي نجد ، غير ان معلوماتنا عن هذه الإمارات فيما وراء القرن السادس الميلادى محدودة ، و هى انما تتضح في العصر الجاهلي الذى نتحدث عنه اذ حمل الينا

العرب كثيرا من الأخبار عن تلك الإمارات و امرائها الذين كانوا يستولون فيها علي الحكم ، كما حملوا الينا كثيرا من الأخبار عن مدن الحجاز و خاصة مكة بيت الكعبة المقدسة و كذلك عن القبائل و ما كان بينها من ايام و حروب.

معني كلمة الجاهلية.

و ينبغى ان نعرف ان كلمة الجاهلية التى اطلقت علي هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم و نقيضه (انظر مادة جاهلية فى دائرة المعارف الإسلامية). انما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه و الغضب و النزق، فهى تقابل كلمة الإسلام التي تدل علي الخضوع و الطاعة لله جل و عز ، و ما يطوى فيها من سلوك خلقى كريم – و دارت الكلمة في الذكر الحكيم و الحديث النبوي الشريف و الشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحميه و الطيش و الغضب ففى صورة البقرة (قالو ءاتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين)

و فى سورة الأعراف: (خذ العفو و أمر بالعرف و اعرض عن الجاهلين) .

و فى سورة الفرقان: (و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما).

و فى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

الا لا يجهلن احد علينا .... فنجهل فوق جهل الجاهلينا ثم يقول : كانت مكة (ص٥٠) اهم مدينة عربية فى الجاهلية اذ كانت مثابة للعرب و امنا و كان مجتمعها يتالف من قريش البطاح الذين يترلون حول الكعبة و هم : هاشم و امية و مخزوم و تميم و عدي و اسد و نوفل و زهرة ، و كانوا اصحاب النفوذ فيها.

و من قريش الظواهر الذين يتزلون وراءهم و معهم اخلاط من صعاليق العرب و الحلفاء و الموالي و العبيد و كان اكثرهم من الحبشة . ثم يقول - و من غير شك كان يعيش سادة قريش معيشة مترفة بحكم ثرائهم و اتصالهم بالفرس و الروم. (المراجع : المحاسن و الأضداد ص٧٧و قارن بالأغاني (طبعة دار الكتب) ٦٥/١). و يقال انهم كانوا يصيفون في الطائف و يشتون في جدة . نجد في سورة الزخرف: استهزاء بمن ينشأ فى الحلية و الزينة (الأية رقم ١٨ من سورة الزخرف) ، و يقال ايضا ان عبد المطلب جد الرسول صلي الله عليه و سلم دفن فى حلتين قيمتهما الف مثقال من الذهب (من تاريخ اليعقوبى (طبعة اوروبا) (١٣/٢) .

و كان مجتمع مكة لا يعدواتحاد عشائر ارتبط بعضها ببعض في حلف لغرض سدانه الكعبة من جهة و القيام علي تجارة القوافل من جهة اخري، و لا سلطان لعشيرة علي عشيرة، بل كل عشيرة تتمتع بالحرية التامة و لا طاعة عليها لاحد ، و قد كان في كل قبيلة مجلس يتكون من رؤساء العشائر ولكنه لم يقض على حرية الافراد ، فقد كان كل فرد متمتعا بحريته ، فللفرد حريته وللجماعة عليه حقوق لا تتناقض مع هذه الحرية .

وعن الدين يقول كاتبنا : ص ٨٩ . ليس بصحيح ما يزعمه " رينان" من انهم كانوا موحدين (راجع جواد على ٢٠/٥ وما بعدها ، ٥٣/٥ وما بعدها حيث يذكر راى " رينان" وأراء غيره من المستشرقين). وقد كانوا يشركون مع الله الهة اخرى كما جاء فى القران الكريم ، وكانوا يتعبدون الاصنام واوثان كثيرة اتخذوها رمزا لالهتهم ، وبكتاب فيض الاصنام "لابن الكلبى " فى بيان هذا الجانب . ففى اخبارهم ان

العزى كانت لغطفان وهى شجرة بوادى نخلة شرقى مكة وقد قطعها خالد بن الوليد وهو يقول :

ياعز كفرانك لا سبحانك............ انى رايت الله قد اهانك (من كتاب الاصنام لابن الكلبى ص ١٧ وما بعدها ومادة " العزى فى معجم البلدان "). وهؤلاء الوثنيون كانوا ينكرون الرسل وان هناك الها واحدا . ثم يقول المؤلف : ولا نصل الى اواخرا العصر الجاهلى حتى نجد استعدادا لفكرة الاله الواحد (ص٩٦) وخاصة عند طائفة كانت تدعى باسم " الحنفاء " وكانت تشك فى الدين الوثنى القائم تلتمس دينا جديدا يهدها فى الحياة ، يقول ابن اسحق اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويدورون (يطوفون) وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما فخلص منهم اربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا اجل ، وهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما قومكم على شيء ، لقد اخطأوا دين ابيهم إبرهيم ، ما حجر نُطِّيفُ به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لانفسكم دينا ، فانكم والله ما انتم على شيء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنفية دين إبرهيم عليه السلام ، فاما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، واما عبد الله بن جحش فاقام على ما هو عليه من الالتباس حتى اسلم . اما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى

تذبح على الاوثا ن وقـال اعبـد رب إبـرهيم (مـن كتـاب السـيرة النبويـة (٢٣٧/١) ومعروف انه اسلم وكان من الصحابة الاولين المقدمين واكبر الظن ان كلمة حنيف معناها المائل عن دين ابائه كما يدل على ذلك اشتقاقها ولم يكن هؤلاء الحنفاء فى مكة وحدها – كما يقول المؤلف – فقد كانوا منتشـرين فى القبائـل . ثم يقول : ولا نرتاب فى ان صنيع هؤلاء انما كان شكا فى حياقم الدينية ، وكل ذلـك يؤيد ان الوثنية الجاهلية كانت على وشك الانحلال فما انبلجت اضواء الاسلام حتى اعتنقه العرب ودخلوا فيه افواجا .

اليهودية والنصرانية : لا نصل الى العصر الجاهلى حتى نجد اليهود منتشرين فى اليمن والحجاز (راجع فى اليهودية بجزيرة العرب كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام " لجواد على " الجزء السادس وكذلك كتاب " سر جمليوت " .

The relation between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam.

وذلك على اثر اصطدامهم بالقيصر " طيطوس" (Titus) وهدمه للهيكل سنة ٧٠ للميلاد وكذلك اصطدام القيصر " هدريان " بهم سنة ١٣٢ م ففى هذه الاثناء فر كثيرا منهم الى الحجاز وسقط غير قليل منهم الى اليمن ثم يقول وقد تكون هجراقم الى تلك البلاد اقدم من ذلك ولكن ليس بين ايدينا نصوص وثيقة .

وقـد انتشـرت النصـرانية فى الـيمن وشمـالى الجزيـرة الغـربى والشـرقى . (انظر جواد على ٩١/٦ وما بعدها وكذلك ص ١٧٧ وما بعـدها) ، ويظـن ان انتشارها فى اليمن بدأ منذ القرن الرابع الميلادى وكان من اهم الاسباب فى انتشارها هناك بعثات دينية كان يشجعها القياصرة ولعلهم اردوا بـذلك النفـوذ الى فـرض

سلطانهم على البلاد وتحول كنوز قوافلها اليهم . وكانت النصرانية منتشرة بين عرب الشام من الغساسنة وغيرهم مثل عاملة " وجذام " و" كلب " و" قضاعة" وكانوا على مذهب اليعاقبة او المنوفستين وهم القائلون للمسيح طبيعة واحدة واقنوما واحدا لذلك يسمون اصحاب الطبيعة الواحدة وصاحب هذا المذهب هو يعقوب البرادعى حوالى سنة ٥٠٠ للميلاد وقد دخل فى مذهب الغساسنة ومن ولاهم من عرب الشام ، وكان من اثار انتشار النصرانية فى ذلك ظهور جماعات المتحققين وتسرب فكرة البعث والحساب الى نفر من الجاهلين .

اللغة العربية ص ١٠٤

عناصر سامية مغرقة فى القدم : يقول : اشرنا فى غير هذا الموضع الى ان اللغات السامية تتشابه فى كثير من الكلمات والضمائر والاعداد تشابها يثبت القرابة بينهم .

فان لاحظنا تشابها بين لغتين من هذه اللغات فى ظاهرة بعينها ورجعنا الى اللغات الاخرى ووجدنا نفس التشابه كان معنى ذلك ان الظاهرة قديمة وانها ترتقى الى العصر الذى كانت هذه اللغات متحدة فيه .

وقد يقع التشابه فى الظاهرة فى لغتين غير متجاورتين ، فاما ان يرجع الى اصل قديم واما ان يكون ثمرة تطور تاريخى فى كل منهما ادى الى نفس النتيجة ، واما اذا كانتا متجاورتين كالعربية والارامية فاما ان تكون الظاهرة قديمة ترجع الى ازمان اتحادهما و اما ان تكون احداهما تاثرت بالاخرى ولعل فى هذا ما يدل على ان اسلافنا توسعوا اكثر مما ينبغى حين درسوا الدخيل فى عربيتنا ، فوقفوا عند الفاظ كثيرة وقالوا انها سريانية ارامية ، غير ملتفتين الى ان طائفة من هذه الالفاظ ترجع الى الاصل السامى

القديم ، فلا يقال ان العرب اخذوها من السريان ولا ان السريان اخذوها من العرب بل يقال انها من الكلمات السامية القديمة التى تداولها الساميون فى زمان اتحادهم قبل تفرق لهجاتهم وتطورها الى لغات مستقلة لا مشخصاتها وسماتها الصرفية وغير الصرفية .

ونضرب مثلا اخر اثار ضجة واسعة بين المستشرقين وهو ما زعمه " فولرز" من ان القران الكريم كان فى بادىء الامر غير معرب (ماذا يقصد بكلمة غير معرب ؟؟!!) اذ كان بلهجة قريش الدارجة وهى لهجة – فيما يزعم – كانت غير معربة ، وكانت تختلف عن لهجة الشعر الجاهلى الخاضعة لقواعد النحو العربية !!!!

واذا كانت قريش لا تعرف العربية المعربة فمن اين عرفها هو المستشرق ؟؟ ولنا اسئلة كثيرة فى هذا الشأن نوضحها فيما بعد؟؟

ثم يقول كاتبنا الفاضل : ان " فولرز " مضى يقول ان النحاة المتاخرين هم الذين صاغوه فى لغة البدو المعربة ، وهل كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجميا حتى يستطيع ان يقرا القران الاعجمى – كم يزعم هذا العالم – وقد رفض كثير من المستشرقين وعلى راسهم " بوهل " و" نولدكه " و"جاير " هذا الرأي رفضا باتا . (انظر مادة القران فى دائرة المعارف الاسلامية وتاريخ القران " لنولدكه" وكتاب العربية ليوهان فك ص٣ وما بعدها) .

ويقول يوهان فك : اما ان اقدم اثر من اثار النثر العربى وهو القران قد حافظ ايضا على غاية التصرف الاعرابى فهذا امر وان لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر

الذى لا تترك اساليب العروض والقافية مجالا للشك فى اعـــراب كلماتــه ، الا ان مواقع كلام القران الاختبارية لا تترك اثرا للشك فيه كذلك.

ثم يضيف استاذنا الدكتور شوقى ضيف فى كتابه فيقول : من ظواهر العربية الـــتى اكدت اللغة الاجروتينية انه قديم ظاهرة التعريف "ال" وهى تقابل حرف الهاء الذى كان يستخدمه العبريون الاراميون فى التعريف . وكان الاولـــون يلحقونــه " ببـــدأ الكلمة " والاخيرون يلحقونه باخرها وكان اصحاب النقوش الصفوية مـــن قـــدماء العرب يجارون العبريين فى استخدام هذا الحرف فى التعريـــف ومثلـــهم الثمـــوديين واللجيانيون . واستخدم النبط فى نقوشهم " ال " اســـتخداما واســـعا اذ نـــراهم يضعونها فى اسماء الهتهم مثل الله واللات والعزى ، وقد تحذف الالف منها فى الكتابة فيكتبون وهب الله عبد الله هكذا وهب لهى وعبد لهى باشباع الكسرة ومدها بحيـــث تتولد منها الياء .

ثم يتكلم عن نشوء الفصحى : فيقول ص١١٧:

انه ليس من السهل تحديد الزمن الذى اتخذت فيه لغتنا العربية شكلها النهائى الـــذى تصوره الفصحى الجاهلية حيث انه ليس بين ايدينا نقوش كثيرة نستطيع ان نعـــرف منها بالضبط الزمن الذى يعد بدأ حقيقيا للفصحى . (وهنا نذكر سؤال من عندنا : هل كانت هذه النقوش معربة ومشكلة ؟؟!! ام مـــاذا ؟؟) .- ثم يضـــيف كاتبنـــا الفاضل – وحقا عثر علماء الساميات كما قدمنا فى غير هذا الموضع على نقوش تمتد من اواخر القرن الثالث الميلادى الى القرن السادس غير انها قليلة ثم هـــى قصـــيرة ، واكثرها فى امور شخصية ، وليس بينها نص ادبى او نص طويل يمكن ان نتـــبين في

تضاعيفه جملة الخصائص اللغوية لتلك اللغة التى كان يتحدث بها كتبة هذه النقوش . ثم يضيف وجميعها على لسان الشخص الثالث الغائب وليس بينها نص على لسان مخاطب او متكلم ، وهى تخلو خلوا تاما من الشكل والحركات وحروف العلة وعلامات الاعراب ثم يعود فيقول سيادته : على ان من يرجع الى هذه النقوش يجدها تقترب إقترابا شديدا من فصحانا، و قد وقفنا فى الفصل الأول عند اقدمها و هو نقش " النمارة" المؤرخ سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة و هو لإمرىء القيس ثاني ملوك الحيرة، و ضع علي قبره فى النمارة شرقى جبل الدروز ، و قد لاحظنا ان كاتبه استخدم كلمة " بو" الآرامية بدلا من كلمة " ابن" العربية ، غير ان النقش بعد ذلك تام في عروبته سواء من حيث الأسماء و الأفعال او من حيث استخدام اداة التعريف العربية " ال" و ايضا فان خطه المكتوب به مع الإشتقاق من الخط النبطى يعد مقدمة للخط العربي اذ توجد فيه الروابط بين الحروف كما تتخذ الحروف فيه شكلا اكثر استدارة . و لعلنالا نبعد اذا اتخذنا هذا النقش بدءا لتكون الفصحي ، و قد لقب امرؤ القيس فيه بلقب ملك العرب و هى اول مرة نعثر فيه علي هذا اللقب .

ثم يعود كاتبنا الى الشعر ثانية فيقول في ص ١٢٠ :

الخط العربي: و نري من ذلك ان الخط العربي تكامل مع اوائل القرن السادس كما تكاملت الفصحى نفسها و أخذت شكلها النهائي بشهادة نصوص الشعر الجاهلي التي يرجع اقدمها الي اواخر القرن الخامس، فمنذ هذا التاريخ تقاربت لهجات القبائل و اصبحت هناك لغة ادبية عامة هى الفصحى ، ينظم بها شعراء العرب جميعا شعرهم. و هنا يكتب سيادته هذا النص لقول ابى عمرو بن العلاء.

" ما لسان حمير و اقاص اليمن بلساننا و لاعربيتهم بعربيتنا "

(المرجع العلمي فى ذلك من كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام –طبعة دار المعارف ص ١١) .

لهجات جاهلية : (انظر هذه اللهجات في كتاب المزهر للسيوطى في مواضع متفرقة و كتاب الصاحبي في فقة اللغة لأحمد بن فارس ومقاله " ليتمان" بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد العاشر العدد الأول و كتاب : (**Ancient West Arabian** " لرابين") ...

ثم يقول : و علي الرغم من شيوع لغة ادبية عامة فى العصر الجاهلي كانت هناك لهجات كثيرة تميزت بها بعض القبائل و ظلت اثآرها و اضحه علي السنتها الي القرن الثانى للهجرة فسجلها اللغويون ثم يذكر تلك اللهجات : بالكشكشة او الكسكسة ، وهما تخصان ضميرالمخاطبة ، وكذلك االعنعنة والفخفخة . وتلك اللهجات قد سبق ذكرها .

وعن سيادة اللهجة القرشية يقول : يدل ما بين ايدينا من شعر جاهلي دلالة قاطعة على ان القبائل العربية الشمالية اصطلحت فيما بينها علي لهجة ادبية فصحى ، كان الشعراء علي اختلاف قبائلهم و تباعدها و تقاربها ينظمون فيها شعرهم ، فالشاعر حين ينظم شعره يرتفع عن لهجة قبيلته المحليه الي هذه اللهجة الأدبية العامة (كيف هذا ؟؟!! و هل كان يكتب شعره حتى لا تقرأه قبيلته و تقرأه بقية القبائل الأخرى !!)

و من ثم اختفت جملة الخصائص التي تميزت بها كل قبيلة فى لهجتها فلم تتضح فى شعر شعرائهم الا قليلا جدا .

و لقد اختلفت اراء المستشرقين في هذه اللهجة التي كان الشعراء يتخذونها لغة لشعرهم، فقد أورد سيادته رأي للمستشرق " نولدكة" و " جويدي" و " نالينو" و " فولرز" ثم يقول :

و زعم " بروكلمان" ان الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات و ان فزها جميعا .(من كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان(طبعة دار المعارف)١/٤٢) . ثم يعلق مؤلفنا علي هذه الأراء للمستشرقين بالقول : وواضح ان كل هذه الأراء تعتمد علي الفرض و الحدس. و قد اراد بها اصحابها ان يناقضوا اشد المناقضة ما استقر فى نفوس اسلافنا من أن هذه اللهجة الفصحى، انما هى لهجة قريش التى نزل بها الذكر الحكيم ، يقول ابو النصر الفارابى :

" كانت قريش اجود العرب ، انتقاء للأفصح من الألفاظ ،و أسهلها علي اللسان عند النطق و احسنها مسموعا، و اكثرها ابانه عما فى النفس " (من كتاب المزهر للسيوطى ١/٢١١) و يقول المؤلف: يقول احمد بن فارس نقلا عن اسماعيل بن ابي عبيد الله :– اجمع علماؤنا بكلام العرب و الرواه لأشعارهم و العلماء بلغاتهم و ايامهم و محالهم ، ان قريشا افصح العرب السنة و اصفاهم لغة ، و ذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم و اصطفاهم و اختار منهم نبي الرحمة محمد صلي الله عليه و سلم و جعل قريشا قطان حرمه و جيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها و غيرهم يفدون الي مكة للحج و يتحاكمون الى قريش فى امورهم، و كانت قريش مع فصاحتها و حسن لغاتها و رقة السنتها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم و شعرهم و احسن لغاتهم و اصفى كلامهم فأجتمع ما تخيروا من

تلك اللغات الي محائزهم و سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العــرب. الا تري انك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفة قيس (العجرفية: أي التقعر و طلب الغريب الوحش من الكلام) و لا " كشكشة " اسد ولا "كسكسة" ربيعــة . (انظر الصاحبي من فقه اللغة (طبعــة المؤيـــد) ص .٢٣ و في ص ١٤٨ : يــتكلم استاذنا الكبير عن رواة محترفون للشعر العربي:- يقول: و نحن لا نصـــل الي نهايـــة العصر الإسلامي و مطلع العصر العباسى حتي تنشأ طبقة من الرواة المحترفون الـــذين يتخذون رواية الشعر الجاهلي عملا اساسيا لهم و تختلط في هذه الطبقة أسماء عرب و موالي و أسماء قراء للقرآن الكريم و غير قراء و هم جميعا حضريون ، عاشوا غالبا في البصرة و الكوفة ، و لم يكونوا يقفون عند رواية الشعر القديم مجردا ، بــل كـــانوا يضيفون اليها كثيرا من الأخبار عن الجاهلية و ايامها ، و كانوا يتخذون لأنفســـهم حلقات في المسجد الجامع يحاضرون فيها الطلاب و في اثناء ذلك يشرحون لهم بعض الألفاظ الغريبة أو يفسرون لهم ظروف النص التاريخية.

ثم يقول في ص ١٥٨ عن التدوين :

مر بنا ان العرب لم يدونوا شعرهم في الجاهلية ، و ان ما يذكر من اخبار عن كتابــة بعض شعرائهم لمقطوعات لهم ، ان صح ، فانه لا يدل علي إنهم فكروا فعلا فى تدوين اشعارهم ، انما هي قطع تكتب علي رحل او علي حجر او جلد لأبنـــاء القبيلـــة او بعض افرادها بحادث، و قد نفينا ان يكونوا علقوا المعلقات في الكعبة كمـــا يقـــول المؤلف – و كذلك رفضنا رواية " حماد" عن تدوين النعمان بـــن المنـــذر لأشـــعار العرب ، و ما مدح به هو و أهل بيته من الأدلة علي ذلك اننا لا نجد راويا ثقة يزعم

انه نقل من قراطيس كانت مكتوبة في الجاهلية ، كما اننا لا نجد راويا ثقة يــزعم ان شاعرا في الجاهلية القى قصيدتة من صحيفة مدونة، انما كـــانوا ينشــدون شــعرهم انشادا ، و من كان منهم يعد قصيدتة فى حول او اقل من حــول كـــان يعــدها في نفسه ، و يرددها في ذاكرته ثم ينشدها و يحملها الناس عنه ، و من ثم قال الجاحظ : كل شيء للعرب فانما هو بديهي و إرتجال و كأنه إلهام ... الا ان يصرف العربي همه الي جملة المذهب و الي العمود الذي يقصد ، فتاتيه المعاني " ارســـالا" أي افواجـــا و تنثال عليه الألفاظ انثيالا ثم لا يقيده علي نفسه (من كتاب البيان و التبين ٢٨/٣) .

قضية الانتحال ص ١٦٤ :

يقول : و اضح مما قدمنا ان الشعر الجاهلي دخل فيه انتحال كثير ، و قد اشـــار الي ذلك القداماء مرار و تكرارا ، و حاولوا جاهدين انه ينفوا عنه الزيف و ما وضـــعه الوضاع متخذين الي ذلك مقاييس كثيرة ، و بلغ من حرصهم في هذا الباب ان أهمل ثقاهم كل ما روي عن المتهمين امثال " حماد" و " خلف" ، و كان الأصمعي خاصـــة لهم بالمرصاد، كما كان مفضل الضبى من قبله ، و تتابع الرواة الإثبات بعدهما يحققون و يمحصون في التراث ، و من اهمهم في هذا الجانب " ابن سلام " فقد دون في كتابة " طبقات فحول الشعراء" كثيرا من ملاحظات اهل العلم و الدراية في رواية الشـــعر القديم من اساتذة المدرسة البصرية التي ينتسب اليها ، و أضاف الي ذلك كثيرا مـــن ملاحظاته الشخصية . ثم يقول استاذنا الكاتب الكبير – و هذا الكتاب في الحقيقـــة هو اول كتاب اثار في اسهاب مشكلة الإنتحال فى الشعر الجاهلي ، و قد ردهـــا الي

عاملين: ١- عامل القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتزيد في مناقبها. ٢- و عامل الرواة الوضّاعين : يقول : لما راجعت العرب رواية الشعر و ذكر ايامها و مآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم و ما ذهب من ذكر وقائعهم ، و كان قوم قلت وقائعهم و اشعارهم و ارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع و الأشعار ، فقالوا علي السن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار (من كتاب ابن سلام ص ٣٩ و ما بعدها) فالقبائل كانت تتزيد في اشعارهم و تروي علي السنة الشعراء ما لم يقولوه ، و قد اشار ابن سلام مرارا الي ما زادته قريش في اشعار الشعراء ، فهي تضيف الي شعرائها منحولات عليهم ، و قد اضافت كثيرا الي شعر حسان (كتاب ابن سلام ص ١٧٩ - ٢٠٤ و ما بعدها) و يذكر ان من ابناء الشعراء و احفادهم من كان يقوم بذلك ، مثل داود بن تميم بن نويرة.

و من ص ١٦٥ يقول : و يقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلا كثيرا و و تنسبانه الي الجاهلين ، طائفة كانت تحسن نظم الشعر و صوغه و تضيف ما تنظمه و تصوغه الي الجاهلين و مثل لها " بحماد" و رأينا اشباها لــه في " جنـاد" و " خلف الأحمر" . و رفض ابن سلام و الأصمعي و اضرابهما الطائفتين جميعا .

ثم يقول : ففي الشعر الجاهلي منتحل لا سبيل الي قبولة ، و فيه موثوق به و هو علي درجات ، منه ما اجمع علية الرواه (ابن سلام ص ٥) و منه رواة ثقات لا شك في ثقتهم و اماناتهم ، مثل " المفضل" و " الاصمعي " و " ابي عمرو بن العلاء" . و قد يغلب المنتحل ، الموثوق به - و لكن ذلك لا يخرج بنا الي ابطال الشعر الجاهلي عامة ، و انما يدفعنا الي بحثه و تمحيصة مهتدين بما يقدم لنا الرواة الإثبات من أضواء

تكشف الطريق ثم يقــول : و كـــان " ســـرجيليوت" اكــبر مـــن اثـــاروا هـــذه القضية في كتاباته . أذ كتب فيها مقالا مفصلا نشـــره في مجلـــة الجمعيـــة الملكيـــة الأسيوية بعدد يوليه عام ١٩٢٥م جعل عنوانه كما مر بنا " أصول الشعر العربي" .

(The Origins of Arabic Peotery)

و تراه يستهله بموقف القرآن الكريم من الشعر ، متحدثا عن بدء ظهوره و نشـــأته و اراء القدماء في ذلك ، ثم ينتقل الي الحديث عن حفظه ، و ينفى ان يكـــون الروايـــة الشفهية هي التي حفظته و لكن " سرجيليوت" يذهب هذا المذهب ليقول انه لم تكن هناك وسيلة لحفظة سوي الكتابة ثم يعود فينفي كتابته في الجاهلية ليؤكد انه نظـــم في مرحلة زمنية تالية للقرآن الكريم. و ينتقل" سرجيليوث" من ذلك الي اللغة فـــيلاحظ الها لغة ذات وحدة ظاهرة و هي نفس لغة القرآن الكريم التي اشاعها في العـــرب. و يقول : و لو ان هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة ، في الجاهليـــة ، كمـــا مثـــل لنـــا الاختلافـــات بـــين لغـــة القبائـــل الشـــمالية العدنانيـــة و اللغة الحميرية في الجنوب . ثم يقول في ص ١٧٠ : و اذا تركنـــا المستشـــرقين الى العرب المحدثين و المعاصرين وجدنا " الاستاذ مصطفي صادق الرفعي" يعرض هـــذه القضية – قضية الإنتحال – في الشعر الجاهلي عرضا مفصلا في كتابه " تاريخ اداب العرب " الذي نشره في سنة ١٩١١ لا يتجاوز في عرضه – غالبا – سرد ما لاحظه القدماء (انظر الطبعة الثانية من هذا الكتاب ص ٢٧٧ و ما بعدها) فقد لاحظ مـــا دخل هذا الشعر من بعض الوضع ، و هو وضع سجله القدماء انفســـهم ولم يفتـــهم التنبيه عليه.

وخلف " الاستاذ مصطفى الرافعى " الدكتور طه حسين فدرس القضيه دراسه مستفيضه فى كتابه " الشعر الجاهلى " الذى احدث به ضجه (رجه) عنيفه اثارت كثيرا من المحافظين الباحثين فتصدوا للرد عليه . ولم يلبث ان الف مصنفه في " الادب الجاهلى " الذي نشره في عام ١٩٢٧ ، و فيه بسط القول في القضية بسطا اكثر سعة و تفصيلا ، اذ زودها ببراهين جديدة ، و قد خصص لها في مصنفه اربع كتب هي الكتاب الثاني و الثالث و الرابع و الخامس ، و نراه يقدم بين يديها نتيجة بحثه فيقول : ان الكثره المطلقة مما نسمية ادبا جاهليا ، ليست من الجاهلية في شيء ، و انما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية و تمثل حياة المسلمين و ميولهم و أهوائهم اكثر مما تمثل حياة الجاهلين ، و اكاد لا اشك في ان ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا. لا تمثل شيئا و لا يدل علي شيء ، و لا ينبغي الإعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي (في الأدب الجاهلي الطبعة الأولي) ص ٦٤ .

و واضح كما يقول كاتبنا الفاضل – إن الأستاذ الدكتور طه حسين: يبقي في الشعر الجاهلي علي بقية صحيحة، و إن كانت في رأيه قليلة، ولا تعطينا الصورة الأدبية الوثيقة لهذا الشعر و قد مضي يبسط الأسباب التي تدفع الباحث للشك فيه و اتهامه، و ردها إلي انه لا يصور حياة الجاهليين الدينية و العقلية و السياسية والاقتصادية، كما انه لا يصور لغتهم و ما كان فيها من اختلاف اللهجات، و تباينها بلهجاتها عن اللغة الحميرية، أما من حيث حياتهم فيقول انه عرضها علي القرآن الكريم. و هذا ما نعتقد انه الواجب أن يعرض الشعر الجاهلي علي القرآن الكريم لا أن يعرض القرآن

الكريم علي الشعر الجاهلي و شتان الفارق بين هذا و ذاك فوجده يمثلها من جميع جوانبها المذكورة تمثيلا قويا، فهو رأي القرآن الكريم – يجادل اليهود و النصارى و الصابئة و الماجوس و يهاجمهم. كما يهاجم الوثنية، ويطلعنا في تضاعيف ذالك على جمله معتقداهم بينما الشعر كما يقول – بريئا أو كالبريء من الشعور الديني القوي و العاطفة المتسلطة علي النفس و قياس الشعر الجاهلي في هذا الجانب علي القرآن الكريم مردود أو منقوص، لأن القرآن كتاب ديني يريد أن يجمع العرب علي الإسلام، فطبيعي أن يعرض لدياناهم و يناقشها و يبين ما فيها من ضلال بخلاف الشعر، فان شاعر لم يدع لدين جديد، و مع ذلك فان في كتاب "الأصنام " لأبن الكلبي ذخيرة كبيرة من الشعر تصور حياهم الوثنية تصويرا دقيقا. ووقف طه حسين طويلا إزاء لغة الشعر الجاهلي فلاحظ انه لا يصور اللغتين الشائعتين في الجزيرة: لغة الحميرين الجنوبية و لغة العدنانيين الشمالية، بل هو يضيف إلي الجنوبيين أشعار لغة الشماليين، و يقول كاتبنا و حقا إن ما يضاف إلي من كانوا في أقصى الجنوب و داخل اليمن – منتحل – أما من كانوا يجاورون الشماليين فقد تعربوا في الجاهلية مثل " مذحج " و " بلحارث بن كعب ".

و خاتمة هذه المقالة الكبيرة لعدد أربعة كتب للدكتور / طه حسين – يقول كاتبنا – و الحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير.

أهم مصادرا لشعر الجاهلي: و معني المعلقات:

يقول انه قد مر بنا أنها لم تعلق بالكعبة كما زعم بعض المتأخرين و إنما سميت بـــذلك لنفاستها اخذا من معني كلمة العلق بمعني النفيس، و يقال ان أول من رأها مجموعة في ديوان خاص بها "حماد الرواية" (أنظر ترجمة حماد في معجم الأدباء ٢٦٦/١٠) و هي عنده سبع : لأمرؤ القيس و زهير و طرفه و لبيد و عمرو بن كلثوم و الحارث بـــن حلزة و عنترة.

النثر الجاهلي ص ٣٩٨

يقول : ليس بين ايدينا وثائق جاهليه صحيحه تدل على ان الجاهليين عرفوا الرساله الادبيه وتداولها ، وليس معنى ذلك انهم لم يعرفوا الكتابه ، فقد عرفوها ، غير ان صعوبه وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها فى الاغراض الادبيه الشعريه والنثريه ومن ثم استخدموها (اى كتابة) فقط في الاغراض السياسيه و التجاريه(انظر الفن ومذاهبه فى النثر العربى (الطبعه الثالثه بدار المعارف) ص ١٩ .

ولا ينقض ذلك ما جاء فى السيرة النبويه من ان " سويد بن الصامت " قـــدم مكـــه حاجا او معتمرا ، فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فـــدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد ؛ فلعل الذى معك مثل الذى معى ، فقـــال لـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك ؟ قال : " مجلة لقمان " فقـــال لـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعرضها على ، فعرضها عليه ؛ فقال له : إن هذا الكلام حسن ، والذى معى افضل من هذا : قرآن انزله الله على ، هو هدى ونور ، فتلا عليه رسول الله القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال ان هذا لقول

حسن .(من كتاب السيرة النبوية لابن هشام (طبعة الحلبي) ٦٨/٢) وهذا الخبر إنما يفيد أنة كان عندهم صحيفة بها بعض امثال وحكم مما كانوا ينسبونة الى لقمان ، ووجود مثل هذه الصحيفة لا يدل على انهم استخدموا الكتابة فى التعبير عن وجدانهم نثرا وشعرا ، فقد كانت محدودة الانتشار بينهم ، واذا كنا نفتقد الادلة المادية على وجود رسائل ادبية فى العصر الجاهلى فمن المحقق أن عندهم الوان مختلفة من القصص والامثال والخطابة وسجع الكهان ، ومن المؤكد انهم كانوا يشغفون بالقصص شغفا شديدا و ساعدهم على ذلك اوقات فراغهم الواسعة في الصحراء، فكانوا حين يرخي الليل سدولة يجتمعون للسمر، و ما يبدأ احدهم في مضرب من مضارب خيامهم قوله : كان وكان حتي يرهف الجميع اسماعهم اليه، و قد يشترك بعضهم معه في الحديث ، شباب الحي و شيوخه و نساؤه و فتياته المخدرات وراء الأحجبة و الأخبية ، كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق و لهفة. و يمكننا بواسطة ما دونه العباسيون ان نعرف ألوان هذا القصص الذي كانوا يتناقلونه بينهم ، و ربما كان اكثر هذه الألوان شيوعا علي السنتهم، أيامهم و حروبهم و ما سجله ابطالهم فيها من انتصارات مبهرة او ما منيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة ، و قد ظلوا يقصون هذه الأيام والحروب الي ان تناولها منهم لغوي القرن الثاني للهجرة و رواته، فدونوها تدوينا منظما علي نحو ما هو معروف عن ابي عبيدة في شرحة نقائض جرير و الفرزدق ، و توالي من بعده التأليف فيها و العناية بها علي نحو ما تقدم في غير هذا الموضع.

الأمثـــال: إذا كان القصص الذي أضيف إلي الجاهليين لا يحمل لنا صورة دقيقة للنثر الجاهلي بحكم تأخرة في التدوين فإن الأمثال تحمل لنا غير قليل من هذه الصور اذ من شانها ان لا تُغير ، و قد سارع العرب الي تدوينها منذ اواسط القرن الأول للهجرة ، اذ ألف فيها " صحار العبدى" احد النسابين في ايام معاويه بن ابي سفيان (٤٠-٦٠ هـــ) كتابا كما الف فيها " عبيد بن شربه" معاصره كتابا اخر ، و يقول صـــاحب الفهرست إنه رأه في نحو خمسين ورقة (من كتاب الفهرست ص ١٣٢) و اذا انتقلنا الي القرن الثاني وجدنا التأليف في الأمثال يكثر، اذ أخذ علماء الكوفة و البصرة جميعا يهتمون بها و يؤلفون فيها.

الخطابة: ليس بين ايدينا و ثيقة من الخطابة الجاهلية، لما قلناه من بعد المســافة بــين العصر الذي قيلت فيه و عصور تدوينها، و لذلك كان ينبغي ان نحترس بما رواه منها " صاحب الأماني" و " صاحب العقد الفريد " و اكثره او جمهوره منحول، علــي ان اتهامنا لنصوصها لا ينتهي بنا الي انكارها علي الجاهليين بل انه لا ينتهي بنا الي انكار ازدهارها كما حاول بعض الباحثين. (كما جاء في كتـــاب الأدب الجــاهلي لطــه حسين ص ٣٧٤.

سجع الكهان :

كانت في الجاهلية طائفة تزعم انها تطلع علي الغيب و تعرف ما يأتي به الغد بما يلقى اليها توابعها من الجن و كان واحدها يسمى هنا كما يسمى تابعه الذي يوحى اليه بأسم " الري"، و كانوا يلجأون اليهم في كل شئونهم.

و خلاصة هذا الكتاب القيم و كما يقول السيد المؤلف:

أخذت أبحث في اللغة العربية و عناصرها السابقة القديمة ، و وقفت عند أقدم لهجائها المثبتة في النقوش و هي الثمودية و اللحيانية و الصفوية ، تلك التي كتبت نقوشها بالخط المسند الجنوبي ثم اللهجة النبطية و كانت نقوشها تكتب بالخط الآرامي و منه نشأ تطور الخط العربي في الحجاز و تختلف هذه اللهجات الأربع اختلافات كثيرة من لغة الجاهليين، و ان كان من المؤكد ان اللهجة النبطية اقربها جميعا اليها و قد أخذت في الدثور (الاختفاء) منذ القرن الثالث للميلاد، بينما اخذت تحل محلها مقدمات الفصحى بحيث لا نصل الي نهاية القرن الخامس و اوائل السادس الميلادي حتي تتكامل تماما و تعم بين القبائل النجدية و في الحيرة و بين الغساسنة و تصبح هي اللغة العامة المتداولة بين الشعراء ، و كانت هناك لهجات قبلية كثيرة و لكن الفصحى ظفرت بهم جميعا في المجال الأدبي ، بحيث كان الشعراء في كل قبيلة ينظمون بها مرتفعين عن لهجاتهم القبلية أو المحلية، و قد حار المستشرقون طويلا في معرفة اللهجة التي سادت بين القبائل في الشمال و أصبحت اللهجة الأدبية الشائعة علي كل لسان، و اثبتت انها لهجةقريش ، اذ تآزرت بواعث دينية و إقتصادية و سياسية علي ان تتم لها هذه السيادة منذ أوائل العصر الجاهلي.

تم كتاب العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف

(القاهرة في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠)

و الحمد لله رب العالمين

Landmarks in linguistic thought I

The Western tradition from Socrates to Saussure

second edition

Roy Harris and Talbot J. Taylor



London and New York



ماذا يقول الأثريون و الباحثون عن أصل الكلمة و نشأتها

من كتاب :

Land mark in Linguistic thought .The western tradition From Socrates to Saussure.
Second edition
Roy Harris and Talbot J. Tayler
London and New York

Chapter 3:

The Bible on The Origin and Diversification of Language

يقول الكاتب:

١. لقد اخرج الله من الأرض جميع و حوش الحقل و جميع طير الهواء و جلبهم الي آدم (عليه السلام) لكي يري الأسماء التي سيطلقها عليهم آدم ، و كانت الأسماء كما نطق بها آدم لكل المخلوقات. لقد أعطى آدم اسما لكل الماشية و للطير في السماء و الي جميع انواع حيوانات الحقل. (من سفر التكوين- الجزء الثاني ص ١٦-٢٠).

٢-كانت النقطة الأولى و التي أجمـع عليهـا كـلا مـن سـفر التكـوين و Cratylus أن الأسماء الأولى قد خلقت ، و كان هذا موضـوعا للجـدل في الهند و هي احدى البلاد ذات اللغـة القديمـة و خاصـة لـدى "النحـويين السانسكريت" هل الكلمات مخلوقة ام غير مخلوقة؟؟!!، بينمـا لم يظهـر هـذا السؤال في بلاد اليونان. و كان الإفتراض ان اللغة دائما نتيجة فعل خَلقـي ، و ان الكلمات لم توجد كشيء طبيعي. و لذلك كان السؤال من؟ كيف؟ و لماذا ؟ جعلت و ظهرت الكلمات الأولى.

٢. و كانت الأجابة في سفر التكوين – كما قالت التوراة – بدون ادنى شك – كما يقول المؤلف – ان اللغة هي من أصل انساني و انها بـدأت مـع أول انسان ظهر علي الأرض و هو آدم (عليه السلام) ، لأن الحيوانات كانـت حتى ظهور آدم ليس لها أسماء علي الإطلاق. و أن الله سبحانه و تعالى هـو الذى اعطاها تلك الأسماء و ذلك ان الله لم يرفض اطلاقـا ان يقبـل تلـك الأسماء التي اطلقها آدم ، و انه علي تلك التسمية. و كانت الأسماء كمـا أطلقها آدم و علي هذا كانت الأسماء بقرار انساني – كما يقول المؤلف– و كان اختلاف الأسماء تبعا لأختلاف اللغات لم يكن قد ظهر بعد، و لم يظهـر الا في التاريخ الاخير لتواجد اللغات المختلفة.

ثم يناقش موضوع كيف توصل آدم الي هذه الأسماء ؟ و هل سماها كما طـرأت علي خاطره و ذهنه أو هو اختار هذه الأسماء بناء علي بعض الظواهر التي شاهدها في تلك الحيوانات ولكن لم توجد في التوراة أي اجابة علي مثل هذه الأسئلة.

Hermogenes: namely what principles of nomenclature Adam adopted in naming the animals. Did Adam just call the animals whatever first came into his head? If so, that could be argued to support Hermogenes. Or did he somehow attempt systematically to choose an appropriate name for each animal? If so, that could be argued to support Cratylus. But the Biblical account gives us no information about this. That did not stop later scholars from speculating about exactly how Adam did name the animals.

According to Leibniz (1646–1716), Adam must have named the animals on the basis of a natural analogy between the sound of each name and the mental impression prompted by his perception of the animal in question (Aarsleff 1982: 91). This is a somewhat different theory of natural appropriateness from the one put forward by Socrates in Plato's *Cratylus*. Locke (1632–1704), on the other hand, assumed that Adam was free to impose names entirely arbitrarily, in the manner claimed by Hermogenes. Locke imaginatively improves upon the story in Genesis, and depicts scenes in which Adam coins various new words. Two of these are words for abstract ideas: 'jealousy' (*kinneah*) and 'adultery' (*niouph*). Locke contrasts these cases with what happens when Adam is called upon to name a piece of metal brought to him by one of his children.

> One of Adam's children, roving in the mountains, lights on a glittering substance which pleases his eye. Home he carries it to Adam, who, upon consideration of it, finds it to be hard, to have a bright yellow colour, and an exceeding great weight. These perhaps, at first, are all the qualities he takes notice of in it; and abstracting this complex idea, consisting of a substance having that peculiar bright yellowness, and a weight very great in proportion to its bulk, he gives the name *zahab*, to denominate and mark all substances that have these sensible qualities in them. It is evident now, that, in this case, Adam acts quite differently from what he did before, in forming those ideas of mixed modes to which he gave the names *kinneah* and *niouph*. For there he put ideas together only by his own imagination, not taken from the existence of anything; and to them he gave names to denominate all things that should happen to agree to those his abstract ideas, without considering whether any such thing did exist or not; the standard there was of his own making. But in the forming his idea of this new substance, he takes the quite contrary

ثم يضيف: أنه يمكن ان تكون هذه الأسماء بناء علي قرار " سماوى علوى" الهي كما يقول " انجيل لوقا". و يؤكد ذلك بما قاله عندما دعي ليطلق إسما علي قطع من معدن أحضرها أحد أولاده ، كان يتسلق قمة احد الجبال فوجد ضوءا يتلألأ يخطف نظر عينه من جسم من معدن ثقيل حمله إلي والده (آدم). فوجده آدم ذا لون أصفر لامع و ذا وزن ثقيل و كانت هذه هي تقريبا كل الأوصاف التي لفتت نظره و التي اعطاها أسم " ذهب" (و قد كتب المؤلف الحروف باللاتينية أو بالانجليزية هكذا "Zahab" و لم يسمها " Gold" كما هي معروفة بالانجليزية أو "OR" بالفرنسية و كذلك أطلق عليها أسم " قنينه" "Kinneah" علي الزجاجة. (و نلاحظ ان كلمة ذهب و هي كلمة عربية و كذلك كلمة قنينة (. ثم يقول انه (أى أدم) لم يخترع أي شيء غير التسمية و أن هذه التسمية قد تركت العالم كما كان قبل التسمية و من هنا ظهرت المقولة ان الأشياء يمكن ان توجد بدون أسماء و لكن ليس العكس، و ان الأسماء لا تغير أي شيء لان الحقيقة يمكن ان توجد بدون أسماء.

و هنا نود ان نقول ان السيد المؤلف لو قرأ القرآن الكريم لقرأ فيه النص التالي:

(و علم آدم الأسماء كلها) من سورة البقرة الاية رقم ٣١

و لنا ايضا إضافة علي قول السيد المؤلف : ان هذه التسمية قد تركت العالم كما كان قبل التسمية، ، كيف و قد أكد آدم (عليه السلام) فى هذا الشأن – ان صح كلام المؤلف – ان اللغة العربية هي اللغة الأولى التي نطق بها آدم منذ بدء خلقة.

ثم يضيف المؤلف: بالطبع لم يكن ادم محتاجا الي الأسماء في جنات عدن ، و لكن كانت الحاجة اليها عند هبوطه الي الأرض – و من هنا كان :

- السؤال الأول: علي ماذا يدل هذا الأسم؟
- السؤال الثاني: كيف يدل هذا الأسم علي هذا الشيء و ليس شيئا أخر؟

ثم يقول : و اخيرا يتفق كل من سفر التكوين و حكماء القرون الأولى (أفلاطون) أنه لم تكن في البداية سوى لغة واحدة و لكل الناس. (بالطبع هي اللغة التي نطق بها آدم و كتب بها آدم أسماء الأشياء كما سبق و ذكر المؤلف).

ثم أورد السيد المؤلف: قصة برج بابل: التي ذكرت في التوراة و التي كانت تقول ان كل الأرض كانت تنطق لغة واحدة و تتكلم كلاما واحدا و أنه بدأ من الشرق حين وجد ارضا سهلة للوقوف عليها و البناء فوقها، و هكذا تم بناء برج سمي "برج بابل" بناء علي وحدة اللهجة و اللغة ثم اراد الله انتشارهم فوق سطح الأرض و تركهم لبناء المدن و كانت أول مدينة اسمها " بابل " و عنها نشر الله اللغات علي وجه الأرض و ذلك كما جاء بسفر التكوين (الجزء الحادي عشر ص ١-٩). و كما انتشرت الأمراض و الإصابات في حيوانات آدم ، انتشرت لغاته. ثم يقول المؤلف: سواء كانت هذه القصة (قصة برج بابل) حقيقية أم مفبركة (أي مختلقة من وحي الخيال) فليس هناك من توضيح لوجود هذه الأسماء المختلفة للأشياء سوى ارادة الله. و كانت اللغة كما كنا نعتقد – كما يقول المؤلف – انها شيء قد خلقناه نحن بني البشر و لكنها في الحقيقة هي هدية من الله و لا نعرف سببا لذلك و لكنها رغبة إلهية و ليس لنا أي تحكم فيها.

ثم يضيف المؤلف: و كان معني إختلاف الألسنة اننا لا يمكن ان نرجع الي مــا كـــان موجودا من لغة واحدة عند بداية خلق آدم ، و كان تواجد عالم إنجليزي نحوي هو " بيوزي" في القرن الثامن عشر و لم يصدق قصة "برج بابل" السابقة و التي ذكرت في التوراة، و لذلك أختلف هؤلاء العلماء و الباحثين في اصل اللغة التي نطق بها آدم، و ما كان احد يستطيع ان يفترض ان هذه اللغة كانت يمكن ان تعيش حـــتي القـــرن التاسع عشر.

و عن أهمية التعليم في مصر في عهد البطالمة، يقول " ديانا سويس" بأن مصر اضحت اكبر مركز للتعليم في عهد البطالمة في الفترة التي تلت غزوها بواسطة الإغريق فكان الإتصال بين الإغريق و المصريين و الحضارات الأخرى في الشرق الأدنى القريب قد نتج عنه أزهى المدارس و الحضارات العلمية و تركز كل ذلك في مكتبة الأسكندرية ثم يضيف ان حريق الكتب بواســطة العـــرب المســـلمين الغـــزاه لمصـــر أصـــبح يمثل إفسادا. (هكذا !!!)

ولنا راي في هذا الموضوع سوف نذكره فيما بعد. عند دراسة موضوع مكتبة الأسكندرية كاملا .

ثم يستطرد المؤلف ، و يتحدث عن قضية " النحو " ، و يعرفها بأنها دراسة عملية لأستعمال كل من الشعر و النثر بين الكتاب:

فيقول سواء كان " ديانا سويس" هو كاتب قواعد النحو الأولى و التي عاشت حـــتي اصبحت " تقنية النحو" و التي اصبح و جودها الان أقرب الي القرن الثالث الميلادي أو بعد ذلك، و قد سميت بأسمه نسبة لمؤلفها، ثم جذبت اليها بعد ذلك كـــثير مـــن

النحويين ثم ترجمت الي الآراميه و السوريانيه تقريبا في القرن الخــامس المــيلادى، و رغما من عدم وضوح الأصل فانه لخص أو قرب كثيرا في دراسة اللغة وعكس أهمية كبرى عن تلك التي كانت موجودة في فترة دراستها بالفصول الإغريقية.

و في صفحة ٥٢ من الكتاب: يقول المؤلف ان الحروف الأبجدية اليونانية و التي بــدأ بها نظام الكتابة قد استعيرت من الفينيقيين و ذلك في الفترة من النصف الأول مــن المليون الأول من التاريخ قبل الميلاد – كما يقول "ويرنجر" ١٩٦٨– و لمدة مئــات السنين بعد دخولها (أي الحروف الأبجدية) العالم الإغريقي، لم تظهر أي دور حيــوي في الحياة اليونانية، فالإلياذة " لهومير " كانت شعرا شفهيا، و قد عكســت حضــارة شفهية (من أونج عام ١٩٨٩) ، و حتي افلاطون بدأنا نرى بعــض العلامــات في اليونان للإنتقال من الشفهية الي نوع مــن الأدب (هــافلوك ١٩٦٣) " هــاريس" ١٩٨٩ ، " توماس ١٩٨٩ – ١٩٩٢ ". و كانت حتي ذلك الوقت – أي حــتي وقت أفلاطون – كما يقول المؤلف – معظم الأعمال التي تهم الناس مثــل قــوانين المحاكم في ايدي أناس يجيدون المناقشات الشفهية.

و عن فضل الكتابة: يقول : ثم يوضح فضل الكتابة بأنها عملية تقنية خاصة و همــزة وصل و إثبات للكلام و خاصة في غرض حفظ السجلات، و بعد ظهــور القواعــد اللغوية (Grammer) اصبحت الكتابة أكثر اهمية للاغريق لأكثر من سبب.

و حيث ان القواعد اللغوية قد ظهرت حوالي ٣٥٠ عاما قبل الميلاد، و هذا قد ظهر من أعمال افلاطون و من " الموسوعة لأرسطو" ثم يضيف و لكن هذا ليس صحيحا فقد كان كلا من أفلاطون و ارسطو تعلموا القرأة و الكتابة و كانا يجيدان الشعر و

كانا يعكسان الفلسفة علي أسألتهما ، و لكنهما لم يظهرا أي معرفة بقواعد اللغة التي وضعها " دياناسويس" فحتي ذلك الوقت لم يكن تعريف قواعد اللغة يعنى اكثر من معرفة كيف تكتب الكلمات صحيحة، ثم يقول ان الكتابة كوسيلة اتصال متقدمة في العالم القديم لم تطلب الا لتخدم الطلبات
و تظهر الإحتياجات الاجتماعية و التي لم تجر المدن الكبيرة علي استخدامها.

بداية استخدام الكتابة:

و كانت نقطة التحول لاستخدام الكتابة علي نطاق واسع بعد فتوحات الأسكندر الأكبر و خاصة بعد وفاته حيث ورث الإغريق مستعمرات كبيرة فكان نظام الحكم يقتضى عمل دواوين للحكم للحفظ و المراجعة للحسابات، فكانت الحاجة إلي الوثائق المكتبية و كانت الحاجة أيضا إلي تعليم الأجانب اللغة اليونانية حتى يمكنهم التعامل مع الحكام الإغريق ، ثم علاقتها بالحضارة المصرية ثم محاولة الإحتفاظ بالحكمة اليونانية و كان " ارسطو " ليس هو اول فيلسوف يوناني بني مكتبة خاصة به ، و كان هذا مما دفع بالكتابة الي التقدم و أصبحت الكتابة وسيلة للتعبير، و كان أرسطو اكثر من استفاد من هذا بحيث أصبحت حكمته هي قانون الفلسفة الأوربي لعدة قرون حتي ان " الإلياذة الهوميرية" و التي كانت تمثل قمة الحكمة اليونانية ترجمت لكي تكتب لأول مرة حتي ان " مانيو سكريبتس " صاحب الإلياذة كوفىء علي شعره بأن اصبح استاذ المدرسة البطلمية بالاسكندرية ، و حتي ان اسم " دياناسويس" و عملية تقنية قواعد اللغة دخلوا قواعد اللغة في الغرب و مازالوا حتي يومنا هذا . و عندما ناقش خبراء قواعد اللغة الانجليزية لماذا كان عدد هذه القواعد هو ثمان

فقط .. كانت الاجابة لأن " ديانا سويس" وضعها هكذا، ثمانية فقط. و حتي عنـــدما كتبت قواعد اللغة لم تكن اللغة الانجليزية قد ظهرت علي خريطة لغات اوروبا حـــتي ذلك الوقت. و كانت تلك القواعد التي وضعها " ديانا سويس" قواعد للغة اللاتينية في القرن الرابع الميلادي.

ثم يضيف: و مع هذا كانت هناك لغات بدون قواعد حتي القرن التاسع عشر مثـــل اللغة الصينية: و قسمت اللغات الي ثلاث أقسام.

١. لغات بدون قواعد نحوية.

٢. لغات مع إضافة بعض الأحرف فى اول الكلمة او آخرها.

٣. لغات يمكن الاستنباط منها (مثل اللغات اللاتينية او الاغريقية).

ثم يقول ان في مصر كانت اللغة مثل مصباح " بترين " فلم يكن يوجد فـــرق بـــين الأسم و الفعل و الصفة ، ثم يوضح انه كانت هناك مراحل لنمو للغة بدون فـــروق واضحة توضح اختلاف أجزاء الكلام.

بداية الكلمة :

ثم يوضح الكاتب بصفحة رقم ٥٨ من كتابه: القول بأننا عندما وصلنا الي بداية السلسلة عن بداية الكلمة نجد ان هناك أصلان فقط لا ثالث لهما و هما :

١. الكلمة الموضوعية ثم الإستنباط منها ، فالكلمة الوضعية تمثل النهر و الاستنباط منها يمثل الجدول و كانت الناس تتمنىان تكون الكلمات الوضعية قليلة بقدر الإمكان حتي يستطيعوا ان يتعلموها ، و لكن الأسماء

المشتقة فتكون كثيرة بقدر الإمكان. (من موسوعة اللغة اللاتينية الجزء السابع ص ٥).

و من الجزء الخامس :

تحت عنوان تعدد طرق التعليم ص ٦٣

يقول ان مهارة المتكلم هو حذقه للغة و لكن هذا الحذق لا يمكن ان يكتسب دون برنامج لتعلم اللغة، و لا يكفي ان يكون المتكلم ذو موهبة، بل لابد ان يكون متمرنا علي ذلك ، فلابد ان يكون المتكلم عالما بالضبط ماذا يريد من اللغة؟

تعلم الطفل الكلام

يقول : انه عندما يسمي كبار السن بعض الاشياء و بالتالي التحرك نحو هذه الأشياء، فالطفل يرى ذلك و يركز في تفكيره ليتعلم ان الشيء قد نودى بالصوت الذي اطلق من الكبار عندما ارادوا الإشارة اليه، و قد وضح قصدهم بالصوت و بحركات اجسامهم حيث انها الطريقة الطبيعية للغات جميع الناس، فتعبير الوجه و حركة العين و حركات جميع أجزاء الجسم المختلفة و طبقة الصوت التي تدل علي حالتنا العصبية، في البحث عن تلك الاشياء و خاصة في حالة الرفض لبعض تلك الأشياء. و علي هذا سماعي أو سماع الطفل المتكرر لهذه الكلمات في موضعها الملائم في جمل مختلفة ، فانه يتعلم بالتدريج كيف يفهم ماذا تدل عليه هذه الكلمات و بعد ان يتعلم ، يتعلم

كيف يحرك فمه ليقل (ينطق) تلك الكلمات فهو (أي الطفل) يستخدمها ليدلل علي رغباته. (Confessions 12)

ثم يضيف: ان التعليم الروماني: في القرن الأول الميلادي كان تعليمـــا مزدوجـــا أي تتعلم لغتين في نفس الوقت هما الإغريقية و اللاتينية، و كانت نقطة البحث بأي مـــن اللغتين يبدأ الطفل بالتعلم أى باللاتينية او الاغريقية اولا ، وكان القرار الاخـــير فى صالح الاغريقية وذلك لآن الطفل الرومانى سوف يلتقط كلمات اللاتينية من الحديث اليومى بين اهله . وكان السبب الثانى : أن اللاتينية قد اشتقت من الاغريقية فكـــان لابد ان يبدأ بتعلم الاغريقية .

ثم يتكلم عن السن التى يجب على الطفل ان يتعلم فيها القراءة وحددها ب ٧ سنوات ولكنه يرفض ان يبدأ الطفل بتعلم حروف الابجدية (ص ٦٥).

ثم يوضح فى ص ٦٧ :– انه طالما بدأ الطفل فى تعلم القراءة والكتابة فلا بد ان يتعلم فى نفس الوقت قواعد اللغة .

ثم فى ص ٦٩ يقول انه فى النصف الاخير من القرن الاول الميلادى اصبح التعليم الاغريقى الرومانى فى ايدى اناس محترفي المهمة .

وفى ص ٧١ يقول حيث ان تركيب الكلمات لم ينزل من السماء مع بدأ خلق الانسان لكى يوضح قواعد اللغة ولكن تلك القواعد قد اكتشفت بعد ان بدأ الكلام وبعد ان تعلم نهايات الكلمات التى تستخدم فى الحديث عن طريق التمرين والملاحظة وحقائق استخدام الكلمات .

ولنا رأى على هذا الكتاب سوف نوضحه فيما بعد .

سلسلة المراجع الجامعية
قسم الترجمة والتأليف كتاب

الحضارة الفينيقية

تأليف
ج . كونتنو

ترجمه
دكتور محمد عبد الهادي شعيرة

راجعه
دكتور طه حسين

الناشر
شركة مركز كتب الشرق الأوسط
١٤ شارع قصر النيل

الحروف الابجدية واللغة الفينيقية
وعلاقتها
بالاغريقية او اليونانية

وحيث ان الحروف الابجدية للغة الاغريقية قد استعيرت من الفينيقيين – كما سبق وذكرنا طبقا لقول المؤلف (Roy Harris & Talbot) – فيجب هنا ان نوضح من هم الفينيقون هؤلاء الذين اخذ عنهم الاغريق حروفهم الابجدية .

من كتاب الحضارة الفينيقية

تأليف ج كونتنو (وهو احد الباحثين عن-الاثار)

ترجمة دكتور / محمد عبد الهادى شعيرة

مراجعة دكتور / طه حسين

اصل الحضارة الفينيقية :- يقول المؤلف :

عهد الفينيقيين : من المسلم به منذ العصور القديمة ان الفينيقيين ليسوا من اهل البلاد الاصليين ، الهم نزحوا مهاجرين الى البلاد التى نزلوها ، ويردد العهد القديم فى الفصل العاشر من سفر التكوين هذه الرواية فى قائمة الشعوب ، وقد اورد محرر هذا الفصل – كما يقول المؤلف والمترجم – قائمة نسب الشعوب المختلفة والمعروفة فى

زمنه ، فيبدأ باولاد نوح " الثلاثة " ، سام وحام ، ويافث . وهم ايضا اسماء لثلاثة شعوب كبيرة هم :-

أ- الساميون ب - الحاميون ج - اليافثيون

(ونحن نستبدل اليوم الاسم الاخير " اليافثيون " باسم الهند - اروبيون) واسم (صيدا) الوارد فى القائمة يمثل فينيقية كلها فى شخص رجل واحد ، هو الرجل البكر من ابناء كنعان (**Canaan**) ، وكنعان من ابناء سام ، ونحن نسلم اليوم ان الفينيقي يدخل فى مجموعة الكنعانيين ، ونجعل اللغة الكنعانية بحسب خواصها ضمن المجموعة السامية .

اما التوراة - كما يقول المؤلف - فتوصف الفينيقيين بالمجموعة الحامية التى ينتمى اليها المصريون ايضا - واذا اردنا تأويل قائمة الشعوب كما وردت فى سفر التكوين ، فلا يجب ان ننسى ان محرر السفر يوجز القول عن كل شعب فى عبارة أخاذة او فى اسم واحد دون ان يدخل فى حسابه العناصر المختلفة المكونة له ، بل لا يعتبر الا العنصر الذى يراه اهم . ويؤكد سفر التكوين فى الاصحاح العاشر وجود علاقة بين كنعان ومصر ، وقد دلت اكتشافات" بيبلوس " الاخيرة على ان أقدم تأثير ملحوظ وقع للفينيقية هو التأثير المصرى منذ اول التاريخ المصرى بل منذ ايام تكوين مصر فى فجر التاريخ ، يقول المؤلف - وعلى ذلك يكون الاصحاح العاشر من سفر التكوين صادرا عن اخبار صحيحة فى هذه النقطة ، ان وجود عنصر مصرى ذو تأثير على ابتداء الحضارة الفينيقية لا يمنع من وجود عناصر اخرى كثيرة مؤثرة كما سيأتى بعد.

وكذلك كان هيرودوت (ف١-١، ف٧-٨٩) : يعتقد ان الفينيقيين ليسوا من اهل البلاد الاصليين وانما يجعلهم نازحين من البحر الارتيرى ، أما " استرابون " (ف ٢، ١ - ٣٥) ، (ف، ١٦ف٤-٢٧) فيروى لنا فى شيء من الاستغراب ان سكان الخليج الفارسى اكدوا له انهم يسمون اسم " صيدا وصور ، واراد **Arad** " وان المعابد عندهم تشبه معابد الفينيقيين ، ويؤيد " بلين " هذه الواقعة.

(كتاب التاريخ الطبيعى : ف ٤-٣٦) .

ويصف لنا " جوستان " "**Justin**" هجرة الفينيقيين (ف١٨،ف٣-٢-٤) ويقول : ان الامة السورية مكونة من الفينيقيين الذين نزحوا من بلادهم الاصلية حين افزعهم الزلزال ، ونزلوا اولا على ضفاف البحرية الاشورية ثم شواطىء البحر الابيض وهنا بنوا مدينة سموها " صيدا بسبب وفرة الصيد من السمك ، والفينيقيين يسمون السمك " صيدا وبرغم عدم دقة هذا الخبر فان العبارة جديرة بان تناقش .

فما هى هذه البحيرة الاشورية او السورية ؟؟.

كان مؤرخو العصور القديمة يعتبرون السورى والاشورى واحد ويرى بعض العلماء ان المقصود بالبحيرة الاشورية هو بحر النجف من بابل ، ويرى البعض الاخر انها بحيرة " بامبيس " "**Bambyce**" او بحيرة انطاكية او البحر الميت ، وعلى اية حال – كما يقول المؤلف – فان خط السير الذى اتبعته الهجرة يتلخص فى الصعود مع مجرى الفرات ودخول سوريا من ناحية الشمال .

اما المؤرخون العرب فيقولون الهم عبروا مضيق الجزيرة العربية من مصب الفرات الى وادى الاردن .(من كتاب ماسبيرو – التاريخ القديم لشعوب الشرق (١٩/٢)ص ١٩٦ .

وتختلط هذه النظرية الاخيرة بالنظرية التى تجعل مهد الساميين جميعا واول حركتهم من بلاد العرب ، وهى نظرية شائعة نسلم بها اليوم ، وإن كانت تثير اعتراضات خطيرة ، فما هى اكبر حجة يمكن التمسك بها لتأييد هذه النظرية ؟؟.

ثم يقول : ولدينا مثل يؤيد المهد العربى ، وهو تحرك الساميين من بلاد العرب على يد الاسلام ، وهو امر لا يقبل جدلا ، فاذا اوغلنا فى الماضى وجدنا تحرك التدمريين من الجزيرة نحو الشمال ، وهم فيما يظهر من اصل عربى ، وكذلك النبطيون ومن المحقق الهم من اصل عربى ، اما ما وراء ذلك لا نستطيع ان نتحاج الا بالقياس " Analogic " وقد افترض المؤرخون على اساس هذه الهجرات المعلومة ان بلاد العرب تزدحم بالسكان فى كل دورة زمنية فتخرج منها هجرات سامية تفتح اسيا الغربية ، وقبل هجرة الاراميين والغارة التى انتهت بقيام مملكة "حمورابى " حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. وهو – عند بعض العلماء – من اصل عربى ، وقبل ذلك كانت هجرة الفاتحين الكبار حتى اسرة " Agde " (حول القرنين السادس والعشرين والخامس والعشرين) وهذه الحركة الاخيرة نكون قد صعدنا الى فجر التاريخ .

وتدل رحلات الاستكشاف النادرة التى قام بها العلماء فى بلاد العرب على استقرار شعوب على الشاطىء الغربى ، وقد تركت نقوشا يمكن ان ترجع الى القرن السادس او السابع قبل الميلاد على الاكثر وهى النقوش السبئية والحميرية .

اما عن العصر السابق على ذلك ، وهو الذى يهمنا وحده فى مسالتنا هذه التى نعالجها هنا فإنا نجهل كل شىء – كما يقول المؤلف – بل يجب ان نعترف فوق ذلك ان بلاد العرب ، وان تكن اليوم (اكتوبر١٩٤٨) وقت تأليف هذا الكتاب "كتاب الحضارة الفينيقية " ، ذات امكانيات حيوية على كثير من القصور . كانت فى القديم ذات جو مختلف بعض الشىء وذات خصوبة اكثر بكثير .

ثم يناقش المؤلف كيف تمت هذه التحركات ؟؟ . اكان مرورها عن طريق بوغاز باب المندب ثم النزول عند مصب دجلة والفرات فى المكان الذى صعد منه الكنعانيون مع مجرى النهر . (او قل الساميين لان نفس النظرية تنطبق على كل الساميين لا على الكنعانيين وحدهم) ، ان اول عقبة تحول دون صحة هذه النظرية – كما يقول المؤلف – هى اتساع البوغاز بالنسبة لذلك العصر ، ففى الالف الثالث قبل الميلاد كان دجلة والفرات يصبان فى الخليج بمصبين منفصلين ينحسران الى الداخل بنحو ١٥٠ كم عما هما الان ، ثم تقدمت الرواسب بالمصبين شيئا فشيئا ، وبالتدريج اتحد النهران فى نهر واحد هو شط العرب ثم يضيف ان ثمة عقبة اخرى لا اجد لها حلا هى ، اننا نسلم اليوم بان حضارة اسيا الغربية ترجع باصلها الى حضارة السومرين ، والسومريون شعبا غير سامى ، كان مستقر فى القسم الجنوبى من وادى الرافدين قبل الالف الثالث ق.م. ومما ينسب اليه تأسيس عدد من المدن على شاطىء شكل قوس

دائرة الخليج بالتقاء الماء بالارض وكانت تلك المدن قديما مدنا بحرية ، اما اليوم فهى مدفونة فى رمال الصحراء ، ولما اجريت الحفائر فى هذه المواقع العريقة فى القدم ، بلغت بنا – كما يقول المؤلف الى حقيقة يقينية هى ان الحضارة فى فجر العصر القديم كانت سومرية ليس إلا ، أما فى الطبقة الحفرية التالية فتختلط الاثار السامية والسومرية اختلاطا كاملا ، ونصل فى اواخر هذه الطبقة الى فجر التاريخ ، فكيف نستطيع ان نوفق بين هذا وبين مرور الساميين من هذا الطريق ، والساميون قد تركوا لنا الاف الشواهد على وجودهم فى نفس العصر السومرى ، ويتساءل المؤلف كيف عبر الساميون وادى الرافدين من الجنوب الى الشمال دون ان يتركوا اثار لمرورهم او دون ان يطبعوا الحضارة السومرية بالطابع الذى طبعوها به فيما بعد ؟! ويجيب على هذا التساؤل بالقول بان هذا لا يمكن ان يحدث الا اذا فرضنا ان الساميين كانوا لا يزالوا فى حالة بربرية غالبة بحيث عبروا ارض سومر دون ان يتركوا من اثارهم او طابعهم شيئا او نظرا لضيق الوقت الذى مر خلال مرورهم فقط ، دون الاقامة فى هذا المكان لمدة كافية . ويضيف المؤلف – الا اذا فرضنا ايضا الهم اتصلوا بالسومريين واخذوا حضارقم بالتدريج ثم نموها بعبقريتهم الخاصة . وعلى اساس هذه الفروض تكون كل الاثار السامية العريقة جدا الباقية فى وادى الرافدين والمتوافرة فية كلما سرنا شمالا هى نتيجة هذا التحول فى احوال السامين اثناء مرورهم .

وللاستاذ "كلاى "Clay " راى اخر فى هذا الموضوع – كما يقول المؤلف – وهو ان شمال الشام وكان يسمى قديما " امورو " "Amurru " – كان المهد الاول – او على الاقل كان المستقر القديم للجنس السامي ، ويؤيد ذلك ان الغارة الكبيرة

الاولى وهى غارة الساميين التى خلفت اثارا كثيرة واسست فى شمالى سومر مملكة " أكدية " "Agada" " كانت فى الواقع غارة واردة من الغرب من ارض " امورو " وكذلك الغارة السامية الثانية المتمثلة فى مملكة كان حمورابى من اعظم ملوكها – وفى اسرة هى الاسرة البابلية الاولى – غارة بدأت ايضا من " امورو " لا من بلاد الغرب ، والاحوال الجغرافية فى شمال الشام مستوفية للشروط الضرورية لحياة شعب من الشعوب الا ان المسألة لا تحل بكل ذلك حلا تاما ، فان بدأ العصر التاريخى (حول ٢٨٠٠ ق.م.) تاريخ قريب نسبيا ، فهل يستتبع ذلك حتما وجود الساميين فى مكان ما فى هذا العصر ، وان يكونوا مقيمين فيه منذ القدم ؟ وهل يوجد مجال لوجود شعب اخر اقدم بكثير فى بلاد العرب ؟ وهل كانت بلاد "امورو" مستقرا لمرحلة من مراحل الهجرة السامية ام كانت مهد الساميين الاول ؟

هذه كلها اسئلة لا يزال علم الاثار قاصرا عن الاجابة عليها .

نصوص رأس شمرا :-

وتدل الاكتشافات العديدة التى تمت فى السنين الاخيرة ومن جملتها اكتشافات رأس شمرا ، على وجود حضارة قديمة جدا امتدت بين الرافدين ومن ايران الى ارض كنعان ، ثم يستطرد المؤلف – فى عرض ابحاثه وابحاث الاخرين – حيث ان المؤلف لهذا الكتاب "حضارة الفينيقيين " هو احد الاثريين الذين عملوا فى البحث عن الاثار فى مواقع رأس شمرا ، والمقارنة بينهم ثم ينهى حديثه بالقول :-

وعلى الجملة فان الدلائل المأخوذة من توافق الاخبار التى يمدنا بها علم الاجناس والابحاث التاريخية تؤيد الدلائل التى جمعناها فى الفصول السابقة ، وتتفق جميعها فى اثبات تعدد العناصر التى كونت فينيقية ، وتعدد التاثيرات التى اثرت عليها : المصرية والسامية (عن طريق الكنعانيين والاموريين) والاسيوية (عن طريق الميتانيين والحيثيين) والايجية (نسبة الى بحر ايجه) هذا عدا الاصلاء من اهل البلاد وهؤلاء يجوز وصولهم الى احدى المجموعات الانفة الذكر – ثم يقول – وخطأ " موفرس" فى انه بالغ فى تبسيط المسألة نظرا الى ان اللغة واسماء الالهة فى فينيقية سامية ، فاستنبط من ذلك ان حضارة الفينيقيين يجب ان تنسب بالضرورة للعنصر السامى .

دور فينيقية:

ومهما يكن اصل الحضارة الفينيقية فان تأثيرها على تطور الانسانية كان عظيما ، فهم بفضل نزوعهم الى التجارة والملاحة كانوا همزة الوصل بين الشرق والغرب فى الالف الاولى ، وكانوا نقلة الوسائل الحضارية من كل ما هو مريح للفرد او ما يرفه العيش ومن كل ما يساعد على تذوق سحر الحياة ، وسواء اخترعوا الحروف الهجائية او لم يخترعوها فهم على التحقيق الذين قاموا باذاعتها فى كل العالم القديم ، وهم الذين فتحوا بذلك للافكار افاقا لا حدود لها ، وادوا للحضارة من هذه الناحية خدمات لا يمكن ان تحدد مداها البعيد ولكن أهم فضل لهم واعظمه قيمة هو انتشار. لغتهم ، فانهم استطاعوا عن طريق لغتهم ان يكسبوا الحضارة الاجنبية التى اعتنقوها ثوبا من صنعهم ، فقد كانت اللهجات الاسيوية ضعيفة قاصرة عن التدقيق على حين

l	ל				
m	מ				
n	נ				
s	ס				
ʿ	ע				
p f	פ				
ṣ	צ				
q	ק				
r	ר				
š ś	ש				
t	ת				

(شكل ٦٤) أبجديات فينيقية



تابع (شكل ٦٤) أبجديات فينيقية

كانت اللغات الهند – اوربية (نسبة الى يافث بن نوح) ، واللغات السامية ذات ثروة لغوية متنوعة الى اقصى درجة وذات تشكيلات صرفية واضحة مرنة الى اقصى حد ، (وكانت اللغة البابلية من حمورابى مثلا نموذجيا حيا لهذا النوع).

ثم يضيف المؤلف :– فكان لابد ان تترك اللغات الضعيفة المجال لغيرها سريعا ، ونحن نشهد اليوم ظاهرة كثيرة الشبه بهذه ، فاللغة العربية تنتشر بسرعة بين القبائل الزنجية فى افريقيا لان لهجات الزنوج ناقصة الى اقصى حد .

اما عن الحروف الابجدية واللغة الفينيقية يقول مؤلف كتاب الحضارة الفينيقية "ج كونتنو" :–

كانت الكتابة لدى الشعوب الاولى كتابة تصويرية اى عبارة عن تصوير الاشياء ذاتها عن طريق رسوم للاشكال (وليس التقاط صور للاشياء) وخير مثل – كما يقول عن نظرية الكتابة التصويرية هو الكتابة المصرية ، فان هيروغليفيتها ليست شيئا اخر غير صور اصطلاحية تمثل اشياء او افكارا

والكتابة المسمارية :– ايضا كانت فى الاصل كتابة تصويرية ولدينا لوحات قديمة كتبت قبل وجود العلامات الكتابية التى سميت بالمسمارية ، وكانت كتابتها عبارة عن نقش تصاوير هى صور الموضوع الذى يراد ذكره مثل الزهرية وسنبلة الشعير والجبل والساق والقدم وكان سكان الرافدين يكتبون على الطين (الصلصال) وواضح انه كان يستحيل رسم منحنيات واضحة على هذه المادة فكان لابد لهم من ان يحلوا محل الدوائر مضلعات كثيرة الاضلاع فاحلوا دئما الخط المستقيم محل الخط المستدير ،

وعلى هذا النحو وصلوا الى مجموعة من العلامات يرجع شكلها المسمارى الى قطـع القلم الغاب(البوص) لرسم الزاوية وهو القلم الذى كان يستخدمه الكتاب .
ووجد نظام من الكتابة مؤسس على تصوير الموضوعات ايضا فى بلاد "عيلام " وهى القسم الجنوبى الغربى من ايران القديمة . وقد وجد هذا النظام مستقلا عـن النظـام الرافدى واستعمل فى اول العصور التاريخية ثم عمر قليلا ثم حلـت محلـه الكتابـة الرافدية . و توجد نفس النوع من الكتابة فى العالم "الايجى" ايضا نسبة الى جزيرة فى بحر ايجه ، ودليل ذلك قرص من "الطين" اكتشـف فى فايسـتوس " **Phaestos** " بكريت وقطره نحو ١٦ سم ويحمل على وجهه نقشا بخطوط حلزونية مرسومة مـن المحيط الى المركز (من كتاب ر. ديو: الحضارات السابقة على الحضـارة الهلينيـة فى حوض بحر ايجه (طبع جيتنر ١٩١٤) مـع صـور م ٨ ص ٤٢٥ ، ص ٤٢٦ ثم يضيف المؤلف – وتلك العلامات هى هيروغليفيتها واضحة جدا نقشت مـن غـير شك بنوع من المخاريز ، لانها مجموعة من الرؤوس وعصافيرواسماك ازهـار وصـور اشخاص صغيرة ومراكب وعلى الجملة كل ما يدخل فى ادوات الكتابة الهيروغليفية ، ويرجع تاريخ القرص الى النصف الثانى من الالف الثانى قبل الميلاد .
وكذلك كانت الكتابة الحيثية ذات طابع هيروغليفى ولدينا عدد كـبير جـدا مـن نصوصها جمع من كل سوريا الشمالية .
ثم يضيف المؤلف : – ونحن ندرك ما فى هذا النظام من التعبير من نقص شديد شأن، أى كتابة مؤسسة على تمثيل الموضوعات التى اراد الاشارة اليها ، فانهـا تـؤدى الى الاكثار إلي غير حد من العلامات وتؤدى الافكار بطريقة ناقصة ، ولم يكن يوجد الا

طريق واحد يؤدى الى التقدم وهو تحليل اداة الكلام والوصول الى تمييز الاصـوات التى تتالف منها الالفاظ ، وهنا على الاخص يظهرالكشف الخطـير فى اتخـاذ هـذا الحرف او ذاك للاشارة الى صوت معين . وقد وصل سكان الرافدين اولا الى فكـرة المقاطع التى تتالف منها الكلمة ، فكانت علاماتهم الى جانب احتفاظها ببعض معـان فكرية مصورة تتخذ ايضا قيمة الاصوات المقطعية ، بل وصل سـكان الرافـدين الى تمييز حروف الحركة واعتبروها اصوات مجردة ، ثم لا يتجاوزوا هـذه المرحلـة ، ولم يصلوا قط الى مرحلة الحرف الساكن غير المحتاج الى الحركة .

وعلى العكس من ذلك فالمصريون صاروا فى هذا الطريق الى حد ابعد ، فاسـتطاعوا الوصول الى تمييز السواكن ، ولكن التقدم لم يكن حاسما فى اى كتابـة مـن هـذه الكتابات لان الكتابة التصويرية لم تندثر امام هذا التقدم بل ظلت ممتزجـة بالكتابـة المبسطة الجديدة ، وظلت العلامات البسيطة مغمورة وسط مجموعة مـن العلامـات المقطعية او من العلامات المصورة للافكار .

الابجدية واصلها :-

يقول المؤلف : جرت العادة ان ينسب العلماء الى الفينيقيين اختراع الحروف الهجائية واذاعتها وان ذلك الاختراع ادى الى نتائج لا تحصى ، ويستند هذا الرأى – كمـا يقول المؤلف – الى رواية قديمة رددها "هيرودوت" ، فقد نسب هيرودوت الى فينيقى اسمه " قدموس " "Kadmos" " اختراع الابجدية واذاعتـها فى اثنـاء اسـتعماره بالغرب ، وتوجد عند اليونان اسطورة مشابهة بطلها " بلاميـد" "Palamed" " ،

وقد افترض العلماء ان " قدموس " حَمَلَ الى بلاد اليونان ابجدية مؤلفة من ١٨ حرفا ، وان " بلاميد " اخترع بقية الحروف ونستطيع ان نقول ان " لوقان " "Lucian " من كتاب " فارسال "ف ٣ :٥ ، ص ٢٢٠ – ٢٢٢ انما كان يردد الافكار الشائعة فى عصره عن الابجدية حين قال :

Phoenices primi, Famae si creditut, ausi Mansuram rudibus vocem signare Figuris .

ويجب ان يحدد التاريخ التقريبى لهذا الاختراع حول نهاية الالف الثانى قبل الميلاد (حول ١٢٠٠) لاننا نعلم شكل الكتابة فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر عن طريق رسائل تل العمارنة وهى رسائل بعثها ملوك فينيقية الى الفراعنة وتدل هذه الرسائل على ان الكتابة التى كانت مستعملة فى فينيقية وفى كل اسيا الغربية هى الكتابة المسمارية الاكدية ويوجد الى جانب هذا فى القرن الرابع عشر ق.م. نظام هجائى مشتق من الكتابة السابقة هو نظام رأس شمرا .

وتتألف الابجدية الفينيقية من ٢٢ حرفا كلها ساكنة يمكن بها اداء اصوات اللغة اداءا كاملا ، وليس منها حرف يمثل حركة من الحركات لان الفينيقيون لا يكتبونها . ثم يضيف : وهذا التوفيق الدقيق بين حروف الابجدية واصوات اللغة توفيق ذو اهمية كبرى .

ثم يقول : والمعروف انه اذا اقتبس شعب كتابته من شعب اخر فاما الا يجد فى ابجديته ما يكفى لاداء اصوات لغته ، واما ان يجد حروفا اكثر مما يلزم للغته ، فلما اقتبس الاشوريون والبابليون كتابتهم من السومريين غير السامية لم يجدوا فيهم

علامات لاداء اصوات " الحلفية"("Aspiree") الخاصة باللغــات الســامية ، واليونان حينما إقتبسو ابجديتهم من الفينيقيين وجدوا بها حروفا تشير الى اصــوات " حلقية " لا حاجة لهم بها فاستعملوها لتأدية حروف الحركة .

وعن شكل العلامات الابجدية ص ٣٢٥

فقد تصور العلماء فيما افترضوا من نظريات ان الفنيقين اخذوها عن طريــق تحــوير العلامات المصرية ، وكان بمصر يومئذ ثلاثة انواع من الكتابة :

الهيروغليفية : وهى اقرب الكتابات الى تصوير الموضوعات ذاتها وهى التى تتخــذ فى كتابة النصوص على الاثار ، ثم الهيراطيقية وهى هيروغليفية مبسطة ، ثم الديموطيقيــة وهى الهيراطيقية مبسطة . والمفروض ان الفنيقيين اخذوا حروف هجائهم من النــوع الثانى من الكتابة الهيراطيقية .

بل لقد اراد البعض تحديد الوقت الذى اخترعت فية الابجدية استنادا الى واقعة محددة ومعينة : هى ان الابجدية الفينيقية أكثر شبها باشكال الهيراطيقية المستعملة قبل الاسرة الثامنة عشر (منتصف القرن الخامس عشر ق.م تقريبا) وانها اقل شــبة بالاشــكال البيراطيقية المستعملة فى عهد الاسرة التاسعة عشر (حوالى القرن الثالث عشــر ق.م) وعلــى اساســهذه الواقعــة ذهــب كــل مــن " شمبليــون" "ســالفولنى" "Salvolini" "ولينورمان""Lenorimant" وفان دريفال "Van Drival" الى القول – مع اختلاف كثير فيما بينهم – بان الابجدية الفينيقيــة مــأخوذة عــن الكتابة المصرية .

وقد مال بعض العلماء الى البحث عن اصل الابجدية الفينيقية فى الكتابة المسمارية ايضا ، ثم يضيف فى ص٣٣٧ :-

ان اقدم وثيقة فينيقية اصيلة عرفت الى عهد قريب (١٩٤٨ م) فهي: نقش محفور على حافة كأس هدية مقدمة للاله " بعل" لبنان من قبل خادم من خدام " حيرام" ملك الصيداويين ، والمقصود هو حيرام الثانى حسب نص الطراز – كما يقول المؤلف – ثم يضيف فاذا درسنا شكل الحروف " شاهد ميزا " وفى كأس قبرص على اساس ان الحروف السامية والابجديات غير السامية مأخوذة عن اصل واحد ، فأننا نلاحظ وجود فوارق فى الكتابة بين " شاهد ميزا " وكأس قبرص ، بل ان بعض الاشكال يمكن ان تعتبر ممهدة لظهور انواع العبرانية ، اما نقش قبرص ففية كتابة فينيقية اوضح اصالة . ومن هنا نستطيع ان نستنتج ان الاختلاف ابتدأ يقع يومئذ وانة ليس قديم التاريخ او اننا لا نحتاج الا الى الرجوع بضعة قرون الى الوراء لنجد حروفا هجائية واحدة مشتركة تفرعت عنها هذه الفروع المختلفة . فلما ظهرت اكتشافات جديدة خاصة بالعالم الايجى فى هذه السنين الثلاثين الاخيرة ادى ذلك الى ظهور نظرية اخرى هى نظرية " أ.ج.أيفانس""Scripto Mino" عام ١٩٠٩ وهى نظرية ترد الابجديات الى اصل واحد هو " الاصل ال-------كريتى " فلما نزح الفلسطينيون (واصلهم من كريت – كما يقول المؤلف) . واستقرو فى سوريا فى القرن الثانى عشر ق.م حملوا معهم الحروف الكريتية .

ثم يقول ان الاستاذ" هيللر فون جار تنجن" وجد فى جزيرة "تيرا" "Thera" فى عام ١٨٩٦ نقوشا تثبت ان الحروف الهيجائية اليونانية الاولى كانت اقرب بكثير ،

وباكثر مما نتصور الى الحروف الفينيقية . وقد اكتشفت بالالاف الواح من الطين قديمة جدا وعليها علامات كتابية بعضها مكتوب فى ظاهرة على شكل سطور وخطوط و بعضها الاخر من الكتابة التصويرية "Pictographique" .
ثم يضيف فنحن امام ظاهرة: هي ظاهرة تعدد الكتابات و رجوعها جميعا الي عصر مشترك، و يتكرر ما لوحظ من التعدد في العالم الإيجي بالنسب للكتابات اليونانية، ثم يوضح اننا لا نزال نجهل أصل الكتابة الأبجية، و نفترض فقط أنها محاكاة للنظام المصري، ثم ينتهي الي ان كل هذا يثبت بطريقة محققة (ص ٣٤٨) أنه قبل اختراع الأبجدية اللفينيقية بكثيرا كان النظام الأبجدي كأئنا يتخلق في سبيل الظهور، و كما يثبت ان محاولات كثيرة اتجهت نحو خلق النظام الأبجدي.
(راجع ما قاله مستر " **Roy Harris and Talbot J.Tayler** " و كما سبق ان ذكرنا) ..

أسماء الحروف الأبجدية الفينيقية (ص٣٥٠)

يقول المؤلف: من البديهى انه كان لكل حرف فينيقي إسم، ثم إن هذه الأسماء انتقلت الي اليونانية مع شيء قليل من التحوير مثل : ألف، بيت ، جيمل، دالت بالفينيقية و تسميتها باليونانية ألفا، بيتا ، جمّا، دلتا ....ألخ، و مجرد انتقال هذه الأسماء بنفسها الي الأغريقية يثبت أصلها القديم، لأنه من المسلم به أن اليونان أقتبسوا الأسماء في نفس الوقت الذى أقتسبوا فيه مدلولاتها و هي الحروف و نذكر هنا رأي الأثري " ديسو" الذي بقول فيه:

Les inscriptions pheniciennes du Tombeau d'Ahirem.

أي يجب الأعتراف للفينيقيين بما هو حقهم صدقا، فهم أصحاب اختراع مـــن أكـــبر الإختراعات البشرية، منذ أن تركوا بإرادهم الكتابات الكثيرة المعقدة الــتي كانـــت مستعملة في ايامهم، و منذ أن ميزو عدد ٢٢ صوتا بسيطا تتيح تســـجيل المخـــارج المختلفة الساكنة في لغاهم، و منذ ان خلقوا خلقا كاملا نظاما من العلامات المختلفة علي درجة مدهشة من البساطة يتميز فيه كل حرف لأول وهلة عن سائر الحـــروف الأخري، فبلغوا منذ أول محاولة درجة الكمال.

أما التحويرات التي أدخلها الشرق علي نظامهم فلم تدخل عليه شيئا من التحســـين و يقول " ج. هاليفى" أن الأبجدية الفينيقية، أبجدية مصنوعة مبتكـــرة – و بالنســـبة لبعض الحروف منذ لاحظ اشتقاق بعضها من البعض الآخر. ثم يقول المؤلف و يتأيد هذا الفرض تأييدا قويا بنصوص " أحيرام" حتى ليجوز لنا أن نعتبره حقيقه، بل حـــتى ليجوز لنا أن نمد تطبيقه علي كل الأبجدية.

ثم يضيف المؤلف : انه من المفاجآت التي كانت تخفيها آثـــار "رأس شمـــرا" مفاجـــآة الكشف عن لوحات مكتوبة بأبجدية مأخوذة من الحروف المســـمارية، و أصـــحاب الكشف هما " شيفر" و "شينيه" "**Chenet**" فقد اكتشفا منذ حملة الحفـــرا الأولي في عام ١٩٢٩ م، لوحات مسمارية في خرائب بناء " سموه" " المكتبة" لابد انه كـــان مدرسة للكتاب علي أساس النصوص التي وجدت بالمكان معدة بغرض التعلـــيم. و النصوص المكتوبة " بالمسمارية الأكدية" و منها قطعة من مفردات لغوية من السلسلة المسماة "هارا- را" "**HAR-RA**" "هو بولو" "**Hubollu**" " و فيهـــا تعطـــي التعبيرات السومرية و الي جانبها ما يساويها بالأكدية.

و الخلاصة اننا امام لهجة حورية يمكن الي حد كبير تعليل وجودها بأهمية العنصر الحوري " في أوجاريت" أما عن أهمية فك رموز هذه الكتابة في الها تثبت انه منذ القرن الرابع عشر ق.م ، كانت الأبجدية قد نشأت، إلا ان النظام الفينيقي بفضل بساطته يعد أفضل بكثير من الأبجدية المأخوذة عن الكتابة المسمارية.

ما هي اللغة الفينيقية ص ٣٥٦

يقول المؤلف : نحن مدينون بقراءة الفينيقية لأحد الفرنسيين و هو الراهب " بريتلمي" في أخر القرن الثاني عشر الميلادي ، و كان " بريتلمي" ملحقا بمكتب الميداليات و كان علي علم باللغة العبرية و طول خبرة بالعملات الشرقية، فأستطاع بطريقة الفروض تحديد بعض حروف الابجدية، و بمعونة النص اليوناني الموجود علي قاعدة تمثال من التماثيل التي وجدت في مالطة حيث وجد عليها نقش مزدوج باللغة الفينيقية و اليونانية – عن طريق المقارنة بالمفردات العبرية ان يحدد قيمة العلامات الأبجدية، و فيما يلي نص النقش:-

(الي مولانا ملقارت بعل صور، هذا ما يهديه اليك عبدك " أبدوسير" و أخوه " أوسير شمر " إبنا أوسير شمر بن أبدوسير لأنه أستجاب لدعائهم، فليباركهم)

و تنقسم اللغات السامية الي قسمين :

١. القسم الشرقي : و يشمل الآشوري و البابلي.

٢. و القسم الغربي : و يتفرع الي فرعين

- فرع الجنوب : اللغة العربية.
- فرع الشمال : الآرامية و الكنعانية.

و تتفرع الكنعانية الي فرعين : العبرية و الفينيقية و التشابه بينهما كبير.

ثم يضيف المؤلف في ص ٣٥٧ : و كما كنا نبحث عن الجدية أولى بالنسبة للكتابة ، و كذلك نجد في رسائل تل العمارنه من ناحية فقه اللغة مرحلة من النموذج الســامي الأول المشترك المفترض فيه أنه مصدر لكل اللغات السامية. أما النموذج الأول ذاته فأننا لا نملك الا تخيله و افتراض وجوده (ب، دورم : لغة كنعان من المجلة التوراتية ١٩١٣-١٩١٤). ثم وقعت اكتشافات راس شمرا فأزاحت نصوص رســائل تــل العمارنة من الصورة.

ثم يقول عن قراءة أسماء الاعلام كثيرا ما نجد من العناصر التي تتألف منــها أسمــاء الأعلام اسم " عبد " بمعني خادم ، و " أمة" بمعني خادمة ، و " جير" بمعني تابع ، و " بود " بمعني ابن من اسرة ، و " بن" بمعني ابن. و من الاسماء ما يكون ثناء علي الرب مثل: " يها ملك" بمعني ملك أهيبا، و مثل " باتون ملك" بمعني ملك أعطى، و مثل " متان بعل" بمعني هدية بعل ، و مثل " إشمون شمر" بمعني اشمون حمى، و مثل " اشمــو فزر " بمعني اشمون آزر ، و مثل " هنيبال " بمعني بعل رحيم .

لغة اللوحات المسمارية الأبجدية في كشوف رأس شمرا:

كان الأستاذ " كونتنو " من العلماء الذين القوا الشك علي ما اتفق العلماء عليــه في امر هذه اللغة و طبيعتها – كما يقول المترجم للكتاب – و قال اننا لسنا أمام لغــة فينيقية و لا أمام لغة كنعانية قريبة الشبه بالفينيقية، و اننا اذا اعتبرنــا خواصــها و جدناها لغة سامية لم تعرف الي الآن، و اعتبرناها لغة البلاد قبل الفتح الآرامــي، و ترددت نفس الأعتراضات من الأساتذه " فريدرش" "**Friedrish**" و " جــوتزي"

" Gotze " و علي عكس الأساس كان الأستاذ " أجبرنيو" فانه عدها لغة من أصل عربي في مرحلة من مراحل تطورها بلغت حد التمييز بين عدد ٢٧ صوتا ، و انتــهي الي انه من المؤكد اننا أمام لغة هي غصن من الفرع الغربي من المجموعة الكنعانية قريبة الشبه جدا من العبرية أو بالإختصار قريبة جدا من الأصل الأول السامي.
(دى فو : نصوص رأس شمرا ص ٥٣١)

تعقيب من المترجم و هو دكتور محمد عبد الهادى شعيرة مراجعة الدكتو / طه حسين

قال : أرسى الإنسان بالشرق الأدنى القديم أصول الحضارة الإنســانية المســتقرة في جميع مظاهرها المادية و المعنوية منذ بداية استقراره فيها. و قد اتفق العلمــاء علــي أولوية هذه المنطقه علي بقية أجزاء العالم في الشرق و الغرب في التوصل الي مرحلتي انتاج الطعام و المدنية، و لذلك اتجهت أبحاثهم الي أجزائها ذات الأثر الخالد في سجل حياة الإنسان و من العلماء الذين بــذلوا جهــدا كــبيرا فيهــا. " ج. كونتينــو " مؤلف هذا الكتاب. كتاب الحضارة الفينيقية كما قام ايضا بالحفر في صــيدا ســنة ١٩١٤ – ١٩٢٠ م .

و كتاب الحضارة الفينيقية – كما يقول – بالذات له اهمية خاصة لأن منطقة سوريا و الساحل الفينيقي (لبنان الان) و فلسطين، كانت مكان إلتقاء لكافة الحضــارات العراقية القديمة : السومرية و الأكدية و البابلية و الآشورية و الحضارة الحيثية القديمة

و الحديثة و ايضا الحضارة الميتانية الحورية و السومرية و الحضارة المصرية ثم الحضارتين اليونانية و الرومانية. لذلك تأثرت هذه المنطقة بكافة هذه العناصر الحضارية في المجالين المادي و المعنوى، و قد عرض " كونتنو " هذه النواحي المختلفة و آثارها في الحضارة الفينيقية و علي الباحث ان يستفيد من بعض الآراء التي ظهرت في عدة أبحاث حديثة.

و في دراسة للأجناس في هذه المنطقة : يقول السيد المؤلف ص ٣٩٣ :

أولا : توجد اليوم اقاليم يعيش فيها ساميون ظلوا بمعزل حصين عن الامتزاج بالشعوب علي نحو ما امتزج بها بنو جنسهم ، و أقصد حالة بلاد العرب، فإنها لم تتعرض إلا الي الحد الأدنى من الغارات ، و سكانها يمثلون أنقي ما يمكن أن تجده من الجنس السامي، و قد ميز علماء الأجناس بين ثلاثة نماذج من الجماجم البشرية عرفوها بحسب ما قاموا به من قياسات.

ثم يضيف في ص ٣٩٥ : يدل علم ما قبل التاريخ علي ان شعبا اصيلا كان يوجد علي الساحل و ان نسبة كثافته كانت كبيره جدا.

١. و تدل أول حقيقة في العصر التاريخي علي نفوذ التاثير المصري الي " بيبلوس".

٢. و كذلك يعظم كيان العنصر السامي في كنعان بحيث نستطيع ان نستنبط قدم وجوده في البلاد منذ أول العصور التاريخية. و لما زار " هيرودوت"

فينيقية اكد له الناس ان " صور" أسست قبل وقت زياراته بمقدار ٢٣٠٠ سنة و المعروف – كما يقول المؤلف – ان وقت زياراته تقع حـول سـنة ٤٥٠ ، فينتج انه عام ٢٧٥٠ ق.م هو عام تأسيس صور ، و هو تـاريخ يتفق مع ما نعرفه من آثار " بيبلوس" و يتفق ايضا مع تاريخ الغارة السامية الكبري التي استعمرت البلاد، و هي الغارة المتفرعة (إمتدادا نحو الجنوب) عن الهجرة السامية الكبرى من البلاد " آمورو" نحو الشرق و هـي نفـس الهجرةالتي اسست في القرن السادس عشر مملكة " أكديـة" . ثم يقـول و يستحيل في مثل هذه الظروف ان نسلم بأن " سامى أمورو" الذين الفـوا الثقافة السومرية أتصلوا بمصر سلما أو حربا عن طريق واحد هو طريق " بيبلوس".

من هم الحوريين (الأسويين)؟؟ : و ذلك لأبراز الدور الذي قـام بـه الحوريـون في فينيقية الشمالية: يقول المؤلف: في عصر الأسرة الأكديـة (في النصـف الأول مـن الألف الثالث) كان الشمال و الشمال الغربي من آشور يؤلف وحدة جغرافية يطلق عليها اسم" بلاد سوبارو" " **Subaru** " ، و في الألف الثاني الف سـكان هـذه المنطقة و هم الحوريون : مملكتين : الأولي مملكة " ميتانى" و هي ابعد الي الشـرق، و مملكة " حوري" و هي غربي السابقة. الا ان مجال الحوريون يتجاوز حدود المملكـتين الواقعتين تحت سيادقم، و لهذا نجدهم في آشور (يشرفون عليها بعض الوقـت) و في غربي سوريا العليا علي الساحل عند راس شمرا و في كل سوريا. و هم ينتمـون الي الكتلة الأسيوية التي يسميها " ن. مار" اليافثين، كمـا يسمسـها " ف- هومـل"

" **Hommel**" " الارودیون" "**Alarodiens**" التي هي في الحقيقة او في الغالب الشعوب الأصلية الأولي في آسيا الغربية أو اقدم الشعوب التى نجدها هناك ، و هـــي شعوب لا- سامية و لا هند أوروبية.

أما الحيثيين: أطلق اسم بلاد الحيثيين علي القسم الغربي من سوريا. و هؤلاء الحيثيون يمثلون احد العناصر المكونة للكتله الكبرى التي نسميها الأسوية، و يدخل في عدادها أيضا سكان ليديا ، و ليكيا و شـــعوب منطقـــة " فـــان" "**Van**" " و ميتــانى" " **Mittanni** " (في شمال آشور) و قد تدخل فيهم "الكاشيين" و هم قدموا من شمال غربي عيلام، ثم اخذوا بابل في الألف الثانى. و يقول:- و مهما يكن الأمـــر فـــان الحيثين نزلوا حتي بلغوا قلب فلسطين و حتي كان احد ملوك بيت المقدس فى أخـــر الألف الثاني يحمل إسما حيثيا هو " عبدى – هيبا" " **Abdi-Hipo**" .

و عنصر اخر غير قليل الخطر هو العنصر الأمورى " **Amorrite**" و هم احـــدي موجتين من الغارة السامية الكبري ، اما الموجة الأخرى فهي هجـــرة الكنعانيـــة، و انتشر الأموريين كما انتشر الحيثيون في كل مكان من ارض كنعان، و لنذكر العبارة المشهورة التي خاطب بها " حزقيال" مدينة القدس: أبوك أمـــوري و امـــك حيثيـــة (١٦ : ٣) و هي عبارة ذات صيغ أخاذة تلخص الموقف في كلمات قليلة .

و يوجد كذلك من بين العناصر البشـــرية في الســـاحل الفينيقـــي عنصـــر آخـــر هو " الإيجى" .

ثم يقول : و لا شك أننا لا نعرف وقت أو في أي عصر قديم كانت فيـــه الســـيادة للإجيين فعلا، و لكنا نرى علي أية حال نفوذ "أيجة" قائما في كل مكان و خاصـــة في

الناحية الفنية. ثم يقول: إننا لا يمكن ان ندرس البابلية في وادى الرافدين دون ان نلقي اللغة السومرية (نماذج أولى سومرية للقوانيين البابلية في مجموعة قوانين حمورابي، و نماذج أولى سومرية لآكثر الملاحم الكبرى البابلية الدينية) فكذلك في فنيقية تلقي دائما وراء الكنعانى الأسيوى و الإيجى.

تأثير آسيا في الحضارة المصرية ص٤٨

يقول المؤلف: إن دراسة أقدم الآثار إمعان تكشف عن تقارب ظاهر في مسا ئل معينة بينها و بين أقدم ثقافة أسيوية و هي الثقافة السومرية، و هذا التقارب يحدث في عصر كانت ثقافة سومر قد انتقلت فيه الي الساميين.

و فيما يلى مميزات الحضارة الأعرق قدما، و التي تعيش الأرض العذراء لأول مرة و هي:

١. حضارة تل العبيد : سميت بأسم مكان ظهورها جنوبيما بين النهر قرب " أور" و يبدأ عصر العبيد منذ القدم ويمتد الى حوالى ٣٤٠٠ سنة ق.م.
٢. العصر الثانى : هو عصر الوركاء (وهى الوركاء الحالية المسماة فى التوراة "إرك" بين ٣٤٠٠ ، ٣٢٠٠ ق.م تقريبا.
٣. ثم يحل محل هذا العصر : عصر جمدة نصر (باسم مكان قرب "كيش" المجاورة لبابل) ومدة هذا العصر بالتقريب بين ٣٢٠٠ ق.م – ٣٠٠٠ ق.م.

٤. وفيما بين هذا العصر وبدأ التاريخ ، فاصل يقع فية عصر الاسرات القـــديم وهو عصر ذو طابع سومرى عتيق وهو عصر يمهد فيهـــا بـــين النـــهرين للحضارة التى تقوم عند ابتداء العصر التاريخى ويتمثل هذا العصر فى مقبرة " أور" الملكية وسلالة حكام " تلو" ثم يضيف المؤلف ان الاثريين المهـــتمين بالمصريات والشرقيات قد لاحظوا فى كثير من الاحيان شبها بـــين الاثـــار القديمة فى مصر وسومر .

(تعليق لنا لابد منه)

اذن اقد بدات الحضارات فى الشرق الادنى – مهد الحضـــارات – قبـــل الحضـــارة الاوربية الحالية بالاف السنين قبل الميلاد ، بل ويؤكد ذلك ما اعترف به أصـــحاب الحضارات الاغريقية القديمة والرومانية انهم قد اخذوا حروف الهجاء للغـــاقم مـــن الفينيقيين ولقد عرفنا جميع الافتراضات والاحتمالات التى تاسست عليها الحضارات الفينيقية وهى كلها من شعوب الشرق الادنى التى هاجرت من الجزيرة العربية ومـــن الخليج العربى ومن ايران الى شمال الرافدين (دجلة والفرات) وجنوبـــه ثم تركـــزت بارض كنعان (سوريا ولبنان حاليا) وفينيقية (قديما) وفلسطين ،وكيف تركزت الكتابة والحروف الابجدية بعد ذلك فى جميع البلدان ، اما كيف عرفت رموز هذه الكتابـــة وكيف توصل الى فك رموزها فهذا هو موضوعنا التالى :

نستعيد هنا بعضا مما سبق ص١ ٣٤ من كتاب الحضارة الفينيقية الذى نحن بصدده .
يقول المؤلف :يرى "جاردنر" أنه من المستحيل إثبات تسلسل بين الابجدية الفينيقية والبجديات – مجموعة بلاد العرب السامية والابجدية اليونانية القديمة ، ويرى اننا يجب أن نسلم بالتالى : ان كل هذة الابجديات صادرة من اصل مشترك اقدم منها .ثم انتهى " جاردنر" الى القول بأن نموذج الاصل المشترك قد يكون نموذج النقوش السامية ، ثم دعم ذلك بان قرأ لفظ " بعل" على عدد من الاحجار المنقوشة ،وظهر علماء اخرون ذهبوا فى طريق " جاردنر" الى حد بعيد ، ثم ظهرت فكرة أخرى هى فكرة وجود حروف هجائية متجاورة مشتقة من ابجدية واحدة هى اصل مشترك قد يجوز اكتشافه وقد يكون اقرب ابجدية الى الابجدية الفينيقية ، ولكن الابجدية الاولى أسامية هى ام غير سامية ؟؟!!
ثم يقول المؤلف وخلاصة القول إن النظريات التى كانت قائمة الى وقت اكتشاف " بيبلوس" .(بيبلوس هى المدينة التى كانت المصريون يسمونها " جبل" وهو اسمها الفينيقى ويحرفون الاسم فيصبح "كبن" الى عهد الاسرة الثانية عشر ثم " كـبن" "**kepen**" بالباء الثقيلة بعد ذلك .
وكانت فرنسا منذ قرأ " شمبليون" اللغة المصرية القديمة فى اوائل القرن التاسع عشر الميلادى تهتم بالحضارات القديمة ، وكانت حفائر " بوتا" فى " خرسباد" قرب الموصل (عام ١٨٤٢م) أول ابتداء حقيقى لعلم الاشوريات ، وكل ذلك هيأ الاذهان لمثل هذه الابحاث الاثرية ، وفى عام ١٩١٤م كلفت الحكومة الفرنسية مؤلف هذا

الكتاب باستئناف الحفر فى " صيدا" مع الاشتراك مع المتحف الامبراطورى العثمـــاني ممثلا في شخص " مكريدى بك" .

ثم يضيف المؤلف : إلا ان أخصب الحفائر التي أقيمت في فينيقية هي حفائر "بيبلوس" الواقعة شمال بيروت (عام ١٩١٩م) و حفائر رأس شمرا في فنيقية الشمالية علي بعد مسافة ١١ كم شمالي اللاذيقية و علي بعد ٨٠٠ متر من الميناء يوجد رأس شمرا.

كيفية قراءة النقوش ص ٣٤٨

يوضح لنا – عزيزي القارىء – السيد المؤلف في هذه المقالة كيفية قـــراءة النقـــوش علي الآثار يقول:

حصل الأستاذ " أ .دورم " " **Dhorme** " (عن دراسة مقدمة لأكاديمية النقوش في ٢ اغسطس ١٩٤٦ – مجلة سوريا ج ٢٥ (١٩٤٦ – ١٩٤٨ ص ١–٣٥)).

و الأستاذ " هـــ. باور" "**Bauer**" علي نصوص رأس شمرا في وقت واحد، غير أن النصوص التي وقع عليها " دورم" كانت أتم، فكان هو الذي فك رموزها. و قد وجه " دورم" دراسته الي لوحة (مسماه ج = **C**) من البرونز عليها ١٥ ســـطرا مـــن النصوص. و لاحظ ان النص ينتهي بعدة خطوط رأسية مختلفة الأطوال و أفترض أنها تعبر عن أرقام، و تساءل هل لا تكون عبارة عن تاريخ ؟!!.

و كان الفينيقيون يستعملون الصيغة: في السنوات........ و يرسمون ذلك بالسواكن دون الحركات بـــ س ن ت. فجعل " دورم" للكلمة السابقة علـــي الأرقـــام هـــذه القراءة جدلا!!، و تتبع هذه الحروف في كل النص، و فطـــن " دورم" بنـــوع مـــن

الفطانه (اللقانه، و التخمين) الموفق الي كلمة " ن هـــ س" أو برنز علي الها كلمـــة متوقعة، و فطن الي ان أسم الشهر يوضع قبل ذكر السنة (تموز) و الي ان اسم اليـــوم هو الذي يوضع قبل اسم الشهر (يامم Yamim) و عن طريـــق التـــدرج مـــن الأقرب فالأقرب و عن طريق اللمس و التخمين أتم قراءة النص- ثم يضيف أن هذا الأسلوب الذكى ليس بسيطا الا في ظاهره بطبيعة الحال. و يستلزم تملكا تاما للغات التي نسيت اليها (في النص التركى) النص المراد فك رموزه. ثم درس " دورم " لوحة أخري من البرونز (مسماة ى = P) عليها عدد أكبر من الأسطر (٤١ ســـطرا) وعدد اكبر من علامات مختلفة ، فلما توصل الاستاذ " دورم " الى مفتـــاح القـــراءة تناول هذه اللوحة الطويلة انتهى الى انه امام نص او تحت يديه تخليد ذكرى صـــناع الزينات للعيد المصرى فى " بيبلوس" وهذه الزينـــات عبـــارة عـــن صـــنم مكســـو بمعدن ثمين .

وقد لاحظ " دورم " فى اثناء ذلك ان الفعل " ب ت ح " ياتى بمعنى نقش وان لنفس الفعل معنى اعم استعمالا وهى " فتح " ولاحظ ايضا ان ترجمة الفعل بمعنى حفـــر او نقش اليق فى شواهد القبور المقامة لاسرة " تابينت وشمونز " ويكون المعنى ان المتـــوفى يطلب الا ينقش على قبره (شاهد اخر) وبالجملة الا يغتصب مدفنه كما كان يحدث عادة فى العصور القديمة .

ومثل هذا الاسلوب فى فك رموز اللغات المجهولة يدل على تقدم اساسى فى المنـــاهج المتبعة ، كما يقول المؤلف – وقد كان المعروف قبل ، انه لابد من نقش مزدوج اللغة ، لكى نصل لقراءة اى كتابة مجهولة ، اما فيما يختص بالنصوص التى فكت رموزها ،

فليس لها فى ذاتها الا قيمة تاريخية ضئيلة ، ولكنها على اية حال تعين علـــى اثبـــات تسلط مصر وتغلغل نفوذها فى فينيقية فى منتصف الالف الثانى قبل الميلاد .
لقد جاء فى هذا المثال الذى ذكرناه سابقا كيف كانت تخمن وتفترض القراءات عن طريق النقوش ثم لا تعليق بعد ذلك .

ويقول المؤلف عن تاريخ البلدان ص ٣٥ – ٣٦ :

من الطبيعى مع قلة الاخبار التى وصلت الينا عن الحـــوادث فى اقـــدم العصـــور ان يصعب علينا وضع تاريخ دقيق لكل واقعة تاريخية من الوقائع التى بقيت ذكراهـــا . وكانت المراجع المعتمدة قبل العصر الذى تمكنا فيه مـــن قـــراءة الوثـــائق المصـــرية والاشورية والفينيقية ، هى المراجع التى وضعها كتاب اليونان والرومان ثم التـــوراة ، الا ان التوراة لا تحدث بشىء تقريبا عن الحوادث التى لم يشارك فيها اســـلاف بـــنى اسرائيل ، واما المؤرخون من اليونان واللاتين فاقدمهم انما كتب تاريخه قبـــل المـــيلاد بقرون قليلة وكلهم جمع روايات متباينة القيمة ، ثم ان بعضهم يناقض البعض الاخـــر فى كثير من الاحيان . اما النصوص المصرية او الاشورية فاقرب الى الحوادث الواردة فيها مؤلفات المؤرخين .

ومن ص ٤١ يقول المؤلف تحت عنوان :– منذ البدأ الى اخر الالف الثانى قبل الميلاد وظهور فينيقية على مسرح التاريخ يقرب الغالب على مؤرخى العصور القديمـــة ان

تكون اخبارهم اسطورية ، وكذلك الحال فيما وصل الينا من الاخبار القديمة عن فينيقية ، فتاسيس المدن مثلا يرد الى الالهة ومثال اخر هو ان الاساطير الصورية (انظر ازيب : التمهيد لظهور الاناجيل ١، ٩، ١٠) .

اسم المرجع

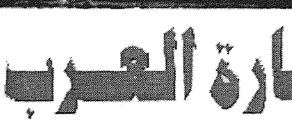
Eusebe , Preparation a Tavie evangelique

ثم يقول تذكر انه جاء بعد خلق العالم جنس من انصاف الالهة ثم جنس من العمالقة اخترعوا للانسانية ما ينفعها ، من هؤلاء " اوزوس" **Ousoos** " الصياد وهو الذى قيل انه اسس "مدينة صور " .

مكتبة الأسرة ٢٠٠٠
مهرجان القراءة للجميع 2000

الأعمال الفكرية

غوستاف لوبون ♦ ترجمة: عادل زعيتر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

ماذا يقول المستشرقون ؟؟

من كتاب " حضارة العرب " للكاتب غوستاف لوبون
ترجمة عادل زعيتر
وهو من كتب " مكتبة الاسرة "
الاعمال الفكرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب)
الفصل الثالث ص ٨٧

يقول المؤلف : العرب قبل ظهور" محمد " (صلى الله عليه وسلم)

– الوهم فى همجية العرب قبل ظهور " محمد " (صلى الله عليه وسلم)

رأى الكثيرون انه لا تاريخ للعرب قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وحجتهم فى ذلك ان العرب قبل ظهور محمد (ص) اذ كانوا مؤلفين من قبائل متنقلة عاطلة من العنعنات ، كانوا من الاجلاف الذين لم تع ذاكرة الانسان شيئا عنهم والى مثل هذا الرأى ذهب بعض الاذكياء المعاصرين ، ومنهم مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهير "رينان " الذى قال لا مكان لبلاد العرب فى تاريخ العالم السياسى والثقافى والدينى قبل ذلك الانقلاب المفاجىء الخارق للعادة الذى صار به العرب امة فاتحة مبدعه ، ولم يكن لجزيرة العرب شأن فى القرون الاولى من الميلاد حتى كانت غارقة فى دياجير ما قبل التاريخ ، ولم يظهر باسها وبسالتها الا بعد القرن السادس من الميلاد .

وعندنا – يقول المؤلف – ان هذا الرأى فاسد لاول وهلة ، ولو لم تعلم شيئا عن ماضى العرب ، فان ظهور حضارة امة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لا يكون هكذا الا نتيجة نضج بطيء ، فلا يتم تطور الاشخاص والامم والنظم الا بالتدريج ، ولا تبلغ درجة التطور العالية التى تبدو للعيان الا بعد الصمود فى درجات اخرى .

واذا ما ظهرت امة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ قلنا ان هذه الحضارة ثمرة ماض طويل ، ولا يعنى جهلنا لهذا الماضى الطويل عدم وجوده ، وتؤدى مباحث العلم فى الغالب الى عرض هذا الماضى للناظرين . ولم يكن امر حضارة العرب قبل ظهور محمد (ص) غير ذلك ، وان صعب علينا (عسر علينا) ان نقول كيف كانت هذه الحضارة ، فقد اثبتت الاثار والوثائق التى بايدينا ، وجودها وانها لم تكن على ما يحتمل دون حضارة الاشوريين وحضارة البابليين اللتين ظهر شأنهما حديثا بفضل علم الاثار بعد ان كانتا مجهولتين .

ولم ينشأ وهم الناس فى همجية العرب قبل ظهور محمد (ص) عن سكوت التاريخ فقط بل نشأ ايضا عن عدم التفريق بين اهل البدو واهل الحضر ، والاعراب قبل محمد (ص) وبعده ، اجلاف كاجلاف الامم الاخرى الذين لم يكن لهم تاريخ ولا حضارة .

وليس الاعراب غير فرع من فرعى الاورمة العربية ، فيوجد بجانبهم العرب المتحضرون والمقيمون بالمدن والماهرون فى امور الزراعة ، ويسهل علينا وجود حضارة عظيمة لهؤلاء المتحضرين من العرب وان كنا لا نعرف تفاصيلها .

ولم يكن التاريخ صامتا ازاء ثقافة العرب القديمة صمته ازاء الحضارات الاخرى التى رفع العلم الحديث عنها التراب ، ولو كان التاريخ صامتا ازاء حضارات العرب

لقطعنا – مع ذلك – بوجودها قبل ظهور محمد (ص) بزمن طويل ، ويكفى لتمثلـــها ان نذكر انه كان للعرب قبل ظهور محمد (ص) اداب ناضجة ولغة راقية (!!) وانهـــم كانوا ذوى صلات تجارية بارقى امم العالم منذ القدم فاستطاعوا فى اقل من (مئة) سنة ان يقيموا حضارة من انضر الحضارات التى عرفها التاريخ .

والحق ان الاداب واللغة من الامور التى لا تأتى عفوا ، وهى تتخذ دليلا على مـــاض طويل ، وينشأ عن اتصال امة بارقى الامم ، اقتباسها لما عند هذه الامم الراقية مـــن التمدن اذا كانت اهلا لذلك ، وقد اثبت العرب انهم اهل للاقتباس ، ولا ريب فى ان العرب الذين استطاعوا فى اقل من قرن ان يقيموا دولة عظيمة ويبدعوا حضارة عالية جديدة من ذوى القرائح التى لا تتم الا بتوالى الوراثة وبثقافـــة ســـابقة مســـتمرة ، وبالعرب لا باصحاب الجلود الحمر او الاستراليين ، انشأ خلفاء محمـــد (ص) تلـــك المدن الزاهرة التى ظلت ثمانية قرون مراكز للعلوم والفنون فى اسية واوربة .

اجل استطاعت امم كثيرة غير العرب ان تهدم دولا عظيمة ، ولكنها لم تقدر مثلـــهم ان تبدع حضارة لما لم يكن عند هذه الامم ما عند العرب من ثقافة ســـابقة كافيـــة ، وكل ما قدرت عليه هو انها استفادت بعد زمن طويل من حضارة الامم التى قهرتها ، ومن ذلك ان البرابرة (يقصد الألمان كما سيوضح بعد) الـــذين قوضـــوا دعـــائم الامبراطورية الرومانية قاموا بجهود عظيمة دامت قرونا كثيرة قبل ان يقيموا حضارة على انقاض الحضارة اللاتينية ويخرجوا من ظلمات القرون الوسطى .

لقد دلت البقايا التى وجدت فى طبقات الارض على تماثل الامم فى العصر الحجرى ، ثم يضيف– ولا ترجع اقدم روايات جزيرة العرب الى ما قبل إبرهيم ، ولكن علـــم

اللغات أثبت ان اﻻمما ذات لغة واحدة كانت تسكن البقاع الواقعـــة بـــين القفقـــاس وجنوب جزيرة العرب ، وان لم يكن عرق هذه الامم واحـــد ، ودل درس اللغـــات السامية على ان لغات تلك الامم ، وهى العبرية والفينيقية والســـريانية والاشـــورية والكلدانية والعربية وثيقة القربى متحدة الاصل . ثم يضيف ان مصادر تاريخ العرب قبل ظهور محمد (ص) هى كتب العبريين وروايات العرب والنصوص القليلـــة الـــتى وردت فى كتب بعض مؤرخى اليونان واللاتيين وما جاء فى الخطوط الاشورية ومـــا اسفرت عنه الاكتشافات التى تمت فى موقع الصفا من دمشق .

ويقول – وتعترف كتب العبريين بقرابة العرب من العبريين ، وتعد العرب اقدم مـــن العبريين وتقص علينا الشيء الكثير من انباء نزاع العرب الدائم وتكاد تطفـــح مـــن اخبار مديانيّ جزيرة سيناء واهل سبأ الذين كانوا يقيمون بجنوب جزيرة العرب .

ثم يضيف – ويروى العرب – وكتب اليهود مصدر رواياتهم . ان قحطان واسماعيل ابن هاجر ، جارية إبرهيم المصرية ، هما والدا العرقيين اللذين عمرا جزيرة العرب فى الاصل ، اى والدا اهل الحضر فى الجنوب والاعراب فى الشمال ، ويـــرون ان بـــنى قحطان اقاموا دولة سبأ والدولة الحميرية باليمن ، وان بنى اسماعيل سكنوا الحجـــاز القريبة من فلسطين ، وان بنى اسماعيل كانوا اصحاب مكة التى تنازعت هى وصنعاء فى اليمن عنوان عاصمة جزيرة العرب .

على ذلك يكون الانباط والادوميون والمؤابيون والعمالقة ، والعمونيون والمـــديانيون وغيرهم من القبائل التى تردد اسمها كثيرا فى التوراة من بنى اسماعيل ، ويظن ان هذه

القبائل من العمالقة تحالفوا هم واعراب سورية واستولوا على مصر سنة ٢٠٠٠ ق. م. وعرفوا بالرعاة ودام سلطانهم قرونا كثيرة . (الهكسوس) .

وتجمع العمالقة والادوميون والمؤابيون ، والعمونيون فى بلاد الحجر الغربية (بطـــرا) وفى جزيرة العرب الصحراوية ، وصار من دأبهم محاربة العبريين وحالوا دون دخـــول العبريين ارض كنعان زمنا طويلا ، ولم يتم اخضاعهم نهائيا ولوقت قصير الا فى زمـــن داود وسليمان .

ثم يقول : ولم تحدثنا التوراة عن غير اعراب حدود فلسطين ولم تخبرنا بشـــىء عـــن عرب اليمن المتحضرين خلا ما جاء فيها عن زيارة ملكة سبأ للملك سليمان .

وتحدثنا اثار الاشورين عن عرب الشمال فقط ، اى عرب سورية ومـــا جاورهـــا ، وذكر العرب قبل الميلاد بسبعمئة سنة فى بلاغ سلما نصر الثانى .

ثم يضيف – وعلى ما فى تواريخ العرب من غموض ومبالغات تجعل الاعتماد عليهـــا امرا صعبا نراها وحدها قد قصت علينا انباء جزيرة العرب وايدت ما رواه مؤلفـــوا اليونان واللاتين عن عظمة اليمن ، وعما جاء فى هذه الانباء العربية ان اليمن كانت مقرا لاقوى دول الارض وان حكم ملوكها دام ثلاثة الاف سنة ، وانها غزت بـــلاد الهند والصين من المشرق ، وبلغت بغزواتها مراكش من المغرب . ولا يرجع ما علمناه من مؤلفات اليونان واللاتين من الانباء الصحيحة عن تاريخ بعض جزيرة العرب الى ما قبل الاسكندر ، ويمكن تلخيصه فيما يأتى :–

١ - نجت جزيرة العرب من غزو الاسكندر بسبب موته .

٢- واضحت البقاع القريبة من حدود مصر وفلسطين والتى كان العرب يسكنوها من نصيب بطليموس حين قسمت دولة الاسكندر.

٣- شايع الانباط بطليموس على "اتيفون" الذى فتح قواده الماهرين بلاد الحجر (بطرا) بغتة بعد ان اصبح سيد سورية وفينيقية واباد الانباط بعدئذ جيش اتيفون المؤلف من ٤٦٠٠ جندى ، فساق اليهم جيشا اخر بقيادة ابنه ديمتريوس ، ثم رأى ديمتريوس ان يرضى بالمأب خاتما بالسلم حربا ابصرها مملوءة بالمصاعب

ثم يقول : وكانت قبائل البدو – حتى التاريخ الميلادى – تنضم فى الحروب الكثيرة التى تهلك الحرث والنسل فى تلك البقاع الى المصريين تارة و الى السوريين تارة اخرى ، ثم اثارت غاراتهم وقطعهم للسبل غضب قياصرة الرومان الذين كان سلطانهم يمتد الى الفرات ، فجردوا على عرب بلاد الحجر (بطرا) حملات كثيرة لم تنتج غير حملهم على دفع الجزية ، او وقف العداء الى حين ، وكانت طريقة اولئك الاعراب فى الغزو مثل ما يفعلون اليوم ، اى يغيرون على العدو بغتة ثم يفرون الى البادية عند المطاردة .

واذا كانت خيالات الاغارقة والرومان تتأجج طمعا فى ثروة جزيرة العرب ، ساق اغسطس الى اليمن جيش لم يلاق غير الحبوط التام ، وفى عهد طيباريوس وحده استطاع الرومان ان يفتحوا من بلاد العرب جزيرة سيناء التى كان سكانها من

الاعراب تقريبا ، فاضحت مدينة الحجر (بطرا) بذلك بلدة رومانية زاهية كما تدل عليه بقاياها .

وكان للعرب اثر فى الحروب التى تقع بين الرومان والفرس ، وبلغ نفوذ العرب فى الدولة الرومانية شأنا بعيدا حتى ان " فيليب " العربى نصب قيصرا رومانيا فى سنة ٢٤٤ م . وكان العرب يهددون سلامة اسيا الصغرى ذات حين . ولم يقص العرب عن تجارة اسيا الصغرى الا يهدم تدمر فى عهد اوريليانوس سنة ٢٧٢ م . وتحويل سورية الى ولاية رومانية ، واتباع بعض سكانها ملوك الغساسنة العرب الذين كانوا تحت حماية القياصرة ، ولما صارت القسطنطنية عاصمة الدولة الرومانية نازع العرب الفرس والاغارقة سيادة الفرات ، وسبق ذلك ان توطنت قبائل من عرب اليمن تلك البقاع وانشأت سنة ١٩٥ م فى جنوبها وعلى ضفتى الفرات وبالقرب من المكان الذى اقيمت عليه مدينة الكوفة فيما بعد ، مدينة الحيرة الشهيرة التى انقلب ملوكها العرب ينافسون اكاسرة الفرس وقياصرة الروم فى الترف والعظمة وكانت قصور الحيرة مؤسسة باثمن الاثاث وكانت حدائقها مكسوة باعز الازهار ، وكانت قواربها الانيقة الساطعة الانوار تشق الفرات ليلا حاملة اغنى الامراء وامهر الموسيقين ، واطلق العرب لانفسهم عنن الخيال فقصوا علينا انباء القصور الساحرة العجيبة التى اضحت لاريب ، اجمل مساكن الشرق واطيبها .

وعاشت دولة الحيرة اربعمئة سنة ، اى مدة تعد طويلة لدولة ولم ينته الينا من انبائها الا الشيء القليل ، وخضعت فى ٦٠٥ م للدولة الساسانية وظلت فارسية الى ان جاء محمد (ص) بعد قليل زمن ودك خلفاؤه دولة الاكاسرة واستولوا على بلاد

فارس . ثم يختتم بقوله – بانه قد ظهر مما تقدم ان جزيرة العرب نجت من الغزو الاجنبى خلا ما اصاب حدودها الشمالية ، وان عظماء الفاتحين من مصريين واغارقة ورومان وفرس وغيرهم ممن انتهبوا العالم لم ينالوا شيئا من جزيرة العرب ، التى اوصدت دونهم ابوابها ، نعم ان الاحباش استولوا فى سنة ٥٢٥م على اليمن التى لم تدن لغير ملوك العرب فيما مضى ، وان الاحباش حاولوا ان يحملوا العرب على التنصر ، فاستطاعوا تنصير بعض القبائل العربية ، وان الفرس طردوا الاحباش من اليمن فى سنة ٥٩٧ م اى قبل ظهور محمد (ص) بقليل فاضحى للفرس مرازبة فى اليمن وحضرموت وعمان غير ان ذلك كله كان لاجل قصير ، ولم يصب بلاد نجد والحجاز الواسعة منه شيء .

اذن من الصواب قولنا ، ان القسم الاكبر من جزيرة العرب هو القسم الوحيد الذى لم تطأ ارجل الفاتحين من بلاد العالم المتمدن على ما يحتمل .

ووصف هيرودوت قبل المسيح بنحو اربعمئة سنه ، بلاد العرب السعيدة بانها من اغنى بقاع العالم ، وانه كان فى مارب او سبا التى ورد ذكرها فى التوراة ، قصور نضرة ذات ابواب عسجدية وانية من ذهب وفضة وسرر من المعادن الثمينة بينما لم تقص التوراة الا بعض الاخبار عن تجارة العرب ومدنهم ولا سيما مدينة سبأ فى اليمن ولكن كانت قصصهم خالية من الاسانيد – كما يقول المؤلف .

وهنالك مطابقة بين ما رواه قدماء المؤلفين وما جاء فى تواريخ العرب التى اجمعت على امتداح غنى اليمن ، ولم يسطع نجم حضارة العرب –قبل محمد (ص) فى اليمن

وحدها ، فما جاء فى اقدم روايات التاريخ عن حضارة الحيرة والغساسنة يثبت ايضا – درجة استعداد اتباع محمد (ص) للقيام برسالتهم فى عالم المدنية .

ثم يقول المؤلف – تحدثنا عن الحيرة التى مجدها العرب ، وقلنا انها كانت تنافس القسطنطينية وعاصمة الفرس ، ولم تقل عنها اهمية مملكة غسان التى اسسها عرب اليمن بعد ظهور المسيح بزمن قليل والتى دام سلطانها نحو خمسمئة سنة ، واشتملت على "سين" مدينة محصنة كما جاء فى كتب التاريخ ، وظهرت عظمة حضارة مملكة غسان من كل الكتابات الحميرية المنقوشة على اثارها التى اكتشفت بالقرب من عاصمتها القديمة " بصرى " الواقعة على حدود سورية ، ومن بقايا قنواتها التى تشهد بما كان عنه سكانها من الاستعداد الكبير للقيام بالأعمال العظيمة . واذا كان عرب الحيرة وغسان متصلين بالفرس والرومان كان تأثير هؤلاء فى حضارة اولئك كبيرا ، وغير ذلك امر حضارة اليمن العربية التى هى اقدم من حضارة الرومان والتى يجب ان يبحث فيها عن بقايا حضارة العرب القديمة والتى ناسف على بقائها بعيدة عن يد البحث والتنقيب حتى الان – كما يقول المؤلف .

ونكتفى بهذا القدر من هذا الكتاب فى هذا الموضوع

واليك نبذة – او بيانا موجزا عما يعنيه المؤلف ببلاد الحجر العربية – كما جاء فى كتابه ص ٤٩ – حضارة العرب – يقول :-

تتالف بلاد الحجر من جزيرة سيناء الممتدة من حدود فلسطين الى البحر الاحمر ، ويدل اسم " بلاد الحجر " على حقيقتها وذلك انه يقع فى وسط جزيرة سيناء طور

من الصوان يسمى طور سيناء ، ويحيط بهذا الطور بقعة صخرية ذات نبات قليل ضعيف وتصبح هذه البقعة رملية بالقرب من الساحل .

وكانت جزيرة سيناء ذات شهرة فى التاريخ مع فقرها ، فهى بلاد الادوميين والعمالقة والانباط والمديّانيين الذين ذكروا فى كتب العبريين كثيرا وفيها تاه بنو اسرائيل زمنا طويلا بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم ارض الميعاد ، ولا يزالون يشيرون هناك الى الجبل الذى بلغٌ منه موسى شريعته الى قومه ، والى الحَجَرَ الذى ضربه موسى بعصاه فانبجس منه الماء ، والى كهف جبل " حوريب " الذى تسوارى فيه النبى ايليا خوفا من غضب الملكة ايزابيل –وترى فى تلك البلاد القديمة التى قصت التوراة علينا اخبارها خرائب بلاد الحجر (بطرا) وهى انقاض للمخازن التى كانت قبائل اليمن تجلب اليها اللبان والاطياب لمبادلتها بسلع الفينيقيين .

ثم يقول :– لم يعرف القدماء عن جزيرة العرب سوى الشيء القليل ولم يتحدث هيرودت عنها فى اكثر من بضع كلمات ، ولا يؤبه للاخبار الناقصة التى اتى بها "استرابون " و" ديودورس" الصقلى وهما اللذان اسندا الى جزيرة العرب من المنتجات فى الغالب ، ما كانت تصدره اليها بلاد الهند فتصدرها الى الخارج . وذكر بطليموس انه كان فى بلاد اليمن ١٧٠ مدينة ، وعد من هذه المدن خمس عواصم كبيرة . ومعرفة الرومان بجزيرة العرب كانت ضعيفة للغاية .

ولم يتوغل الاوربيون فى جزيرة العرب الا حديثا – كما يقول – ولم يعرف عنها الاوربيين قبل " نيبوهر" الذى زارها سنة ١٧٦٢ م . فلما كانت سنة ١٨١٥ م استانف " بركهارد " البحث فجمع انباء رائعة من جزيرة العرب ولا سيما "مكة"

و"المدينة" وما قامت به مصر حوالى تلك السنة من غزو ضد " الوهابيين " كانت فاتحة بحث واسع عن مختلف اقسام جزيرة العرب . وقسم القدماء جزيرة العرب الى ثلاثة اقسام :-

١- بلاد الحجر العربية (بطرا) وهى القسم الشمالى الغربي من جزيرة العرب.

٢- بلاد العرب السعيدة : وهى القسم الجنوبى الغربى منها .

٣- الصحراء العربية : وهى قلبها ومشرقها .

ثم يضيف : وجهل جغرافيوا العرب ذلك التقسيم ، فلم يروا بلاد "الحجر" (بطرا) من جزيرة العرب . (ولنا تعليق هنا : عن من الذى كان يجهل هذا التقسيم !!! ؟؟؟ وهل هذا التقسيم صحيح ام خطأ ؟؟

وكان التقسيم كما اورده :

١- بلاد الحجاز . ٢- بلاد اليمن .

٣- بلاد حضرموت ومهرة وعمان والاحساء. ٤- بلاد نجد .

وترجع هذه التقسيمات الى اقدم ادوار التاريخ حيث ان العرب كانوا قبل ظهور محمد (ص) كما يقول المؤلف : منقسمين الى الوف القبائل المستقلة .

ثم يقول عن منشأ العرب

عُدّ العرب واليهود والفينيقيون والعبريون والسوريون والبابليون والاشوريين الـــذين استوطنوا جزيرة العرب و آسيا الصغرى حتي الفرات من أصل واحد يطلق علي هذا الأصل " الآرومة السامية" .

و تقوم قرابة هذه الأمم علي تجانس لغاهّا، و اشتراك أبنائهـــا في صـــفات جســـمانية متماثلة كاسوداد شعورهم ، و كثافة لحاهم ، و كمدة الوانهم ، و كانت القرابة بـــين العرب و اليهود – كما يقول المؤلف – وثيقة ، و دليل ذلك ما بين لغتي تلك الأمتين و تقليدهما من التشابه.

و من ص ٦٥ – ٦٦ يقول الكاتب " غوستان لوبون" – و لا جرم ان الشبه قليل بين العربي أيام حضارته و اليهودي الذي عرف منذ قرون بالنفاق و الجـــبن و البخـــل و الطمع، و أنه من الإهانة للعربي، ان يقاس باليهودي، و لكن لا تنسى ان طرق الحيـــاة الخاصة التي خضع اليهود لحكمها منذ قرون كثيرة هي التي نشأت منهم عرقا ذلـــيلا غير محترم.

و يجب لكي نتمثل القرابة بين اليهود و العرب ان نعود الي عصر إبرهيم الذي نري ان قبيلته الصغيرة كانت تغزو جيرانها و تلقي الذعر فيهم، كما تغزو قبائل البدو العربيـــة الحاضرة جيرانها و تخيفهم، و لنعلم و كما أرجح – يقول المؤلف – أن أسر اليهود في مصر لم يكن سوي نتيجة غزوة أسفرت عن حصر المصريين لليهود النهابين في مكـــان من شمال مصر لم يستطيعوا الخروج منه إلا في زمن موسى و إلا بعـــد اقامتـــهم زمنـــا

طويلا و بلوغهم من النفوس (أي يقصد نفسا) عددا تمكنوا به من مقاومة الفراعنة و الرجوع لمدة أربيعين سنة الي حياة البادية. و ما كانت حياة اليهود لتختلف الي زمـــن داود عن حياة الصحارى التي الفتها قبائل البدو العربية في فلسطين و جزيرة العرب.

رأ ي السيد المترجم في الكتاب و الكاتب: و يقول بعد ان ذكر المترجم -- هنا — انه كان من النتائج اصطراع الشرق و الغرب منذ قرون مضت و القاء الرعب في قلوب الأوروبين، و انصار الأوربيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضـــارة العربيـــة الـــتي لم يتحرروا من سلطانها إلا منذ زمن قريب، فأخذوا ينكرون فضل العرب علي اوربة، و تمدينهم لها، و اصبح هذا الإنكار من تقاليد مؤرخي أوروبا و كتابها الذين لم يقروا لغير اليونان و الرومان بتمدينهم، و قد ساعدهم علي هذا ما عليه العرب و المسلمون مـــن التأخر في الزمن الأخير، ثم يضيف — و لم تخل أوروبا مع ذلك من مؤرخين ابصروا ما للعرب من فضل في تمدين أوروبة و ألفوا كتبا أعترفوا فيها للعرب بمـــا لـــيس فيـــه الكفاية. و قد راع هذا الجحود العالم الفرنسي الكبير غوستاف لوبون — كما يقـــول المترجم — و هو الذي هدتة رحلاته في العالم الإسلامي و مباحثـــه الإجتماعيـــة الي ان العرب هم الذين قَدمّوا أوربة، فرأي ان يبعث عصر العرب الذهبي من مرقـــده، وان يبديـــه للعـــالم في صـــورته الحققيـــة مـــا اســـتطاع ، فـــأخرج في ســـنة ١٨٨٤ كتاب " حضارة العرب" الذي نعرض ترجمته علي الناطقين بالضاد.
(مكتوب علي الكتاب أنه من الأعمال الفكرية . ترجمة عادل زعيتر، و هو نشر ضمن أعمال مكتبة الأسرة . (مهرجان القرأة للجميع))

و بعد ان يصف طريقة السيد المؤلف في تأليف كتابة – يقول المترجم :–
لم يكن العرب علي راي لوبون من الأجلاف قبل الإسلام، و لكن الحضارة التي أقامها العرب في أقل من مئة سنة – و هي من أنضر الحضارات التي عرفها التاريخ – ليست مما يأتي عفوا، و أنه كان للعرب قبل الإسلام حضـــارة لم تكـــن دون الآشـــوريين و البابليين تقدما، و كان للعرب ، عدا الآثار القليلة التي كشف عنها لغـــة ناضـــجة و آداب راقية، و كان العرب ذوى صلات تجارية بأرقي أمم العالم، عالمين بما يتم خـــارج جزيرهم ، ثم ايد لوبون وجهة نظرة بيقوله " إن البرابـــرة الـــذين قوضـــوا دعـــائم الأمبراطورية الرومانية قاموا بجهود عظيمة دامت قرونا كثيرة قبل ان يقيموا حضـــارة علي أنقاض الحضارة اللاتينية و يخرجوا من ظلمات القرون الوسطى.

ثم ذهب " لوبون" – كما يقول المترجم – الي ان المعتقدات القديمة في جزيرة العـــرب كانت قد ضعفت، و فقدت الأصنام قوهما و دب الهرم في آلهتها، و أنه كان في الجزيرة العربية غير النصارى و اليهود ، من كانوا يعبدون الها واحدا و هم الحنفاء.

ثم يقول المترجم : أن السيد المؤلف للكتاب " لوبون" بعد ان يصف الرسول الأعظم . بأنه كان شديد الضبط لنفسه ، كثير التفكير ، صموتا، حازما ، سليم الطوية، صبورا، قادرا علي إحتمال المشاق، ثابتا ، بعيد الهمة ، لين الطبع ، وديعـــا، و كـــان مقـــاتلا ماهرا، فكان لايهرب امام المخاطر، و لا يلقي بيده الي التهلكة، و كان يعمل مـــا في

الطاقة لإنماء خلق الشجاعة و الإقدام في بني قومه، و كان عظيم الفطنة ، ثم يقول ان محمد أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات الــتي ظهــرت قبــل الإسلام، و منها اليهودية و النصرانية و لذلك كان فضل محمد علي العرب عظيما.

و اذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من اعظم من عرفهم التــاريخ . و التعصب الديني هو الذي اعمى بصائر مؤرخي الغرب عن الأعتراف بفضل محمــد، ثم يضيف أستاذنا " لوبون" ان العرب صاروا أمة واحدة بفضل الإسلام ، و أصــبح الإسلام مثل العرب الأعلى، و اكتسب العرب من الحمية ما استعدوا معه لفتح العــالم اعلاء لشأنه بقيادة زعمائهم الماهرين.

ثم يقول : أن القوة لم تكن عاملا في أنتشار القرآن حيث ترك العرب المغلوبين أحرارا في دياناهم، فإذا حدث ان اعتنق بعض أقوام من النصرانيه الإسلام و أتخذوا العربيــة لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب مما لم يروا مثله من سادهم السابقين، و لما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل، و لم ينتشر القرآن أذن بالســيف ، بل أنتشر بالدعوة وحدها ، و اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرا كــالترك و المغــــول.

و يقول الكاتب: و ما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين و تسامحهم كان مــن الأسباب السريعة في إتساع فتوحهم و في سهولة أعتناق كثير من الأمــم لدينــهم و

نظمهم و لغتهم التي رسخت و قاومت جميع الغارات و بقيت قائمة حتى بعد تـــواري سلطان العرب عن مسرح العالم .

و ضرب " لوبون" مثلا علي تسامح العرب فقال: من ذلـــك ان العـــرب حاصـــروا الأسكندرية حصارا دام اربعة عشر شهرا، و قتل في اثنائه ثلاثة و عشرون الف جندي عربي، و أن عمرو بن العاص كان سمحا رحيما نحو أهل الأسكندريه مع تلك الخسارة التي أصيب بها العرب، و لم يقس عليهم، و صنع ما يكسب به قلوبهم و أجـــابهم الي مطالبهم، و أصلح سدودهم و ترعهم و انفق الأموال اطائلة علي شئونهم العامة.

و لذلك لم يكد القرن الأول من الهجرة ينقضي حتى كانت راية النبي العربي تخفق فوق البلاد الواقعة بين الهند و المحيط الأطلنطـــي و بـــين القفقـــاس و الخلـــيج الفارســـي و فوق أسبانية.

و عن الجبرية يقول " لوبون" : أن الجبرية الإسلامية نوع من التسليم الهادىء الـــذي يعلم به الإنسان كيف يخضع لحكم القدر من غير تبرم ولا ملاومة. و تسليم مثل هذا وليد مزاج اكثر منه عقدة، و العرب كانوا جبريين بمزاجهم قبل ظهور محمد (ص) فلم يكن لجبرياتهم تأثير في أرتقائهم، و كما انها لم تؤد الي إنحطاطهم. و يقول : لوبـــون" (ص ٩) انه ليس في القرآن الكريم من الجبرية ما ليس في الأديان الأخري ، و ان فريقا من فلاسفة الوقت الحاضر و علمائه يقول أن مجرى الحوادث تابع لسنة لا تتبدل. و لما

تناول " لوبون" حال المرأة في الإسلام بين ان الرجال كانوا قبل ظهور الرسول يعدون منزلة المرأة متوسطة بين الأنعام و الإنسان، و انهم كـــانوا يرونهـــا أداة للإســـتيلاء و الخدمة، و أن عادة الوأد كانت شائعة بين عرب الجاهلية، ثم جاء الإســـلام و حســـن حال المرأة و كان أول دين رفع شأنها و منحها حقوقا إرثية لا تجد مثلها في القـــوانيين الاوربية.

و عن وصف الفوارق بين العرب ، و يذكر المؤلف نبذة صغيرة عن الأعراب :

١. عرب جزيرة العرب
٢. عرب البقاع الوسطى من جزيرة العرب و لا ســـيما الأعـــراب مـــع اختلاطهم بأناس من الزنوج اكثر العرب مشابهة لأجدادهم الأقدمين، و نحن اذا ما استثنينا الدين نرى انه لم يتبدل فيهم شيء منذ الوف السنين و هم الذين لم يطرأ علي ما وصفهم به هيرودتس أو التوراة شيء.

و بقول المؤلف: قال " ويفرجه" قد يكون اظهر ما في الإعراب هو انهم جماع الأضاد ، فالنهب والكرم ، و السلب و الجود ، و القسوة و النبل و غير ذلك من الصفات التي تدعوا الي المقت و الأعجاب في وقت واحد.

و يعتذر الأعراب عن النهب بأنهم محرومون لفقر بلادهم ، فبلادهم هي أكثر اراضـــي العالم جدوبه ، و يضيف الي ما تقدم أن الأعراب من سكان جزيرة العرب ســـورية و افريقية يحبون الحرية حبا جما لا يقدر الأوروبي ان يتصوره، و هم يزدرون أبناء المدن ، و يرجع حب الأعراب للحرية الي اقدم عصور تاريخهم، فقـــد روى " ديـــودورس"

الصقلي" . أن الأنباط و هم من أعراب بلاد الحجر العربية (بطرا) كانوا ممنوعين من بذر القمح و غرس الأشجار المثمرة و بناء البيوت لما في هذه الأعمال من التضـــحية بالحرية طوعا، و لذا لم يستذل الأعراب احد، و هم الذين لم يعطـــوا ملـــوك فـــارس الجزية، و قد اعطاها أهل فينيقية و فلسطين كما ذكر هيرو دوتس.

ثم يقول : و يستخف الأعراب بسلطان الحضارة و يفضلون عليها عيش البادية و هذه من المشاعر الموروثة التي مثلها عند هنود امريكية و لا يؤثر فيها أي دليل. و قد رفض الأعراب في سورية علي الخصوص كل أرض عرضت عليهم ليستقروا بها، و يعـــرف هؤلاء الأعراب الذين يستوقف نبلهم و بأسهم نظر كل سائح ، كيف يستغنون عـــن نعم الحضارة المصنوعة و عن جبروت كل أمير أقطاعي كامراء القرون الوسطى.

وعَدّ " بلغريف" عرب الجزيرة الذين عاش بينهم زمنا طويلا من أعظم امـــم الأرض كرما و نبلا، قال " بلغريف" ان اهل الحضر من العرب من انبـــل شـــعوب الأرض و أكرمهم . و يتكلم أولئك الحضريون العرب بلغة الأعراب مع ذلـــك، و يجـــرى في عروقهم ما يجري في عروق الأعراب من دماء ، و ما ابعد المسافة بين الفريقين.

و نرى في سورية بجانب الأعراب الذين يدينون بدين محمد (ص)!! قبائل ذات شعائر و عقائد مختلفة يسهل تمييز بعضها من بعض لعدم توالدها فيمـــا بينـــها، و أهمهـــا : المناولة، و النصيرية و الموارنه ، و الدروز.

المناولة: قبائل عربية جبلية تعيش في اعتزال و هم من مسلمي الشيعة المتعصبين الـــذين يأبون تناول الطعام مع أي أجنبي.

النصيرية: قبائل جبلية أيضا و هم يدينون بديانه مشتقه من الإسلام بعيدة منـــه كـــل البعد، و منهم من يعبد الشمس و القمر.

الموارنة ، مع قربهم من السورين فلهم طابع خاص وهم اتباع طائفـــة مســـيحية ذات عجب صاخبة ، ولم تكن على شيء كبير من البسالة كما اثبتت الحوادث ذلك .

الدروز : يشبهون الاعراب ، وتتالف منهم طائفة اسلامية عاتية حرة ،انفصلت عـــن السورين والعرب منذ قرون وتوجد بين الدروز الشجعان ذوى الصولة وموارنة لبنان عداوة متأصلة.
و يتألف من سكان مدن سورية سورية و قراها مزيج مـــن المصـــريين و الفنيقـــين و اليهود و البابليون و الفرس و الأفارقة و الرومان و العرب و المغول و الشـــركس و الصليبين و الترك و غيرهم من الأمم التي أستولت بالتتابع علي سورية كلها أو بعضها

عرب مصر: يقول : ان عرب مصر نتيجة توالد سكان مصر الأصليين و العرب الذين فتحوا مصر في سنة ٦٤٠م بقيادة عمرو بن العاص. و عرب مصر ليسوا عربا بدمهم

و ان كانوا عربا بلغتهم و دينهم، و ان المصري الحضري العربي بدينه و لغتة رجع ابنا لقدماء المصريين في زمن الأهرام. ثم يضيف : نصيحة للإنجليز.

ان الأعراب فقط هم أهل الحرب و الترال المرهبون في مصر الذين يجب ان يخافهم الانجليز في غزوهم الجديد لوادي النيل اذا لم يشتروا حيادهم بأي ثمن كما أخبرنا به العارفون غير مرة. و معايش هؤلاء الأعراب كمعايش أهل البادية، فالعربي البدوي هو هو اينما حل و حيثما اتجه. ثم يقول و نرى في مصر غير العرب عناصر كثيرة أخرى كالترك و الأقباط و السوريين والزنوج و الأفارقة و الاوربين و غيرهم.

و من تلك الشعوب نذكر الأقباط الذين و إن كانوا لا يعدون صفوة خلصاء القدماء المصريين. و يدين الأقباط بالنصرانية و لم يختلطوا بالعرب (!!!) و يقطنون مصر العليا و لا سيما بعض القرى و المدن كأسيوط و تشبه لغتهم لغة قدماء المصريين (!!!!) و توصل شامبليون بدرسها الي ايضاح الكلمات الهيروغليفية كما هو معلوم (!!) ثم يقول المؤلف – سمعت اقباط يتكلمون بها فيما بينهم علي لهجات مختلفة، و يكتب الأقباط لغتهم بالحروف اليونانية في الزمن الحاضر (كيف هذا؟؟!!!)

ثم يتكلم عن عرب أفريقية ثم عرب اسبانيا و عن الإسلام في الصين و يقول :

ان " مسيو دابرى دوتيرسان" يقدر عدد مسلمي الصين بعشرين مليون مسلم و ذلك في كتاب نشر حديثا عن الإسلام في الصين.

و عن اديان جزيرة العرب ص ٩٩

وجد بين العرب فضلا عن النصارى و اليهود الذين لم يكن عددهم قليلا في جزيـــرة العرب من يعبدون الها واحدا، و سُميّ هؤلاء بالحنفاء و كان محمد (ص) يحب هـــذا الأسم و ليست عقيدة التوحيد التي هي من أهم مبادىء القرآن كل ما عند الحنفـــاء، بل قالوا ايضا كما قال القرآن فيما بعد ان علي لإنسان ان يسلم بقضاء الله و قـــدره تسليم إبرهيم حينما رأى ذبح ابنه "اسماعيل" و لذا لم يكن من الخطأ إخبار محمد (ص) في القرآن بوجود مسلمين قبل ظهوره – (أنظر ما سبق ان ذكره الأستاذ أحمد امـــين في كتابه فجر الإسلام كما سبق) .

ثم يقول : و نشأ من وحدة لغة العرب و حشر آلهتهم في الكعبة امكان صهر عبادات هذه الآلهه و تحويلها الي عبادة اله واحد، ومما يسر هذا الصهر تكلم عُباد هذه الآلهـــه بلغة واحدة (وأين ما سبق ذكرة من لهجات متعددة بين هذه القبائل) و ذلـــك كمـــا يقول المؤلف بصفحة ١٠٠ من الكتاب.

ثم يواصل قوله: " غوستاف لوبون " و الحق ان وقت جمع العرب علي دين واحد كان قد حل و هذا ما عرفه محمد (ص) (!!!) و في الوجه الذي عرفه فيه سر قوته، و هـــو الذي لم يفكر قط في إقامته دين جديد خلافا لما يقال، و هو الذي أنبأ الناس أن الالـــه الواحد هو اله باني الكعبة، أي اله إبرهيم الذي كان العرب يجلونـــه و يعظمونـــه، و علائم اتجاه العرب أيام ظهور محمد (ص) الي الوحدة السياسية و الدينيـــة كـــثيرة (لم يذكر عنها شيء) و ما حدث من الثورة علي الاوثان في عهد قياصرة الرومان حدث

مثله في جزيرة العرب (كيف؟؟) حيث ضعفت المعتقدات القديمة و فقـــدت الأصـــنام نفوذها و دب الهرم في الهتها.

و عن القرآن

تحت عنوان خلاصة القرآن ص ١١٧

يقول الأستاذ المؤلف القرآن هو كتاب المسلمين المقدس و دستورهم الديني و المدني و السياسي الناظم لسيرهم، و هذا الكتاب المقدس قليل الأرتباط (كما يقول المؤلــف) مع انه انزل وحياً من الله علي محمد (ص) و أسلوب هذا الكتاب و ان كان جـــديرا بالذكر أحيانا، خال من الترتيب، فاقد السياق كثيرا، و يسهل تفسير هذا عند النظـــر كيفية تأليفه. (أنظر الي تعبير الكاتب بالقول عند النظر الي كيفية تأليفه). ثم يضـــيف فهم قد كُتِب تبعا لمقتضيات الزمن بالحقيقة. فاذا ما اعترضت محمدا (ص) معضلة اتاه جبريل بوحي جديد حلا لها و دوّن ذلك في القرآن . و لم يجمع القرآن نهائيا الا بعــد وفاة محمد (ص). و بيان الأمر ان محمدا (ص) كان يتلقى في حياته عدة نصوص عـــن الأمر الواحد، فلما أنقضت عدة سنين علي وفاته حمل خليفته الرابع علي قبول نـــص نهائي للقرآن الكريم مقابلا بين ما جمعة أصحاب الرسول. (و يقول المترجم في الهامش ان الصحيح ان الخليفة الثالث هو الذي فعل ذلك، فكان عزوه الي الخليفـــة الرابـــع سهوا من المؤلف).

ثم يقول : و القرآن مؤلف من مئه و أربع عشرة سورة ، و كل سورة مؤلفـــة مـــن ايات و محمد (ص) هو الذي يتحدث فيها بأسم الله علي الدوام.

و يعد العرب القرآن أفصح كتاب عرفه الإنسان، و مع ما في هذا من مبالغة شـــرقية نعترف – يقول المؤلف – بأن آيات القرآن موزونه رائعة لم يســـبقه اليهـــا كتـــاب أخر دينـــــــــي.

و تقرب فكرة الكون الفلسفية في القرآن الكريم مما في الديانتين السابقتين العظيمـــتين اللتين ظهرتا قبل الإسلام، أي اليهودية و النصرانية، و زعم ان العنعنـــات الآريـــة و الفارسية و الهندية ذات نصيب ظاهر في النصرانية و الإسلام، و نحن نـــرى النفـــوذ الآري في الإسلام ضعيف جدا. و لم يكن محمد (ص) فيلسوفا كبيرا أي من المفكـــرين المتبحرين الذين يقاسون بمؤسسي البرهمية ، البدهية. فهو لم ينكر سبب الأسباب كما انكره البدهيون و لم يقل يمثل مثلهم بأن الكون موجـــودا بالضـــرورة ذو انحـــلال و تركيب دائمين.

و لم يتصف بنصف ما عند مؤلفي كتب البراهمة المقدسة من الشـــك، و لم يـــدخل الي القرآن مثل التأملات الآتية التي تجدها في كتب الويدا: من اين أتى هذا الكون؟ أهـــو من صنع خالق ام لا؟ ليعلم ذلك من ينظر من فوق الفلك، وقد لا يعلم).

و علي هامش الصحيفة يقول المؤلف أو المترجم ما يلي: أحيل القاريءالذي يرغب في الوقوف علي فلسفة بدهة و تاريخ تطور الأديان الي المجلد الثاني من كتابي " الإنسان و المجتمعات" ففيه يجد ان " البدهية" التي لها من الأتباع ما للأديان الأخرى مجتمعة، قائمة علي انكار كل الوهية انكارا تاما، و انها تدعو الناس مع ذلك الي التحلـــي بأطيـــب الأخلاق، كما أعترف به احد علماء النصرانية المتشددين المشهورين " مكس مـــوللر"

الذي قال : دعا الي الأخلاق الفاضلة قبل ظهور المسيح أناس أعتقدوا ان الآلهه اشباح باطلة، فلم يقيموا هيكلا حتى للرب غير المعروف .

ثم يقول المترجم: لقد رجع المؤلف عن رأيه هذا في كتابه " حضارات الهند" الذي ترجمناه الي العربية، فقال بعد ان ساح في الهند ان البدهية تقول بتعدد الآلهه . المترجم.

ثم يضيف المؤلف : و لكن اقولا مجردة مثل هذه لا تنفع غير الفلاسفة ، محمد (ص) لم يزعم انه يكتب من اجل الفلاسفة. (و لنا هنا سؤال من قال ان محمد (ص) كان يكتب للفلاسفة أو غيرهم و هو لم يكن بكاتب و لا قارىء إطلاقا كما جاء بنص القرآن).

كان من مقاصد محمدا (ص) ان يقيم دينا سهلا يستمرئه قومه، و قد وفق لذلك حين اخذ من الأديان الأخرى ما يلائمهم!!! و لم يفكر محمد (ص) في ابداع دين جديد قط ، و هو الذي أعلن أنه يسير علي غرار من تقدمه من انبياء بني أسرائيل من إبرهيم الي عيسى قائلا ان ما أوحى اليهم صحيح، و الحق ان اليهودية و النصرانية و الإسلام فروع ثلاثة لأصل واحد، و أنها ذات قربى وشيجة.

و الدين الذي دعا النبي اليه الناس سهل جدا، و قد عرفه محمد (ص) بالكلمات القليلة الآتية حين أتاه جبريل بزي العربي و سأله عنه فقال: أن تشهد ان لا اله الا الله ، و ان محمدا رسول الله، و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت لمن إستطاع اليه سبيلا و هذا التعريف الذي قبله جبريل تام كما هو واضح.

و يلخص المسلم الإسلام في هاتين الكلمتين اللتين لا ينكر إيجازهما و هما " لا الـــه الا الله محمد رسول الله" ثم ينقل لنا المؤلف بعض الآيات القرآنية: يقول و انني أبـــدأ بمـــا جاء في القرآن عن مصدره و عن قرباه الوشيجه بالكتب المقدسة التي أتت قبله . مثل قوله سبحانه و تعالى في سورة الشورى: (و شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، و الذي أوحينا اليك ، وما وصينا به إبرهيم و موسى و عيسى أن أقيمـــوا الـــدين و لا تتفرقوا فيه)

ثم يقول في موضع آخر: ان ما جاء في القرآن من نص علي خلق السموات و الأرض في ستة أيام و خلق آدم في الجنه و هبوط آدم منها و يوم الحساب مقتبس من التوراة. (انه السيد المؤلف لم يقرأ النص القرآني من سورة الكهف آلأية ٥١ (و ما اشهدهم خلق السموات و الأرض و لا خلق انفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضدا)

ثم يقول قبل ختام هذا الباب من القرآن و خلاصة القرآن ص ١٢١

و لم اجد في القرآن ما يعاب به الشرقيون ، و ما يمكن ان يعاب به كذلك كثير مـــن العلماء المعاصرين من الجبرية المزعومة ، فيجوز ان يعد به محمدا (ص) اكثر جبرية ممـــا في التوراة، و اليك مع ذلك كما يقول ، استطعت ان اجده جوهريا في القرآن حـــول هذه المسألة (و ما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) من سورة التكوير.

و عن فلسفة القرآن و انتشاره في العالم

يقول: اذا رجعنا القرآن الي عقائده الرئيسية امكننا عد الإسلام صورة مبسطة عن النصرانية (هكذا يقول المؤلف بالنص ص ١٢٥)، و مع ذلك فإن الاسلام يختلف عن النصرلنية في كثير من الأصول، و لا سيما في التوحيد المطلق الذي هو اصل أساسي، و ذلك ان الإله الواحد الذي دعا اليه الإسلام، مهيمن علي كل شيء و لا تحف به الملائكة و القديسون و غيرهم ممن يفرض تقديسهم. و للإسلام وحده ان يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيدالي العالم. (و لنا هنا وجهة نظر سوف نعرضها فيما بعد). ثم يقول مؤلفنا: و تشتق سهولة الإسلام العظيمه من التوحيد المحض، و في هذه السهولة سر قوة الإسلام ، و الإسلام و أدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى و يأباه الذوق السليم غالبا، خاليا من المتناقضات و الغوامض و لا شى أكثر وضوحا و اقل غموضا من أصول الاسلام القائلة بوجود اله واحد و بمساواة جميع الناس امام الله و ببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها، و يدخل النار من يعرض عنها، و إنك اذا أجتمعت بأي مسلم من أية طبقة رأيته يعرف ما يجب عليه ان يعتقد و يسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، و هو بذلك علي عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثا عن التثليث و الأستمالة و ما ماثلها من الغوامض من غير ان يكون من علماء اللاهوت الواقفين علي دقائق الجدل. ثم يضيف و ساعد وضوح الإسلام البالغ و ما أمر به من العدل و الإحسان كل المساعدة على انتشاره فى العالم ، وتفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للاسلام ، كالمصريين الذين كانوا نصارى ايام حكم قياصرة القسطنطينية فاصبحوا مسلمين حين عرفوا اصول الاسلام ،

كما تفسر السبب فى عدم تنصر اية امة بعد ان رضيت بالاسلام دينا ، سواء كانت هذه الامة غالبة ام مغلوبة .

ويجب على من يرغب فى الحكم على كتاب دينى الا ينظر الى قواعده الفلسفية الضعيفة على العموم ، بل الى مدى تأ ثير عقائده ، والاسلام اذا نظر اليه من هذه الناحية وجد من اشد الاديان تأثيرا فى الناس ، وهو مع مماثلته لآكثر الاديان فى الامر بالعدل والاحسان والصلاة ....الخ، يعلم هذه الامور بسهولة يستمرئها الجميع ، وهويعرف فضلا عن ذلك ان يصب فى النفوس ايمانا ثابتا لا تزعزعه الشبهات .

ثم يقول فى ص ١٢٦ : والاسلام من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم ، ومن اعظمها تهذيبا للنفوس وحملا على العدل والاحسان والتسامح ، "والبدهية" وان فاقت جميع الاديان السامية فلسفة تراها مضطرة ان تتحول تحولا تاما يستمرئها الجموع ، وهى لا شك دون الاسلام فى شكلها المعدل هذا . ثم يقول : ومع ما اصاب حضارة العرب من الدثور كالحضارات التى ظهرت قبلها ، لم يمس الزمن دين النبى (هكذا يقول) الذى له من النفوذ ما له فى الماضى ، والذى لا يزال ذا سلطان كبير على النفوس مع ان الاديان الاخرى التى هى اقدم منه تخسر كل يوم شيئا من قوتها ، وقد اعتنقته جزيرة العرب ومصر وسورية وفلسطين واسية الصغرى وجزء كبير من الهند وروسيه والصين ، ثم جميع افريقية الى ما تحت خط الاستواء تقريبا . وتجمع بين مختلف الشعوب التى اتخذت القران دستورا لها وحدة اللغة والصلات التى يسفر عنها مجىء الحجيج الى مكة من جميع بلاد العالم الاسلامى .

ويجب على جميع اتباع محمد (هكذا يقول) تلاوة القران باللغة العربية بقدر الامكان ، واللغة العربية هى لذلك – كما يقول عند تأليف هذا الكتاب فى القرن التاسع عشر اكثر لغات العالم انتشارا على ما يحتمل ، وعلى ما بين الشعوب الاسلامية من الفروق العنصرية ترى بينها من التضامن الكبير ما يمكن من جمعها تحت علم واحد فى احد الايام .

وعن اللغة العربية

يقول المؤلف ص ٤٣٩ :

تعد اللغة العربية من اللغات السامية ، وتشبه اللغة العبرية كثيرا ، وتختلف فى مخارجهاعن اكثر اللغات الاوربية ، فيجد الاجانب صعوبة كبيرة فى النطق بها . ثم يقول : وتجهل تاريخ نشوء اللغة العربية كما نعرفها الآن ، ولكننا نعلم من الشعر العربى الذى قيل قبل ظهور محمد (ص) بقرن واحد ان اللغة العربية كانت قد وصلت الى درجة كمالها الحاضر . ثم يضيف : حقا تشتمل اللغة العربية على لهجات كثيرة ، ولكن كتاب المسلمين اجمعوا على ان لهجة قبيلة محمد (ص) تمتاز بانها افصح لهجات العرب ، وكان من تأثير القران ان جعل من اللهجة التى كتب بها لغة عامة . (لاحظ قوله اللهجة التى كتب بها !!) واللغة العربية من اكثر اللغات انسجاما ، وهى كذلك رغم اختلاف اللهجات فى سورية وجزيرة العرب ومصر والجزائر وغيرها ، ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الاشكال ، فنرى المركشى يفهم بسهولة لهجة المصريين او لهجة سكان جزيرة العرب مثلا ، مع ان سكان القرى الشمالة الفرنسية لا يفهمون كلمة

من لهجات سكان القرى الجنوبية فى فرنسا - كما يقول المؤلف ، وكما يقول الرحالة " بركهارد" الذى يعد حجة فى هذا الموضوع وذلك بالقول الذى اشار اليه بصفحة ٤٣٩ من الكتاب .

ثم يضيف بصفحة ٤٤٠ .القول: وما قلناه فى فصل اخر عن الدين نقول مثله عن اللغة العربية ، فمع ان الفاتحين الذين ظهروا قبل العرب لم يستطعوا ان يفرضوا على الامم المغلوبة لغاهم ، قدر العرب بالعكس على فرض لغتهم عليهم ، ولما صارت اللغةالعربية عامة فى جميع البلاد التى استولوا عليها حلت محل ما كان فيها من اللغات كالسريانية والقبطية والبربرية ...الخ . وكان للغة العربية مثل ذاك الحظ زمنا طويلا حتى فى بلاد فارس على الرغم من يقظة الفرس ، اى ظلت اللغة العربية فى بلاد فارس لغة اهل الادب والعلم ، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية ، وكتب ما عرفته بلاد فارس من علم الكلام والعلوم الاخرى بلغة العرب . وللغة العربية فى هذا الجزء من اسيه شأن الذى كان للغة اللاتينية فى القرون الوسطى ، وانتحل الترك انفسهم وهم الذين قهروا العرب - الخط العربى - ولا تجد فى تركيا انسانا على شيء من التعليم لا يستطيع ان يفهم لغة القران بسهولة .
ولم يشذ عن ذلك سوى الامم اللاتينية الاوربية التى لم تقم اللغة العربية مقام لغاها القديمة ، ومع ذلك فان اللغة العربية ذات اثر عميق فى اللغات اللاتينية (كما يقول المؤلف) وقد الف " دوزى" و"انجلمن" معجما فى الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية . وتركت لغة العرب اثرا مهما فى فرنسة نفسها ، وذكر "سيديو"

والحق ما ذكر – كما يقول المؤلف – ان اللهجات السائدة لولاية "اوفرن" وولاية "ليموزان" الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية ، وان اسماء الاعلام فيها ذات مسحة عربية ، وضرب لذلك مثال بالكلمات الفرنسية التى اصلها عربى ومن اهمها كلمة " البوصلة" وبالفرنسية تكتب "Boussole "والتى يقول الها عُزِىَ امرها الى اصل صينىٌ على غير حق ، وان تقتبس جيوشها القاب ضباط جيوش المسلمين (راجع ص ٤٤١ من كتاب حضارة العرب) ثم يضيف : وزعم مؤلف احد المعجمات الاشتقاقية الفرنسية الذى الف حديثا ان اقامة العرب بجنوب فرنسة لم تسفر عن اثر ، لا فى اللهجات ولا فى اللغة ، فقلة قيمة هذا الرأى تبدو مما قلناه انفا ومن العجيب ان يكرر بعض المثقفين مثل هذا الزعم .

حال الاسلام الحاضر

مضت قرون على اعفاء العرب ، ودخلت حضارقم فى ذمة التاريخ منذ زمن طويل ، ولا نقول مع ذلك الهم ماتوا تماما ، فترى الان ديانتهم ولغتهم اللتين ادخلوهما الى العالم اكثر انتشارا مما كانتا عليه فى انضر ادوارهم ، والعربية هى اللغة العامة من مراكش الى الهند ،ولا يزال الاسلام جادا فى تقدمه ، و يقول بالهامش تطبع في الأستانه جريدة عربية واحدة و في سوريا عشر صحف منها ثلاث مجلات اسبوعية ، وتطبع فى اكثر البلاد التى يتكلم سكالها بالعربية جرائد ذات نفع محلى ، ثم يقول : ويقدر علماء الجغرافيا عدد المسلمين فى العالم بـ ١١٠ ملايين (كان هذا فى القرن التاسع عشر) ولكن هذا الرقم الذى وضع

حين كنا نجهل انتشار الاسلام فى الصين وافريقية الوسطى ، اقل من الحقيقة ، واليوم يدرس القران فى غير جزيرة العرب ، فى مصر وسورية وتركية واسية الصغرى وفارس وقسم مهم من روسة وافريقية والصين والهند ، وتناول القران مدغشقر وافريقية الجنوبية ، وعرف فى جزر الملايو ، وعلمه اهل جاوة وسومطرة ، وتقدم الى غينية الجديدة ، ودخل امريكة مع زنوج افريقية والسهولة العجيبة التى ينتشر بها القران فى العالم شاملة للنظر تماما – كما يقول المؤلف – فالمسلم اينما مر ترك خلفه دينه (اى ترك اثرا من دينه) وبلغ عدد اشياع النبى ملايين كثيرة فى البلاد التى دخلها العرب بقصد التجارة لا فاتحين ، كبعض اجزاء الصين وافريقية الوسطى وروسية ، وتم اعتناق هذه الملايين للاسلام طوعا لا كرها ، ولم يسمع بان الضرورة قضت بارسال جيوش مع هؤلاء التجار المبشرين العرب لمساعدتهم ، ويتسع نطاق الاسلام بعد ان يقيمه هؤلاء فى اى مكان ، ولم تستأصل شأفة الاسلام بعد ان رسخ فى روسية منذ عدة قرون ، واليوم يقطن خمسون مليون مسلم ببلاد الهند ، ولم يوفق مبشروا البروتستان لاى تنصير فى الهند مع مظاهرة حكومتها لهم ، ولا نعلم المسلمين فى افريقية ولكن الرواد المعاصرون كلما اوغلوا فيها وجدوا قبائل تبشر بالاسلام ، والان يمدن الاسلام اقوام افريقية حيث يكونون مظهر عمله الطيب فى كل مكان .

وقد اصاب مسيو" ج. درفال " حيث قال : من فضل الاسلام زوال الاصنام والانصاب من الدنيا وتحريم القرابين البشرية واكل لحوم الانسان وحفظ حقوق المرأة وتقييد مبدأ تعدد الزوجات وتنظيمه مع عدم الوصول الى الحق المطلق ، وتوطيد

اواصر الاسرة وجعل الرقيق عضوا فيها ، وفتح ابواب كـثيرة سـهلة لتحريـره، وهذيب الطبائع العامة ورفع مستواها بالصلاة والزكاة واواء الغرباء وتثقيف المشاعر بالعدل والاحسان ، وتعلم اولياء الامور من الواجبات ما علي الرعية ، واقامة المجتمع على اسس منظمة .

واذا حدث ان وجد "جور" فى الغالب ، كما فى اى مكان اخر، وجـد فى العـدل الالهى ما خفف وطأته وذلك فى رجاء الحياة الاخرة حيث السعادة وحسن الثـواب، سندا لضحايا القهر او الظلم . وتلك هى بعض المحاسن التى تدل فى كل مكان علـى انتشار الاسلام بين المجتمعات غير المتمدنة . ويتقدم الاسلام فى الصين تقدما قضـى بالعجب ، وكتب للاسلام اسطع فوز فى الصـين (!!) حيـث اضـطر المبشـرون الاوروبيون الى الاعتراف بالحبوط (الاحباط) ، وقد راينا ان عدد اتباع محمد (ص) فى الصين عشرون مليونا ، وان فى مدينة بكين وحدها مائة الف مسلم . قال الاستاذ " وازيلياف " دخل الاسلام مملكة ابن السماء كما دخلتها البدهية(البوذية) وسيقوم الاسلام ، ومسلموا الصين لا يشكون فى ذلك ، مقام ديانة "شاكى موفى "، وهـذه المسالة على جانب عظيم من الاهمية ، فاذا وقع مثل هذا الحدث واعتنقت الصين – التى تضم ثلث العشر على الاقل – دين الاسلام تغيرت علاقات العالم القديم تغـيرا عظيما ، وامكن دين محمد (ص) الذى يمتد اذ ذاك ، من جبل طارق الى المحيط الهادى ان هدد النصرانية من جديد ص ٦١٧ . وفى ختام الكتاب يأتى ملخص الكتـاب : يقول قد تم الكتاب ونلخصه فى بضع كلمات : فتقول ان الامم التى فاقت العـرب

تمدنا قليلة الى الغاية ، واننا لا نذكر امة غير العرب حققت من المبتكرات العظيمة فى وقت قصير مثل ما حققوا ، وان العرب اقاموا دينا من اقوى الاديان الـتى سـادت العالم ، اقاموا دينا لا يزال تأثيره اشد حيوية مما لاى دين اخر ، وانهم انشـأوا مـن الناحية السامية دولة من اعظم الدول التى عرفها التاريخ ، وانهم مدنوا اوربة ثقافـة واخلاقا ، فالعروق التى سمت سمو العرب وهبطت هبوطهم نادرة ولم يظهر كـالعرب عرق صلح ان كون مثالا بارزا لتأثيرالعوامل التى تهيمن على قيام الدول وعظمتـها وانحطاطها . (تم الكتاب) رقم الايداع ١١١٠٤/٢٠٠٠

ابراهيم

أبو الأنبياء

تأليف
عباس محمود العقاد

دار الهلال

وعن اللغة
يقول كاتبنا الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد
فى كتابه " إبرهيم ابو الانبياء"

الصادر عن دار الهلال : ص ١٣١ ربما كان من المفاجأت عند بعض الناس ان يقـال هم ان إبرهيم (عليه السلام) كان عربيا ، وانه كان يتكلم اللغة العربيـة. ولكنـها الحقيقة التاريخية التى لا تحتاج الى فرض غريب او تفسير نادر – كما يقول المؤلف – غير ترجمة الواقع بما يعنيه ، وانما الفرض الغريب ان يحيد المؤرخ عن هـذه الحقيقـة لينسب إبرهيم الى قوم غير قومه الذين هو منهم فى الصميم .

وليس معنى هذا بالبداهة انه كان يتكلم العربية التى نكتبها اليوم او نقرأها فى كـلام الشعراء الجاهليين ومن عاصرهم من العرب الاقدمين ، فلم يكن فى العالم احد يتكلم هذه اللغة فى عصر إبرهيم ولا فى العصور اللاحقة به الى القرن الرابع او الثالث قبل الميلاد .

وانما اللغة العربية المقصودة هى لغة الاقوام التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العربيـة وهاجر منها واليها فى تلك الحقبة ، وقد كانت لغة واحدة من الـيمن الى مشـارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء . ولقد عرفت تلك اللغة حينا باسم السريانية غلطا من اليونان فى التسمية لانهم اطلقوا اسم اشورية او اسورية على الشام الشمالية ، فشاعت تسمية العربية باسم السوريانية او السريانية من المكان الذى اقامت فيـه بعض قبائل العرب الوافدة من شبه الجزيرة منذ اقدم العصور قبل عصر إبرهيم بزمن

طويل . و أشتملت هذه اللغة السريانية علي عدة لغات لا تختلف فيما بينها الا كما اختلفت لهجات القبائل العربية قبل الدعوة الاسلامية ، ومن هذه اللهجات لغة ارام وكنعان و أدوم و مواب ومديان وما جاورها فى الاقاليم الممتدة بين العراق وسيناء .

وربما كانت المفاجأة اشد على من يسمع ان الخليل لم يكن عبريا من العبريين .

فقد مضى زمن طويل والناس يفهمون ان العبرية واليهودية كلمتان بمعنى واحد ، ولم تكن اليهودية قط مرادفة للعبرية فى معنى صحيح . فالعبرية فى نحو القرن العشـــرين قبل الميلاد كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحل فى صـــحراء الشام . وكان من ابناء هذه القبائل من يعمل كالجنود المرتزقة هنا ، وهناك حســـب المواقع والمناسبات ، وبهذا المعنى وردت كلمة العبرى والابرى والهبيرى ومـــا قاربهـــا لفظا فى احاقير" تل العمارنة وفلسطين واسيا الصغرى والعراق ، وجاءت بهذا المعـــنى فى الكتابات المسمارية والفرعونية " ولم يكن لليهود وجود فى ذلك الحين. ولما وجـــد اليهود وانتسبوا الى اسرائيل كانوا هم انفسهم يقولون عن العبرية انها لغة كنعان . ثم انطوت العبرية في الارامية التى غلبت على القبائل جميعا بين فلسطين والعـــراق مـــع اختلاف يسير بين الارامية الشرقية والغربية .

واصبحت العبرية لهجة تختلف بنطق بعض الحروف كما تختلف القبائل بنطق "الشين" و" الكاف" او نطق "الميم" و"اللام" الى هذه الايام . ففى الاصحاح الثانى عشر مـــن سفر القضاة يقول: " كان من رجال جلعا ومن يقولون له: أأنت من افرايم ؟ ، فـــان قال لا كانوا يقولون له : قل شبولث : فيقول سبولث ، فكانوا يأخذونه ويذبحونه !!

ولما كشف حجر موأب المشهور كشفه" كلين " الالماني سنة١٨٦٨ –كما يقول الاستاذ عباس العقاد – المؤلف – وجدت الكتابة عليه قريبة جدا من العبرية ، وهو يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد . وقد اقام هذا الحجر ملك موأب " ميا بن شموس " وقال فيه ان الاله شموس (اى الشمس) نصره على اله اسرائيل ، وانه بنى هيكل بعل معون ، وذكر (اشتار شموس) فى موضع اخر كما قال انه جر محاريب (يهوا) امام ربه المعبود ، وكان هذا الرب راضيا عنه بعد جفاء وعقاب .

وظهر من احافير اليمن والعراق والشام وفلسطين ان اسماء الاله واحدة فى جميع هذه البلاد ، ففى كلا منها اسم بعل والرب وايل وصادق بمعنى المعطى الوهاب، ومن هذا التشابهِ اسم ملكى صادق فى فلسطين واسم ايل صادق فى معين وحضرموت .

ومن اقوى الاشياء دلالة على العلاقة بين إبرهيم والحجاز ان اسم "بعل" يطلق كثيرا على الاله فى ديانات جميع القبائل ما عدا القبائل التى دانت بدعوة إبرهيم وخلفائه ، فان اطلاق اسم "البعل" على الاله مكروه فيهما لا يذكرونه الاعرضا فى تركيب الاسماء التى يتوارثها الناس بغير نظر الى معناها .

وقد ورد اسم " البعل " فى ديانات الجزيرة العربية ما عدا ديانة الكعبة او ديانة الحجاز . ثم يضيف كاتبنا : ومن قال ان اسم "هبل" تصحيف (لاسم " يهوبعل") لم يستند الى دليل ولا قرينة معقولة – اذ لا معنى لتصحيف الكلمة فى اسم الصنم مع وجودها فى اللغة بمعنى السيد او الزوج الى اليوم. ولو كانت الكلمة منسية لما كان بالتصحيف من غرابة واما وهى مفهومة معروفة فتصحيفها فى اسم صنم معبود غير معقول . وابعد من هذا القول ان يقال ان " هبل منحوت من كلمة يهوا" وكلمة

"بعل " فان الدعوة الى "يهوا" تناقض الدعوة الى "بعل" ، ومن امن بهذا لم يؤمن بذاك الا ان يقال ان اسم "يهوا" مأخوذ من اللغة العربية الحجازية او الجنوبية وينبغى لمن يقول هذا ان يستشهد بأمثلة لوجود الكلمة مفردة ومقترنة ببعل فى اثر ثابت ، وليس لهذا الاثر وجود . وينقل "سرجليوت" من جليزر "Glaser" ان الملك الحميرى "شرحبيل يعفور" ذكر اسم الله فى الحجر المنقوش على سد مأرب فسماه "بعل السمائين والارضيين" وانهم عرفوا التوحيد فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، وينقل عن "دسو""Dussaud" ان الاحافير النبطية التى ترجع الى القرن الثالث قبل الميلاد ، تدل على تقارب شديد بين الارامية والعربية الفصحى .

وقد لوحظ التقارب بين اللغات او اللهجات العربية ، فيما هو اقدم من ذلك كثيرا بحيث لا يحسب تاريخه باقل من الفى سنة قبل الميلاد . فان اداة التعريف وضمير المتكلم والغائب وكلمات النفى والنهى وتصريف الافعال ، مشتركة فى اللغة العربية واللغة الاشورية التى تنسب اليها السريانية كما تقدم . وهذا التقارب فى اللغة والكتابة يفض لنا – فيما نعتقد – خلافا شديدا دخل فيه المهاجمون للاسلام والمدافعون عنه حول نسب الخليل إبرهيم خاصا باسم ابيه. .

فقد جاء فى القران الكريم : (واذ قال إبرهيم لابيه ازر ...) فاتخذ المهاجمون للاسلام من ذلك دليلا على الخطأ فى تسمية ابى الخليل وقالوا ان اسمه "تارخ" كما ورد فى العهد القديم . والواقع – كما يقول مؤلفنا – ان هذه التخطئة لا محل لها عند النظر فى اصول الاسماء ، فان إبرهيم قد انحدر الى ارض كنعان من ارض اشور واعتقد شراح الكتب الاسرائيلية فى غير موضع ان الاباء الاولين كانوا ينسبون الى بلادهم

او المهم كما يقال عن ابن مصر وابن اوربة ، وابناء الشرق وابناء الغـــرب وابنـــاء النيل ، فاذا نسب إبرهيم الى اشور فمن الجائز جدا ان يكون تـــارح وازر لفظـــين مختلفين لاسم واحد ، سواء كان هذا الاسم علما على رجل او على الجـــد القـــديم الذى تنسب اليه امة اشور ، وكثيرا ما انتسب القوم الى اسم جد قديم كما يقـــال فى النسب الى عدنان وقحطان ، . ثم يقول : ونظرة واحدة فى كتابه اسم اشور ونطقها الى اليوم فى العراق وسورية تقرب لنا هذا الاحتمال الذى يبدو بعيد لاول وهلـــة ، فقد كتبت اشور تارة أزور وتارة اثور و تارة اتور بالتاء، وتارة اسور بالســـين. ولا يخفى ان اللغات السامية لم تكن تكتب لها حروف علة الي زمن قريب ، وان الاغريق الذين اطلقوا اسم (اسورية) على وطن إبرهيم من نهر الفرات الى فلسطين فكانـــت تنطق " سيريه" بالياء فى اللغات الاوربية ، وتنطق سورية بالواو فى اللغات الشرقية . ولا يخفى كذلك ان كلمة " تارح" تنطق " تيرح " على لسان كثيرين من النـــاطقين باللغات السامية وتنطق " تيرا " و" تيره " عند الذين لا يستطعيون النطـــق بالحـــاء . وقد ورد فى التوراة اسمان بمعنى الاميرة. احدهما "سارح" (٤٦ تكوين) والاخر بغـــير الحاء وهو "سار" او"سارة ".

ومؤدى هذا ان "ازر" وهى النطق الصحيح الذى عرف به اسم "اسور" القديم ، وان تيره ، وتيرح هى نطق الذين يكتبونها "اتيرة" و" اتيرح" وينطقون كلمة " اتور" بـــين الواو والياء .

ثم يضيف ان هذه الملاحظة تفيد فى ان تاريخ إبرهيم عليه السلام فى الاسلام لم يكن مستمدا من المصادر اليهودية كما زعم بعض المتسرعين من رواة الاخبار الدينية غير الاسلامية والا لما كان ايسر من تسمية ابيه "تارحا" او" تيرحا" او "تيرة" وما شابه هذه التصحيفات ، ولما كان هناك سبب قط لتسميته "بازر" على اى توجيه ، وانما هذه بينة من بينات شتى على ان دعوة إبرهيم لم تصل الى الحجاز من مصادراليهود .

والبينة الكبرى التى تاتى من مباحث اللغة هى التقارب الشديد بين لغة الحجاز ولغة النبط او النبتايين الذين ينتمون الى نبات من ابناء اسماعيل.

فقد عقد اللغويون مقارنات كثيرة بين لهجات العرب القديمة التى بقيت الى ما قبل الاسلام فظهر ان الحميريون كانوا يقيمون باقصى الجنوب من الجزيرة العربية والاشوريين كانوا يقيمون باقصى الشمال من العراق ولكن التشابه بين لهجة حمير ولهجة اشور اقرب جدا مما بين اللهجة الحميرية واللهجة القرشية بمكة .

فاللغة الحجازية لم تتطور من اللغة اليمانية ، وانما جاء التطور من العربية القديمة الى الاشورية الى الارامية الى النبطية الى القرشية فتقاربت لغتى النبط ولغة قريش من هذا السبيل .

هذه هى البينة الكبرى من مباحث اللغة على قرابة اهل الحجاز من النبطين او النباتيين ابناء اسماعيل ، ولم تكن هذه القرابة من اختراع النسابين او فقهاء الاسلام ، ولكنها قرابة حفظتها اسانيد اللغة والثقافة واستخرجتها من حجارة الاحافير والكشوف الحديثة . ومما يدعو الى احترام روايات النسابين – كما يقول المؤلف – فى هذا الباب انهم عرفوا الحقيقة التى كشفها علماء الاحافير فى الزمن الاخير ، فقال

ابن عباس " نحن معاشر قريش من النبط " هذا من جهة الاصل واللغة – التى هى محل بحثنا – ومن جهة الكتابة ربما اختلفوا فى مسألة الكتابة لانها طارئة لم يتعلم منهم غير القليلين . اما النسب ومرجعه الى نبات والنباتين فالتوافق فيه واضح بين رواية النسابين وتحقيق الاحافير . (ص ١٣٧) .

وعن " المشنا" وهو اهم المراجع الاسرائيلية بعد التوراة : "فالمقرأ" هو ما تحفظ بالقراءة فى الكتب وهو نصوص التوراة المعتمدة، و" المشنا" هوما يحفظ بالذكر والاستظهار ومنه التلمود على نشأته الاولى . واصل كلمة "شنا" اى كرر وهى تقابل فى العربية مادة "ثنى" بمعنى اعاد ثانية . وترجع مأثورات " المشنا" الى ايام النفى فى بابل حيث اقامت عشائر من اليهود منفية عن فلسطين وكان الغرض من "المشنا" تفسير التوراة والتعليق عليها . وتعرف بعض مأثورات الاسرائيلية باسم " المدارش" او "الدراسات" وقد تمت عند القرن السادس للميلاد .

ويظن بعض شراح الالمان مثل "جرنبوم" ان من المدارش نبذا منقولة عن اللغة العربية (ص ٣٨) والمقابلة بين رواياتها والروايات الاسرائيلية تدل على مشابهة قريبة . بل يظن "جرنبوم" ان بعض العبارات ترجمة حرفية من القران الكريم . كما جاء فى كتاب من المدارش ان الله قال :" ليوهب البرد والعزاء لخادمى إبرهيم" والكلمة فيها معنى العزاء والراحة والسلام (وهنا نذكر قوله سبحانه وتعالى : "وقلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبرهيم ".

إخوته يسكن. ١٣ فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي. لأنها قالت أههنا أيضا رأيت بعد رؤية. ١٤ لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي. ها هي بين قادش وبارد. ١٥ فولدت هاجر لأبرام ابنا. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسمعيل. ١٦ كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسمعيل لأبرام

الأصحاح السابع عشر

ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا. ٢ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا. ٣ فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا. ٤ أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم. ٥ فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. ٦ وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. ٧ وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. ٨ وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم.

٩ وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. ١٠ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. ١١ فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ١٢ ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. ١٣ يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. ١٤ وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي.

١٥ وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة.

١٦ وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ٱبْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ. ١٧ فَسَقَطَ إِبْرٰهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ. وَقَالَ فِي قَلْبِهِ هَلْ يُولَدُ لِٱبْنِ مِئَةِ سَنَةٍ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً

١٨ وَقَالَ إِبْرٰهِيمُ لِلّٰهِ لَيْتَ إِسْمٰعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ. ١٩ فَقَالَ ٱللّٰهُ بَلْ سَارَةُ ٱمْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ إِسْحٰقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. ٢٠ وَأَمَّا إِسْمٰعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. ٱثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. ٢١ وَلٰكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحٰقَ ٱلَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْآتِيَةِ. ٢٢ فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَعَهُ صَعِدَ ٱللّٰهُ عَنْ إِبْرٰهِيمَ

٢٣ فَأَخَذَ إِبْرٰهِيمُ إِسْمٰعِيلَ ٱبْنَهُ وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ وَجَمِيعَ ٱلْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرٰهِيمَ وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ ٱللّٰهُ. ٢٤ وَكَانَ إِبْرٰهِيمُ ٱبْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. ٢٥ وَكَانَ إِسْمٰعِيلُ ٱبْنُهُ ٱبْنَ ثَلٰثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. ٢٦ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ عَيْنِهِ خُتِنَ إِبْرٰهِيمُ وَإِسْمٰعِيلُ ٱبْنُهُ. ٢٧ وَكُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ وِلْدَانُ ٱلْبَيْتِ وَٱلْمُبْتَاعِينَ بِٱلْفِضَّةِ مِنِ ٱبْنِ ٱلْغَرِيبِ خُتِنُوا مَعَهُ

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلثَّامِنَ عَشَرَ

١ وَظَهَرَ لَهُ ٱلرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ ٱلْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ ٱلنَّهَارِ. ٢ فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلٰثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لِٱسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ ٱلْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ. ٣ وَقَالَ يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلَا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. ٤ لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَٱغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَٱتَّكِئُوا تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ. ٥ فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ. لِأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ. فَقَالُوا هٰكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ

وعن قصة ميلاد إبرهيم التى جاءت فى الكتاب " إبرهيم ابو الانبياء"ص ٤٣ والشبه بين القصة وقصة إبرهيم ظاهر ، وزعم "شابيرا" "Shapira" "ان القصة من وضع كعب الاحبار– ثم يضيف المؤلف– ان الكنيسة السريانية التى يعيش اتباعها فى بلاد الكلدان القديمة بين سورية والعراق والتى اشتهر اباؤها بدراسة السريانية – وهى الارامية بعينها – لا تعتبر ان القصة ناشئة من غلطة فى الترجمة وتقيم لنجاة الخليل من النار حفلا سنويا فى الخامس والعشرين من شهر كانون الثانى . على انه من الراجح جدا ان اليهود رجعوا الى المصادر العربية فى رواية قصص المدارش وما اليها لانهم كادوا ان ينحصروا فى بلاد الدولة العربية من صدر الاسلام الى القرن الثالث للهجرة ، وكادت بحوثهم الفقهية فى دياناتهم ان تكون اقتباسا من بحوث علماء الكلام المسلمين ، وكادت اللغة العربية ان تكون معتمدهم الوحيد فى الثقافة العليا والثقافة العامة ، حتى كانوا يكتبون العربية احيانا بحروف عبرية .

وعن قصة برج بابل

ثم يقول الأستاذ / عباس العقاد– عن قصة برج بابل في كتابه " إبرهيم ابو الأنبياء" ص ٤٤ من اشهر الروايات في النمرود و الخليل تلك القصة التي يعللون بها اختلاف الألسن بين الأمم و خلاصتها ان النمرود هذا أراد ان يتحدى إله إبرهيم فبنى له برجا عاليا و صعد عليه ليناجز الله في سمائه، ثم طفق يرمى السماء بالسهام حتي عاد

اليه سهم منها و قد اصطبغ بالنجيع الأحمر فخيل له انه اصاب مرماه ، و لكنه لم يلبث ان سقط علي الأرض و سقط معه قومه، و نهضوا من سقطتهم و هم يتصايحون بكلام لا يفهمونه لأن السماء أرسلت عليهم سهاما من الصواعق، زلزلت البرج و قوضت أركانه و تركتهم في بلبال حائر لا يدرون ما يفعلون و ما يقولون ، و لا يفقه السامع منه ما يقال له أو يفعلة في حيرته. قال الرواة: و لهذا سميت المدينه في موضع البرج " بابل" من تبلبل الألسنه و الأفكار. ثم يضيف – من المراجع المسيحية – عن إبرهيم ابو الأنبياء – بأنه قد انتشرت بين أهل فلسطين و اليهود و غيرهم عقائد المصريين في اليوم الأخر لأنهم كانوا يترددون علي الأسكندريه – كما كان اهل اسكندرية يترددون عليهم، و لم تكن في العالم معاهد للثقافة و البحث اكبر من معاهدها، غير مستثنى من ذلك رومة و لا أثينا و لا المدن الشرقية التي كان لها قبل ذلك شأن مذكور في العلم و الفن والحكمة.

ثم يقول : و من احدث المراجع كتاب موجز التعليقات الحديثة علي الكتاب، من تأليف نحو ثلاثين عالما من علماء اللاهوت في انجلترا و كلهم من المطلعين علي كشوف الآثار التي لها علاقة بتواريخ التوراة و الأناجيل. و يقول سيادته:– أشاروا الي كلمة " عبري" ص ٦٠ و معناها: فقالوا انها وجدت في آثار " رم س" سلف حمورابي – كما وجدت في نص من النصوص البابلية التي كشفت في بلاد الحيثين الأقدمين من آسيا الصغرى – و تسمى اليوم بوغازكوي – و وجدت كذلك في نصوص حورانية عند بلدة توزى بالعراق و كان لها معنى أعم من معناها الخاص بعد

ذلك بأنباء اسرائيل، و يفهم منه ان الكلمة مرادفة لكلمة الجنــود الرحــل الــذين يستاجرهم قادة الجيوش.

و من كتب التعليقات ايضا " كتاب تعليقات موجزة علــي الكتــاب" و مؤلفــه " جوزيف انجوس" "**Angus**" و هو من اكبر فقهاء اللاهوت و طبعة ونقحــه ســنة ١٩٥٢ :

و يقول المؤلف ان الآثار تحتمل ان " أمرافل" – الذي حارب إبرهيم – هو حمورابي الذي كان ملكا علي بابل سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد، و الحفريات المسمارية تربط بــين اسمه و أسم معاصره " آرى آكو".

اما الكتاب الذي الفه جماعة " دراسة العهد القديم" و اشترك في تأليفــه أكثــر مــن عشرة من علماء هذه الدراسات و هو كتاب العهد القديم و الدراسة الحديثة يقــول الأستاذ " البرايت" "**Albright**" و هو احد اصحاب البحوث للكشف عن الآثار و معه زميله من المشتغلين بالكشوف في فلسطين يقول عن كشوف رأس شمــرا أنهــا أثبتت ان حضارة كنعان كانت تمتد في العصر البرونزى المتأخر من غــزة جنوبــا الي رأس شمرا شمالا (أغاريت القديمة) . و أن اللغة و الديانة و الحضارة كانت واحدة في هذه البقاع و لم يكن اختلاف اللغة الا من قبيل اخــتلاف اللــهجات (ص ٦٥). و يتناول الأستاذ " هيننمان" "**Heinnman**" من جامعة " سانت أندروز" بحثا لغويا عن العبرية فيقرر فيه ان الآرامية – و هي العربية الشمالية – كانت سابقة في سورية

و فلسطين لكل من اللغتين الكنعانية و العبرية معتمدا علي كشوف رأس شمرا و علي الكنعانية التي اشتملت عليها رسائل تل العمارنة و يردها الي نحو ١٣٧٥ ق.م

و من مصادر التاريخ القديم
من كتاب تاريخ يوسيفوس من مؤرخى اليهود

يقول من قصة إبرهيم عليه السلام:

و نختصر منها قصة ابنه اسماعيل عليه السلام كما ذكرها ص ١٠١ من كتاب " إبراهيم أبو الأنبياء": قال يوسيفوس:

و لما بلغ الصبي مبلغ الرجال زوجته امه مصرية من قومها فولدت له اثنى عشر ولدا هم : نبايوت ، و قدار ، و عبدئيل ، ومبسام ، و مشمع ، و أدوم ، و ماسم ، و قدوم ، و تيمان ، و جثور ، و نافش ، و قدماس. و استولي هؤلاء علي الأرض كلها من العراق الي البحر الأحمر، و سموا بالنباتيين (النبطيين) و هم الذين سمي بأسمائهم جميع أمة العرب و قبائلها إكراما لشأنهم و لشهرة إبرهيم.

و عن أبن العبري

اذا كان يوسيفوس مثلا للمؤرخ القديم من الوجهة الاسرئيلية، فابن العبري ابو الفرج بن هارون صاحب " مختصر الدول" المتوفي سنة ١٢٨٦ م قد يكون المثل الوحيد للمؤرخ القديم من الوجهة المسيحية في هذا الموضوع لأنه إمام من ائمة الكنيسة السريانية التي ينتشر أتباعها في مواطن إبرهيم و يحفظون أخباره التقليدية منذ القرن الأول للميلاد. قال في كلامه عن دولة الأولياء – أي الآباء – .

في بني اسرائيل :– و من ائمتنا باسليوس و أفريم يزعمان ان من آدم الي عابر هذا كانت لغة الناس واحدة و هي السريانية و بها كلم الله آدم. و تنقسم الي ثلاث لغات : أفصحها الآرامية و هي لغة اهل الرّها ، و حّران و الشام الخارجة، و بعدها الفلسطينية و هي لغة أهل دمشق و جبل لبنان و باق الشام الداخلة، و اسمها الكلدانية النبطية و هي لغة أهل جبال أثور (أشور) و سواد العراق. و يعقوب الرهاوي يقول ان اللغة لم تزل عبرية الي ان تبلبلت الألسن ببابل.

" و فالغ بن عابر ولد له أرعو و عمره علي الراي السبعيني (من ترجمة التوراة المعروفة بالترجمة السبعينية لأشتراك أثنين و سبعين مترجما في نقلها الي اليونانية و علي رأي اليهود ثلاثون سنة ، و جميع أيامه ثلثمائة و ثلاث و اربعون سنة.

" في سنة مائة و اربعون لفالغ، فلغت الأرض أي قسمت قسمة ثانية بين ولد نوح. فصار لبني سام: و سط المعمورة ، فلسطين و الشام (أشور) و سامرة و بابل و فارس و الحجاز.

و لبني حام : القيمش كله أي الجنوب: أفريقية و الزنج و مصر و النوبة و الحبشة و السند و الهند.

و لبني يافث: الجربيا أي الشمال : الأندلس و الفرنجه و بلاد اليونان و الصقالية و البلغار و الترك و الأرمن .

و بعد وفاة فالغ ثارت الفتن بين بنيه و بين بني يقظان أخيه و شرع الناس في تشييد الحصون .

متي كتب العهد القديم؟

يقول الأستاذ عباس العقاد في كتابه : عند كتابة العهد القديم كان قد انقضي علي عهد موسى عليه السلام نحو سبعة قرون و انقضى علي عهد ابراهيم عليه السلام نحو أحد عشر قرنا ، فحسب عمر موسى مائة و عشرون سنة، و عمر إبرهيم مائة و خمس و سبعين سنة. ثم يضيف: فلا يخفى ان السكوت المتعمد يدل علي الكثير، و ربما كان في ميزان الصدق أدل من الكلام الذي يتعرض للتورية و المحال. فإذا علمنا من بعض التواريخ ان نسكت عمدا عن بعض الأمور فقد علمنا شيئا صحيحا و مبين لتلك الأمور المسكوت عنها و بخاصة حين نعلم سبب السكوت.

يقول لقد تعمدت مصادر اليهود ان تخرج ابناء اسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه إبرهيم من الله ، و قالت ان هذا الوعد انما هو لأبناء إبرهيم من سلالة اسحق، اذن

فإن انتساب العرب الي اسماعيل قد كان تاريخا مقررا لا سبيل لإنكاره عن كتابة المصادر اليهودية التي حصرت النعمة الموعودة في ابناء اسحق.

و لو لم يكن انتساب العرب الي اسماعيل بن إبرهيم تاريخيا مقررا في ذلك العصر – عصر كتابة المصادر اليهودية الأولى– لما كانت بهم حاجة الي التمييز بين ابناء اسحق و ابناء اسماعيل، اذ كان يكفي ان يقال ان النعمة الموعودة من نصيب ابناء إبرهيم عامة ليخرج من هذا الوعد من لم يكن من اليهود الذين لا ينازعهم أحد في الإنتساب الي إبرهيم، و اكثر من ذلك ان كهان اليهود كانوا يخشون من العرب منافسة دينية، فضلا عن المنافسة الدنيوية. و لا شيء غير خطر المنافسة في النسب و خطر المنافسة في العقيدة الدينية يلجيء الكهان الي حصر النعمة الموعودة في ابناء اسحق دون بقية ابناء إبرهيم. و قد لوحظ ان الكهان يحصرون النسب شيئا فشيئا كلما أحسوا بخطر المنافسة علي سلطانهم و سلطان هيكلهم علي الخصوص.

فخصوا أبناء يعقوب بعد ان كان الوعد عاما شاملا لأبناء اسحق أجمعين، و قالوا ان الإسرائيلين هم ابناء يعقوب دون غيره، و اسرائيل هو لقب يعقوب .

ثم انقسمت دولة اليهود الي دولة في الشمال تسمى مملكة إسرائيل و دولة في الجنوب تسمى مملكة يهوذا ، فقال كهان الهيكل ان النعمة الموعودة محصورة في ابناء داوود و قبل ذلك بزمن طويل كان اللاويون يحصرون الرياسة الدينية فيهم دون غيرهم، لأنهم يقولون ان اللاوين قبيلة موسى كليم الله عليه السلام. ثم يقول : فالسومريون في الغالب من أصل مغولي و سواء ثبت انهم من المغول او ثبت غير ذلك ، فالأمر الذي لا شك فيه، انهم من غير الساميين أو السلالة العربية، و لأنهم كانوا يتكلمون لغة "

غروبة" " Aggiutinatine " بعيدة جدا في أصولها و قواعدها من اللغات السامية الاشتقاقية و منها العربية Inflectina .

و الحيثيون علي الأغلب آريون – كما يقول المؤلف– قدموا من الشرق الي آسيا الصغرى بعد احتلال الساميين للهلال الخصيب بقوة لم يستطيع الحيثيون ان يتغلبوا عليها و الا لما تجاوزوا هذه البقاع الخصبة الي ما وراءها. و كان السلطان الأكبر علي هذه العشائر للدولة التي تقوم في العراق سواء كانت دولة الآشوريين أو الأكديين أو البابليين أو دولة السومرين قبل هؤلاء أجمعين. و ربما دخل بعض البقاع ف حوزة مصر و تولاها حكام من قبل فرعون و لكن وحدة اللغة ووحدة المكان و وحدة العادات هي الغالبة علي طول الزمن، و لهذا كان الولاة المصريون علي آسيا الغربية يكتبون الي فرعون بالخط المسماري و علي ألواح الطين المطبوخ، كما كان يكتب البابليون و الآشوريين.

ثم يقول كاتبنا الأستاذ العقاد : فليست الكتب التي ضمت الي العهد القديم هي كل كتب التوراة المعترف بها. لأن الكتب التي جرى الاستشهاد بها علي السنة الأنبياء من بني اسرائيل لم توجد كلها بين اسفار التوراة، كما هو واضح من الشواهد الكثيرة التي نلم ببعضها في هذا السياق (من ص ١١٧ : ١١٩) من كتابه لمن اراد ان يتعرف علي هذه المراجع المشار اليه.

اهل الحيرة من اخذتم العربي ؛ فقالوا من اهل الانبار . ويقال : ان الله تبارك تعالى انطق اسمعيل بالعربية المبينة ، وهو ابن اربع و عشرين سنة .

قال محمد بن اسحق : فاما الذي يقارب الحق و تكاد النفس تقبله فذكر الثقة : ان الكلام العربي بلغة حمير و طسم و جديس و ارم و حويل . فهؤلاء[1] هم العرب العاربة . و ان اسمعيل لما حصل في الحرم و نشأ وكبر ، تزوج في جرهم ، الى[2] معاوية بن مضاض الجرهمي ، فهم اخوال ولده ، فتعلم[3] كلامهم . ولم يزل ولد اسمعيل على مر الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض ، ويضعون[4] للاشياء اسماء كثيرة ، بحسب حدوث الاشياء الموجودات وظهورها . فاما السجع الكلام : ظهر الشعر الجيد الفصيح في نمانية وكثر هذا بعد معد بن عدنان . و كل قبيلة من قبائل العرب لغة تنفرد[5] بها ويؤخذ عنه وقد اشتركوا في الاصل . قال : وان الزيادة في اللغة ، امتنع العرب منه مذ بعث الله نبيه عليه السلام[6] لاجل القرآن . و مما يصدق ذلك ، وروى مكحول عن رجاله ان اول من وضع الكتاب العربي ، نفيس و نصر وتيما و دومة ، هؤلاء ولد اسمعيل : وضعوه مفصلا . وفرقه قادور (و) نبت[7] بن هميسع بن قادور . قال : وان نفراً من اهل الانبار ، من اياد القديمة وضعوا حروف ، الف . ب . ت . ث . وعنه اخذته العرب .[8]

من كتاب الفهرست
تأليف محمد بن اسحق النديم المعروف
بأبى يعقوب الوراق
المنقول من دستوره وبخطه

الكلام على القلم العربى : اختلف الناس فى أول من وضع الخط العربى فقال هشام الكلبى أول من وضع ذلك (معنى وضع هنا أى صنع) قوم من العرب العاربة نزلوا فى عدنان أبن اد (أبن أدد أبو سعد بن عدنان وإدد هو أبو اليسع بن الهميسع بن سلامان ابن زلف بن حمل بن فيذا (أبن اسماعيل عليه السلام) وأسماؤهم أبو جاد ، هواز ، حطى ، كلمون صعفص قريسات هذا من خط ابن الكوفى بهذا الشكل والأعراب وضعوا الكتاب على أسمائهم ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم وهى التاء والخاء والدال والطاء والشين والغين ، فسموها الروادف . قال هؤلاء ملوك مدين ، وكان مهلكهم يوم الظله فى زمن شعيب عليه السلام .

ويقول بخط ابن ابى سعد على هذه الصورة وبهذا الأعراب إبجاد ، حاطى ، كلمان صاع فعص ، قرست قالوا هم الجبلة الأخرة وكانوا نزولا فى عدنان بن ادد وأشباهه ، فلما استعربوا وضعوا الكتاب الغربى والله أعلم .

وقال كعب : وانا أبرى (أى البرء إلى الله تعالى من قوله ان اول من وضع الكتابة العربية والفارسية وغيرها من الكتابات أدم عليه السلام ، وضع ذلك قبل موته

بثلثمائة سنة وكتبه فى الطين وطبخة ، فلما أصاب الأرض الطوفان ، سلم ، فوجد كل قوم كتابتهم فكتبو بها .

وقال ابن عباس : اول من كتب العربية ثلاثة رجال من بولان وهى قبيلة سكنوا الأنبار ، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم مرامر بن مروة أو مرة ، وأسلم بن مسدرة ، وعامر بن جذوة (جدرة) ويقال مرة وجذله . فأما مرامر فوضع الصور وأما أسلم ففصل و وصل واما عامر فوضع الأعجام .

وسئل أهل الحيرة ممن أخذتم العربى ؟؟

فقالوا من أهل الأنبار ، ويقال ان الله تبارك وتعالى أنطق اسماعيل بالعربية المبينة وهو أبن أربع وعشرين سنة .

قال محمد بن اسحق فأما الذى يقارب الحق وتكاد النفس تقبله فذكر الثقة أن الكلام العربى بلغة حمير وطسم ، وجريس ، وأرم ، وهويل فهؤلاء هم العرب العارية ، وان اسميعيل لما حصل فى الحرم ونشأ وكبر وتزوج في جرهم إلى (أل معاوية بن مضاض الجرهمى) ، فهم أخوال ولده فعلم كلامهم ، ولم يزل ولد اسماعيل على مر الزمان يشتقون الكلام بعضه من البعض ويضعون (يصنعون) للأشياء أسماء كثيره بحسب حدوث الأشياء والموجودات وظهورها ، فلما أتسع الكلام ظهر الشعر الجيد الفصيح فى العدنانية وكثر هذا بعد معد بن عدنان ولكل قبيلة من قبائل العرب تنفرد بها (تتفرد) ويؤخذ عنها وقد اشتركوا فى الأصل قال وإن الزيادة فى

اللغـــــة امتنـــــع العـــــرب عنـــــها منـــــذ بعـــــث الله نبيـــــه عليـــــه السلام لأجل القـــرآن .

ومما يصدق هذا القول (ذلك) روى مكحول عن رجالـــه : إن أول مـــن وضـــع الكتاب العربى ، نفيس ونصر وتيما و دوسه ، هولاء ولد اسميعيل ، وضعوه مفصلا وفرقـــه قادور (ق نبت بن هميسع بن قادور قال وإن نفرا من أهل الأنبار من أياد القديمة وضعوا حروف الف ، ب ، ت ، ث وعنه أخذته العرب .

ويقول قرات فى كتاب مكة لعمر بن شبه وبخطه : أخبرنى قـــوم من علماء خضـــر قالوا الذى كتب هذا العربى الجزم رجل من بنى يخلد (مخلد) بن النضـــربن كنانـــة فكتبت حينئذ العرب وعن غيره .

الذى حمل الكتابة إلى قريش بمكة ، أبوقيس بن عبد مناف بن زهرة و قيل حرب بن امية وقيل أنه لما هدمت الكعبة قريش وجدوا فى ركـــن مـــن أركانهـــا حجـــــرا مكتوبا فيه السلف بن عبقر يقـــرأ على ربه السلام من رأس ثلاثـــة ألاف ســـــنه وكـــان فى خزانه المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم ، فى جلد أدم ، ذكـــر حق عبد الطلب بن هاشم من أهل مكـــة ، على فلان بن فلان الحميرى ، من اهـــل وزل صنعاء عليه ألف درهم فضة كـــيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابة ، شهـــــد الله والملكـــان ، قـــال : وكـــان الخط يشبه خط النساء ومن كتاب العرب أســـيد بن أبى العيص، أصيب فى حجر بمسجد السور عند قبر المربين ، وقد حسم الســـيل عن الأرض فيه أنا أسيد بن أبى العيص ، ترحم الله على بنى عبد مناف .

لـــم سميت العـــرب بهـــذا الأســـم ؟

من خط ابن أبي سعد ذكروا ان إبرهيم عليه السلام نظر الى ولـــد اسميعيـــل مـــع اخوالهم من جرهم فقال له يا اسميعيل ما هؤلاء ، فقال بنى واخوالهم من جـــرهم ، فقال له إبرهيم باللسان الذى كان يتكلم به وهو السريانية القديمة ، اعـــرب لـــه ، يقول أخلطهم بهم (به) . والله اعلم .

وعن العبرية
من كتاب للاستاذ الدكتور عبد الرازق احمد قنديل
استاذ الأدب العبرى (جامعة الأزهر)

تحت عنوان

العبرية (دراسة فى تاريخ اللغة وقواعدها ١٩٩٥م)

تقديـــــم :

يقول المؤلف : فطن علماء الشرق منذ العصر الوسيط الى ما بين اللغـــتين العربيـــة والعبرية من روابط وأصول لغوية ، واخذوا فى بحث تلك الروابط ودراستها، وسمعنا عن مؤلف للحَبْر اليهودى سعديا بن يوسف الفيومى فى القـــرن العاشـــر المـــيلادى يكشف النقاب عن بعض تلك الصلات اللغوية ، وقد اطلق عليه "تفسير الســـبعين لفظة " الفردة " وهى الألفاظ التى وردت مرة واحدة فقط فى العهد القـــديم ، وقـــد استعان فى تفسير هذه الالفاظ بكل من العربية والارامية . كما تنبه معاصروه ومـــن جاءوا بعده الى وجود مثل هذه الصلة القوية بين اللغات السامية بصفة عامة . فقـــد اشار ابن حزم الاندلسى الى وجود هذه العلاقة بين الارامية والعبرية والعربية ، بل ان بعض علماء اليهود فى شمال افريقيا والاندلس فى القرنين التاسع والعاشر قـــد قطـــع بأسبقية لغة على الاخرى رغم صعوبة تحديد ذلك الى الان . (!!!)

وعن المصادر التى وصلت الينا العبرية عن طريقها منذ نشأتها حتى اليوم وأهم تلـــك المصادر هو العهد القديم . بصرف النظر عما يدور حول هذا الكتـــاب مـــن نقـــد كمصدر دينى – كما يقول المؤلف – ونظرا لأن العبرية تكاد ان تكون اللغة الفريدة

بين لغات العالم اجمع التى اصيبت على مر تاريخها بنكبات وضربات عديدة لارتباطها ارتباطا وثيقا بظروف المتحدثين بها سياسيا واجتماعيا ودينيا ، لذلك كانت باستمرار نهبا للصراعات اللغوية ، وللدخيل من اللغات الاجنبية شأنها فى ذلك شأن اليهود انفسهم وذلك واضح فى عبرية العصرين الوسيط والحديث ، اذ دخلت العبرية بعد السبى البابلى فى صراعات لغوية مع الارامية انتهت بطبيعة الحال الى تغلب الارامية لتوافر عوامل النجاح فى تلك الصراعات لها. وتركت بصماتها واضحة فى عبرية المشنا او عبرية الاحبار كما يطلق عليها احيانا . كذلك تأثرت العبرية تأثرا لا جدال فيه بالثقافة والفكر العربى منذ فتح المسلمون العراق وفلسطين على عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب – ولم يكن ازدهار مدرسة الدراسات الدينية اليهودية فى العراق – معقل اليهود فى ذلك الوقت – الا بفضل اتصالاتها واحتكاكها بالفكر الدينى الاسلامى خاصة فكر المعتزله . ونقل علماء اليهود هذا الفكر بمصطلحاته الى اليهودية كما يتضح ذلك عند "سعديا الفيومى" فى مؤلفه الامانات والاعتقادات كذلك وضع "بحايا بن فاقودة " فى الاندلس كتابه "واجبات القلوب" متأثرا بفلسفة الغزالى ، وهناك العديد من المؤلفات اليهودية فى اللغة والدين والادب والتى يتضح فيها التاثير العربى الاسلامى وذلك بفضل سماحة الاسلام ومعاملته الكريمة لهؤلاء اليهود باعتبارهم اهل كتاب ، ومن هذه المؤلفات كتاب "ابى زكريا جبوج " فى اللغة وعنوانه "الافعال ذوات حروف اللين والافعال ذوات المثلين" وكتب مروان بن جناح شيخ نحاة الاندلس اليهود العديد من المؤلفات والرسائل فى اللغة والنحو ، وكان للادب العبرى نصيبه الكبير فى التاثر بالادب العربى ايضا ، الامر الذى جعل

العبرية تنتعش انتعاشا لم تشهده من قبل باعتراف اليهود انفسهم حتى اطلقوا على هذه الفترة "العصر الذهبي للعبرية" بل ولليهود انفسهم، فلما قضى على الدولة العربية فى الاندلس وخرج العرب منها، لم يعد هناك مقام لليهود وتشتتوا من جديد وضاعت لغتهم وتفرعت عنها لهجات ليست سوى خليط من عدة لغات ،وان كان البعض يطلق على تلك اللهجات : " لغات "، واستمر الحال الى ان كانت بدايات العصر الحديث ، ومع بداية حركة القوميات فى اوربا والدعوة الى التحرر واعلان الثورة الفرنسية حقوق الانسان ، اخذ اليهود يستشعرون ذاقم المهضومة متأثرين بما يدور حولهم وحاولوا مسايرة الركب والاستفادة من فكر العصر و علومه، فظهرت حركة التنوير التى نبهت الاذهان الى تلك الاوضاع السيئة التى يعيش فيها اليهود وسط مجتمعات تتطور يوما بعد يوم وما عادت الظروف السياسية والاجتماعية فى بعض الدول فى ان تستمع لنداءهم المتكررة ، ومن هنا بدأت الدعوة الى العودة للعبرية من جديد بعد ان ظلت فى طى النسيان قرون عديدة ولم يسمع عنها الا كلغة دينية فى المعابد اليهودية وتعدى الامر الى المطالبة باحياء القومية اليهودية نفسها بالهجرة الى فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لهم . وفى وسط تلك الصراعات الدائرة بين مؤيدى الانفتاح الفكرى على علوم اوربا ومعارضى هذا المبدأ وكذلك بين الداعين الى الهجرة لفلسطين والمعارضين لذلك اخذت العبرية تنشط من جديد غير انه كان نشاطا وهميا اذ لم تستطع ان تساير العصر الحديث ومتطلباته بلغة والفاظ العهد القديم ، غير ان المحاولات فى سبيل ذلك استمرت معتمدة فى البداية اعتمادا كبيرا

على ما يقتبس من اللغات الاجنبية والاشتقاق منها ، الامر الذى جعل المتحدثين بها يتهاونون حتى فى الاصول اللغوية الثابتة فى اللغة نفسها ، ويقول المؤلف :

وعاد اليهود الى فلسطين واحتلوها وكأنهم يردون جميل العرب المسلمين الذين أووهم ورفعوا شأنهم من قبل واصبحت العبرية لغتهم الرسمية غير انها قد بعدت كثيرا عن العبرية القديمة .

وعن اللغة العبرية تاريخها وتطورها

اللغة العبرية واحدة من تلك المجموعة اللغوية التى عرفت فى العصر الحديث . بمجموعة اللغات السامية ، و أول من اطلق مصطلح "اللغات السامية" على هذه اللغات هو المستشرق الالمانى "Schlozer" فى القرن الثامن الميلادى ، اذ لم يكن هذا المصطلح شائعا بين علماء اللغات قبله ، وانما كان الشائع بالنسبة لتلك المجموعة انها كانت تعرف باسم "اللغات الشرقية" (المرجع هنا كتاب تيودور نولدكه : "اللغات السامية ترجمة رمضان عبدالتواب ص٨-١٩ . القاهرة ١٩٦٣).

وكان اعتماد "شلوتسر " فى اطلاق هذا المصطلح على ما جاء فى جدول الانساب المذكور فى العهد القديم فى سفر التكوين – الاصحاح العاشر عندما تحدث عن اولاد نوح الثلاثة : سام – حام – يافث . ومن هنا اطلق شلوتسر هذا المصطلح على تلك اللغات ، والتى كانت تعيش فى منطقة الشرق الادنى القديم فى شبه الجزيرة العربية ومنطقة ما بين النهرين واسيا الصغرى . هذا وان كانت البحوث العلمية قد اثبتت بعد ذلك ان هذا المصطلح لم يكن مصطلحا دقيقا ، وان ما جاء فى سفر التكوين من ترتيب للاجناس البشرية انما قام على اعتبارات سياسية وعنصرية وجغرافية لا على

مجرد ظواهر لغوية او تاريخية فقط . ويشير المؤلف "بالهامش" انه مما لاحظه "نولدكه" فى هذا الشأن ان بعض الشعوب التى نسبت الى سام طبقا لرواية العهد القديم لا يتحدثون بلغة سامية بل وليس بين لغتهم وبين اللغات السامية اية قرابة ، كما ان هناك بعض الشعوب الحامية (نسبة الى حام) تتحدث اللغات السامية بالاضافة الى وجود تضارب فى النص نفسه لانه يجعل الكنعانين حامين بينما هم ساميون .

ثم يقول : من المؤكد ان "شلوتسر" قد لاحظ وجود علاقة بين تلك اللغات الامر الذى يؤكد عنده وجود لغة سامية ام تفرعت الى عدة لهجات فيما بعد لغات قائمة بذاتها – تباعدت عن بعضها وطبقا للقوانين اللغوية اصبحت تلك اللهجات فيما بعد لغات احتفظت فيما بينها بكثير من خصائص اللغة السامية الأم . كما انه من المؤكد ايضا ان " شلوتسر" ليس اول من تنبه الى وجود هذه العلاقة بين تلك اللغات وبخاصة تلك العلاقة التى توجد بين كل من العبرية والعربية او بين العبرية والارامية ، و قد سبقه الكثيرون منذ حوالى القرن العاشر الميلادى الى مثل تلك الملاحظة ، بل اننا نجد اراء كثيرة قد ذهبت الى ابعد من هذا التاريخ ، فقد اشار احد الباحثين الى قيام جهود علمية فى الشرق بدأها نحاة السريان فى العصر البيزنطى ، وقد تركزت جهود هؤلاء النحاه على دراسة اللغات السامية الثلاثة العربية والعبرية والارامية ودونوا فى ذلك الوقت مؤلفات هامة ...

(د.محمد عبد الصمد زعيمة : دراسات فى علم اللغة المقارن – دار الثقافة للطباعة والنشـــر ١٩٨١ .)

وأنظر أيضا فى ذلك كتـــاب . **Gene M. schramm : the semetic languages c.t.l.p257**

لعلها فقدت بمرور الزمن إلى ان جاء العصر العربى بما عرف عنـــة مـــن ازدهـــار فى الفكر والثقافة والعلوم.

ثم يقول : ولقد أدرك علماء اليهود أيضا اهمية ما قام بة علماء المســـلمين فى هـــذا الشأن فأنتهجو نفس المنهج و قد ذكر المؤلف فى ص ٧ من الكتاب أن " دوناش بن تميم" قد وضع كتابا بالعبرية درس فية العلاقة بين العبرية و العربية وخـــرج فى نهايـــة بحثة الى نتيجة هامة هى: ان العبرية متطورة عن العربية وقد سار على نهجـــه بعـــض الباحثين المحدثين من كتاب:

Wax man , M. :History of the Jewish literature U.T.P.169.

نشأة العبريـــة :

يقول : إذا تتبعنا فرع من تلك المجموعة اللغوية ونقصد به العبرية نجد أن اللغة العبرية فرع من اللغة الكنعانية التى كانت واحدة من المجموعة الشمالية الغربية من اللغـــات السامية التى تضم أيضا الأرامية بشقيها الشرقي و الغربى النازحة إلى شمال الجزيـــرة العربية حيث استوطنت هناك و امتد سلطانها ، وتضم الى جانب العبريـــة الكنعانبـــة القديمة التي وجدت بعض مفرداتها فى رسائل تل العمارنة وكذلك المؤابية التي كتـــب بها نفس الملك بيشع المؤابى . ولقد اهتم اليهود بهذه اللغة (العبرية) إهتماما كبيرا منذ

ما بعد التدوين – اى تدوين العهد القديم – واعتبروها لغة مقدسه حيـــث دون بهـــا العهد القديم كلة فيما عدا بعض اجزاء قليلة جدا كتبت باللغة الأرامية على ما هـــو موضح في سفرى عزرا و دانيال الأمر الذى يمكن معه الاستنتاج بأن اسفار العهـــد القديم لم تدون فى فتره زمنيه واحدة . كما الها لا تسير على نسق تاريخى مرتب زمنيا بل إننا نجد هناك فوارق زمنيه بين الاسفار بعضها فمنها المتقدم و المتـــاخر وحـــتى فى داخل النص نفسه وفى داخل السفر نجد بعض الفقرات قد ترد قبل الاخـــرى مـــن ناحية الترتيب الزمنى ومن هنا اكتسبت اللغة العبرية تلك الاهمية الدينية على وجـــة الخصوص .

ثم يقول المؤلف : فهل كانت العبرية تعرف بهذا الاسم فى اقدم نـــص وصـــل الينـــا مكتوبا بها.؟

ثم يقول : الواقع أن المتصفح لاسفار العهد القديم بحثا عن هذا الاسم اللغة العبرية لا يستطيع ان يعثر على هذا الاسم صراحة، بل إنة لم يرد فى هذا الكتاب الكـــبير مـــا يشير الى اطلاق هذا الاسم على العبرية صراحة ، وإنما يمكن القول بأن العبرية قـــد عرفت عن طريق اسمين أحرين هما :

أولا : لغة كنعـــــان.

ثانيا : اليهوديـــــــة.

أولا: لغة كنعان : وقد وردت هذه التسمية فى نفس العهد القديم فى الفقرة الـــتى يحدث فيها كاتب السفرعن بنوءة أشعيا وعما سيفعله رب بنى اسرائيل بمصر علي ما هو موضح في سفر اشعيا الإصحاح التاسع عشر –.الفقرة الثانية عشر حيث جـــاء

فيها "وفى ذلك اليوم يكون فى ارض مصر خمسة مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود ، يقال لاحداها مدينة الشمس .

ثانيا : اليهودية : و تطلق التسمية نسبة إلى مملكة يهوذا وتدور فى سفر الملوك الثانى ما نصة : ثم وقف ريشاقى ونادى بصوت عظيم باللغة اليهودية (مل٢ : ١٨ : ٢٦ :٢٨) . وعلى أى حال فأن الابحاث التى دارت حول اصل هذة اللغة كثيرة ، دارت كلها حول ما أذا كان العبريون قد تحدثوا بهذه اللغة ، وبهذة التسمية التى تعرف بها الان وذلك قبل هجرهم إلى ارض كنعان ، كما انقسمو أيضا حول هذة التسمية الحالية وحول علاقة اللغة العبرية بالكنعانية .

(وعلى الهامش يذكر المؤلف أنه قد قام كثير من الباحثين بدراسات حول تاريخ نشأة هذة اللغة بصفتها واحدة من اللغات السامية ، وانقسموا حول ذلك ، فبينما اعتبرها بعضهم لهجة اسرائيلية للغة الكنعانية ، نجد بعض الباحثين اليهود بخاصة ، رفضوا ان تكون لغتهم مشتقة عن الكنعانية مدعين انها كانت فى الاصل لغة مستقلة يتحدث بها اليهود قبل هجرهم الى ارض كنعان ، واما ما يلاحظ من تشابة بين العبرية و الكنعانية فان مرد ذلك الى ان اللغتين اصلا تنتميان الى لغة سامية اولى ذات اصول مشتركة ، ومن الذين تعصبو لهذا الرأى " اليعازر بن يهودا " و " اسرائيل ولفسسون " ولاخير له كتاب " تاريخ اللغات السامية " لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٩ – القاهرة .

Encyclopedia Biblica . London 1899 .v . 2 . 5
Jewish Encyclopedia. V. 6. p. 307

ثم يضيف و يبدوا أن اليهود من منطلق ديني عنصرى لديهم قد رفضوا الرأى القائل بان العبرية مشتقة اصلا من الكنعانية وارجعوها الى ازمنة موغلة فى القدم حتى أنهم قالو بانها اللغة الوحيدة التى كانت موجودة عند بدأ الخليقة (؟؟؟!!!) ، وانشاوا حول ذلك اساطير كثيرة تصف كيفية خلق اللة لهذه اللغة وترتيب حروفها على ما نجده اليوم .و تبدو علي هذه الاساطير التى وضعها علماء اليهود ملامح التقديس و الاحترام للغة العبرية ، وليس ذلك سوى تعبير عن مدى احترام اليهود فى العصر الوسيط بصفة خاصة للغتهم وتمسكهم بها وتقديسهم حتى لحروفها اعتقاد منهم بان اللة قد انزل التوراة على موسى بهذة الحروف . ويقول المؤلف: واما ان هذه اللغة كانت لغة الخليقة وما دار حول ذلك فلا يتعدى ان يكون اساطير نسجها الخيال العبرى فى فترة السبى البابلى امعانا فى الحث على التمسك بهذه اللغة خوفا من الضياع وخشية القضاء عليها فى وقت سادت فيه الارامية سيادة مطلقة حتى انة لم يكن للعبرية نصيب فى الاستخدام اليومى الا فى اضيق الحدود حيث لم يكن اليهود يستخدموها سوى فى الطقوس الدينية أو كلغة ادبية فى مؤلفاهم وحتى فى الاستخدام الاخير فقد كانت عبرية متطورة مشوبة بلغات اجنبية كثيرة مثل الارامية واليونانية وغيرهما ، وخيرمثال على ذلك ما نشاهدة فى لغة " المشنا" التى تتكون من مجموعات لغوية (أنظر كتاب د . حسن ظاظا – الفكر الدينى الاسرائيلى) .

G.F.More:Judaism in the First Centuries of christion Eara .V.1.P.151.

و الأمر الذى يدعونا الي القول بأن ما روي حول وجود اللغة عند خلــق الأنســان الأول ، و الها كانت لغته الأولى التى يتحدث بها لا يتعدى ان يكون اساطير روجتها القيادة الرئيسية لليهود فى فترة من الفترات ، مثلما ذكروا ايضا ان " المشـــنا " قـــد نزلت على موسى مع التوراة ، و لكنها نزلت مشافه ، و ان موسى امر ان لا تدون " المشنا" مثلما دونت التوراة ، و انما تبلغ الي الناس شفاهة عن طريـــق الأحبـــار و رجال الدين – اضف الي هذا إختلاف الباحثين و العلماء أنفسهم حول اللغة الـــتى كان يتحدث بها اليهود قبل مجيئهم الى ارض كنغان ، فبينما ذكـــر الـــبعض الهـــم يتحدثون الارامية (وهنا نذكر ان يعقوب علية السلام قد تزوج ابنتى خاله "لابـــان" الارامى كما يقولون هم " نجد فريقا اخر يقول الهم كانوا يتحدثون الاكادية بـــدليل ان رسائل تل العمارية ، وقد ابينت أن اللغة الادبية فى كنعان كانت الاشـــورية وأن الخط السائد فيها كان الخط المسمارى .(أنظر كتاب) .

Adolphe lods : Isreal formits beging to the middle of the Eighth Century London 1932.

ثم يختتم مؤلفنا هذا البحث ص١٧ بالقول :

وهكذا تتعدد الاراء وتختلف حول تاريخ نشأة اللغة العبرية ، فمن قائل أنها كان لغة الانسان الاولى منذ البداية ، ومن قائل بعكس ذلك ، بينما نجد ما يصرح أنهـــا لغـــة متطورة عن اللغة العربية كما اعلن ذلك اللغوى اليهودى الاندلسى "دوناش بن تميم" حوالى القرن العاشر الميلادى وذلك فى تتبعة للعلاقة بين كل من العبرية والعربيـــة إلا انه بعد أن اتضحت الاكتشافات العلمية ووضحت معها العلاقة بين اللغات السامية

بصفة عامة ، وازدادت معرفة الباحثين بهذه اللغات ،بطلت كثير من تلك النظريات كنظرية "لوتساتو" التى تقول بان العبرية متطورة عن الارامية وكذلك النظرية القائلة بأنها تطورت عن العربية واصبح من المتعارف علية الان أنه لا يمكن الجزم بتطور لغة من اللغات السامية عن الاخرى ، وانه كانت هناك لغة سامية أولى (أم) تفرعت بمرور الوقت ، وتشعبت لهجاتها الى أن اصبحت تلك اللهجات لغات طبقا لقوانين اللغة ، ولا يمكن تحديد هذه اللغة – كما يقول المؤلف .

(أما نحن كاتب هذه القراءات فلنا رأى اخر سوف نثبتة أخيرا لان هذا هو مجال بحثنا الان).

ثم يضيف المؤلف : وأن كانت هناك اراء كثيرة تميل الى جعل اللغة العربية هى اقرب اللغات صلة بتلك اللغة السامية الام نظرا لأحتفاظ العربية بكثير من الخصائص السامية الاولى ثم يوضح المؤلف كيف وصلت الينا العبرية :–

١– النقوش ٢– نص العهد القديم

٣– استخدامها فى صلاتهم .

الحروف الابجدية العبرية وكيف تنطق ص١٢٨

الحرف العربى		نطقة بالعبرية
أ		ألف
ب	الاعداد الاحادية	بيت
ج		جميل

الحرف		الاسم
د		دألت
ه		هية
و		فات
ز	الاعداد الاحادية	زاين
ح		حيث
ط		طيت
ى		يود
ك		كف
ل		لان
م		ميم
ن	ترمز الى العشرات	نون
س(سامخ)		سين(سامخ)
ع		عاين
ف		بية
ص		صادى
ق		قوف

ر		ريش
ش	المئات حتى العدد ٤٠٠	شين
س		سين
ت		تاف

ويقول المؤلف أنها تتكون من أثنين وعشرين حرفا لا ترتبط ببعضها وانما يكتب كل حرف على حدة وترتب هذة الحروف ترتيب "أبجد – هوز – حطـي – كلمـن – سعفص – قرشست :

ويذكر بعض الباحثين ان هذا الترتيب قديم إذ نجده فى الابجدية الاجريتية التى ترجع الى حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ولكل حرف من حروف الابجدية العبريـة قيمة عددية إذا كان العبريون يستعلمون الحروف مكان الارقام ثم يقول – وإن كنا لا نجد هذا الاستعمال فى العهد القديم .

أما دكتورة / "ألفت محمد جلال"
وكتابها الأدب العبرى القديم و الوسيط
مطبعة جامعة عين شمس
وتحت عنوانه اللغة العبرية

تقول : تنتمى اللغة العبرية الى مجموعة اللغات التى اتفق العلماء على تسميتها باللغات السامية ، وقد اطلق عليها هذا اللفظ لان معظم الشعوب التى تتحدث أو كانت تتكلم هذه اللغات من نسل سام بن نوح كما ورد فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين والتقسيم الجغرافى الشائع للغات السامية يجعلها قسمين كبيرين .

١- القسم الشرقى : ويشمل اللغتين الاشورية والبابلية.

٢- القسم الغربى : ويشمل

(أ) المجموعة الشمالية

(ب) المجموعة الجنوبية

أ - فمن اهم لغات المجموعة الشمالية : الكنعانية والعبرية والارامية .

ب- أما المجموعة الجنوبية : فأشهر لغاتها العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية .

ت- هذا وتتميز اللغات السامية عامة بخصائص وصفات مشتركة مما يسهل علينا مقارنة بعضها بالاخر ، فهى تتشابة كثيرا فى اشتقاقاتها ومعانى ألفاظها وتشترك فى

جذور الافعال وفى كثير من اسس النحو والصرف واللغة العبرية يحتفظ تاريخها الادبى الى اكثر من ٣٠٠٠ عام ، ويمكن أن نقسمها الى اربعة عصور أو مراحل تبعا للاطوار التى مرت بها وأثرت فيها وهى :

١- عصر العهد القديم
٢- العصر الارامى
٣- العصور الوسطى
٤- العصر الحديث

أولا : تقول المؤلفة : كانت اللغة العبرية قبل تدوين العهد القديم تتمثل فى بعض النقوش على الاحجار والنقود ، والعهد القديم عند تدوينة لاول مرة كانت لغته مثل لغة النقوش فى صورة احرف خالية من الحركات طويلها وقصيرها .

والعهد القديم لم يدون دفعة واحدة بل دون على فترات وفى عصور متعاقبة ، ومعظم أسفاره دونت فى الطور الذى نتحدث عنة وترجع بداية تدوينة الى اواخر القرن التاسع قبل الميلاد ، وينقسم الى ثلاثة اقسام :

أ- التوراة : وهى التكوين ، الخروج ، اللاويون ، العدد ، التثنية .

ب- الانبياء : وينقسم الى قسمين : اسفار الانبياء المتقدمين وهى : يشوع ، القضاة ، سفر صموائيل ، سفرا الملوك .

ثم اسفار الأنبياء المتأخرين : و هى أشعيا ، أرميا ، حذقيال و الأنبياء الأثنى عشر الصغار .

ج- المكتوبات و اسفاره و هى : المزامير ، الأمثال ، ايوب نشيد الأنشاد الجامعة، راعوث ، المراثى استير ، دانيال ، عزرا ، و نحميا ، و سفرا الاحبار و يعد تدوين

العهد القديم بداية العصر الذهبى الذى ازدهرت فيه اللغة و الأداب العبرية القديمة ، و قد كان الشائع بين فريق من العلماء ان موسى عليه السلام هو الذى الف التـــوراة بأسفارها الخمسة ، و لكن البحوث العلمية الحديثة برهنت على خطأ هذا الـــرأى و اصبح من المحقق انه لم يؤلف هذه الأسفار و لم يدونها و انما دونها بعـــده عـــددا مـــن الكتاب و كان تدوينها فى عصور مختلفة .

و يمتاز هذا العصر بأنه عصر الشعر و قوة الخيال ، وكان ذلك واضـــحا فى اســـفار الانبياء الذين يعدون من شعراء بنى إسرائيل ، وقد انتهى هذا العصر بنفى اليهود الى بابل على يد " نبوخذ نصر" عام ٥٨٦ ق. م .

ثانيا : العصر الارامى : مر هذا العصر بمرحلتين : المرحلـــة الاولى تبـــدأ مـــن عـــام ٥٨٦ ق . م أى عام السبي البابلى ، وقد امتازت اللغة العبرية فى هذا العصر باقترابها من أختها الارامية ، فاللغة الارامية كانت فى ذلك الوقت ذات نفوذ كبير ، اذا انهـــا كانت اللغة الرسمية السائدة إئنذاك ، وقد قوى نفوذ الارامية ، فى ذلك العصر حـــتى صارت لغة الجدل والبحث فى الشريعة الموسوية و تفســـيرها ، وذلـــك لان عامـــة الاسرائيلين قد نسوا لغتهم العبرية ، لذا اصبح من الضرورى أن يدون علماء اليهـــود ترجمات للتوراة باللغة الارامية ، وقد تم ذلك رغم ان علماء اليهود كانوا يكرهـــون الارامية ويحثون ابناء جنسهم على تركها ، فقد وردت فى التلمود استعملوا العبرية أو اليونانية واحذروا استعمال الرطانة الارامية ، وورد ايضا : لا ينبغى مطلقا أن يحادث الانسان اخاه بلغة ارام غير ان استبدال الارمية بالعبرية لم يكن الا باتـــدريج ،فـــان

ماكتب فى هذا العصر بالارامية كسفر دانيال مثلا يدل على ان العبرية كانت مفهومة لدى الخاصة فحسب بل لدى كثير من عامة الشعب الاسرائيلى ؟؟!!!؟؟

ولم ينقطع دابر اللغة العبرية بعد ما بطل التكلم بها وبعد ما فقدت حياتها السياسية بل انهابقيت لغة الدين والفلسفة والتخاطب بين الاحبار والربانين . وكانت لغة اليهود الارامية فى ذلك الوقت تحتوى على الكثير من الالفاظ والتراكيب العبرية ومن بين الاسفار التى صبغت بالصيغة الارامية أسفار دانيال ونحميا ولم تصل هذه الاسفار فى لغتها واسلوبها الى مستوى اسفار العهد السابق من حيث دقة التعبير ومتانة الاسلوب ووضوح التركيب .

ثم تقول المؤلفة : اما المرحلة الثانية فى هذا العصر فتبدأ بعد ختام اسفار العهد القديم، وتخريب بيت المقدس وحرق الهيكل علم ٧٠م . فهذه الحوادث أثرت فى تاريخ اليهود الدينى واللغوى وجعلتهم يتجهون إتجاها مختلفا ، فانصرف كثير من الكتاب ورجال الدين الى البحث فى الكتب الدينية وحاولوا دراسة الشريعة اليهودية دراسة وافية ، فكان منها شروح وتفاسير لنصوص قانونية تسمى الهلاكة (بمعنى طريق ، سبيل ، من ذهب وسار) ومنها شروح لنصوص تاريخية واخلافية وتسمى بالاجادة . وكانت الغاية من هذه الدراسة تحقيق معانى العهد القديم وأستنباط القوانين ، وقد كثرت الشروح و التفاسيرودونت فى صورة كتاب سمى باسم " المشنا " و تجمع حول دراسة المشنا كثير من الحقائق العلمية و الحوادث اتاريخية و التفاسير و دونت في صورة كتاب سمي بأسم " الجمارا " ثم ضمت "المشنا"

إلى "الجمارا ونتج من ضمهما كتاب عرف باسم "التلمود" وكانت بداية تدوينـــة فى اواخر القرن الثالث الميلادى وانتهى تدوين التلموذ حوالى عام ٥٠٠ م .

ثالثا : وتبدا هذة الفترة من عام ٥٠٠ م . وشهدت تشتت اليهود فى أنحاء العالم ، فقد غادر كثير من اليهود وطنهم إلى مختلف البلاد وكان كثير من علمائهم يكتبون بلغــه البلاد التى حلوا بها . (على اى شيىء كانوا يكتبون وهل كان الورق قد ظهر فى هذا الوقت ؟؟!! (هذا سؤال الكاتب او قارى هذا الكتاب ؟

ودونوا فى هذه الفتره كثيرا من المؤلفات ولكن لغه هذه الكتب كانت لغه تقليديــه (اى غير عبريه) ، فمنهم من قلد العرب فى كتاباهم ومنهم من قلد غيرهــم ، وكـــان اليهود يكتبون احيانا اللغات غير العبريه بحروف عبريه ، وكان البعض يكتب باللغــه العبريه ناسجين على المنوال القديم فكانوا يحاكون احيانا لغه العهد القديم واحيانا لغــة "المشنا" والمعيار فى ذلك مهارة الكاتب ومقدرتة الادبية.

وعلى الرغم من تشتت اليهود فى انحاء متعددة إلا الهم حافظوا على لغتـــهم العبريـــة فكانو ا يرتلوها فى معابدهم وفى كثير من ستنهم وعبادقم الدينية.

رابعا : العصر الحديث :-

ظهرت فى القرن الثانى عشر الميلادى حركة فى اوربا تسمى "هسكلاه " أى التثقيف والتنوير ، هدفها الاستفادة من علوم و اداب الشعوب التى نزلت بها اليهود ، وتطوير اللغة العبرية بحيث تعبر عن العلوم والاداب الحديثة ، وقد رأوا أنه من الواجب عليهم احياء اللغة العبرية والتراث العبرى القديم ، فاخذت اللغة تستعيد مجدها السابق (كما يقول المؤلف) تدريجيا حتى صارت لغة الشعر والنثر والتاليف الادبى ، وإقتبس اليهود

كثير من المفردات و المصطلحات من اللغات الاوربية الحديثة وادخلوها فى لغتهم مما ادى الى نموها وزيادة مفرداها حتى تستطيع ان تساير العصر الحديث (مهم جدا للرد على الها لغة مقدسة). وبذلك وجدنا ان اللغة العبرية قدتاثرت بجملة عوامل ، وعدة مؤثرات ، واهم هذه العوامل احتكاك العبريين بالامم الاخرى مما اثر فى لغتهم و ادهم.

احتكاك العبريين بالأمم المجاورة

كان لاحتكاك العبريين بالشعوب المجاورة لهم اثره الظاهر فى عقليتهم و اداهم ، فالعبريون او بنى اسرائيل كانوا فى الاصل من الامم البدوية التى لا تستقر فى مكان ،فقد نزحوا من الجزيرة العربية وتنقلوا فى اماكن متعددة من بينها مابين بلاد النهريين ومصر (هذا يعد شبخوخة سيدنا يعقوب او اسرائيل كما سمى)..

ثم تقول الاستاذة المؤلفة :وبلاد مابين النهريين كان يسكنها منذ قديم الزمان امة تسمى " شومر" او "سومير" فى فترة تاريخية تحدد على وجة التقريب بحوالى ٢٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ق.م.

ففى هذة البلاد انبثقت حضارة بالغة الرقى ، فقد نبغ السومريون فى كثير من النظم الادارية و التشريعية و الدينية ، كما سجل التاريخ لهم الهم اول من برع فى تدوين

سجلاقم التى تحتوى على كثير من اوجه النشاطات وقدموها فى كتاباقم التى اظهرت البساطة والدقة فى استعمال الادوات البدائية فالسومريون استخدموا الطين الرطــب اللين وكتبوا عليه بما يشبه المسمار عندنا وعرفت هذه الكتابة بالمسمارية .

(ولنا هنا سؤال هل يعقل بان تكون هذه الكتابة توضح كل ما ســبق ذكــره عــن حضارة بالغة الرقى ؟؟!!)

ثم تضيف : ولقد كان للحضارة السومرية دور بارز الاثر على مختلف الشعوب حــتى بعد زوال نفوذ السومريين انفسهم بازمان طويلة ، فهذه الحضارة اثرت فى الشــعوب السامية ، اى فى اهل بابل واشور الذين غزوا هذه المنطقة حوالى الالف الثالث قبــل الميلاد ، واستقروا فيها وخالطوا اهل البلاد وتمركزوا فيها (اى فى العراق) ، وعندئذ تعلموا اصول هذه الحضارة ومتطلباقما فبدأت حركة ترمى الى نقل المــأثر الســومرية خاصة ما يتعلق بالنصوص الادبية وممارسة الطقوس وسرد الملاحم واشــهر القصــص الدينية – وهناك كثير من الفنون والاداب وتركز لنا نماذج كثيرة من القصص الدينية وهناك كثير من النصوص تثبت احتكاك العبريين بأقوام بلاد ما بين النهرين، فالعهــد القديم يذكر اسماء بعض المدن التي لعبت دورا هاما فى التاريخ السومرى منها " أور" موطن إبرهيم الخليل فقد جاء في الإصحاح الحادى عشر من سفر التكــوين " أخــذ تارح ابرام ابنه و لوط" ابن هاران(ابن ابنه) و ساراى كنته أي امرآة ابــرام ابنــه، فخرجوا معا من أور الكلدانيين الى أرض كنعان (سفر التكوين ١١، ٣١) و هنــاك بعض النصوص تصور ما كانت عليه المدن السومارية القديمة و طريقة البناء التقليديــة

لديهم فقد جاء و حدث فى ارتحالهم شرقا الهم وجدوا بقعة فى ارض شنعار و سكنوا هناك و قال بعضهم لبعض: هلم نضع لبنا نشويه شيا و كان لهم اللبن مكان الحجر و كان لهم الحمر و كان الطين : (تكوين ١١/٢-٣) ثم تقول : و تخبرنا التوراة ان ملك أشور أستولى على مدينة السامره و سبى اسرائيل الي أشور (سفر الملوك الثانى ١٩/٣٥ - ٣٦) . و يقص علينا سفر الملوك ان سنحاريب عندما حاول الإستيلاء علي أورشاليم صان الرب المدينة و حماها، و دمر جيش الغزاه بتدخله الإلهى. و في موضع أخر ذكر العهد القديم ان مملكة يهوذا ثارت علي السيادة البابلية، و لم تعبء بنصائح النبي أرميا ، لذلك أغار " بنوخذ نصر" علي أورشاليم فسقطت و أخذ سكالها أسرى الي فلسطين ، و هذا هو السبى الأول، و بعد بضع سنين تحررت يهوذا مرة أخري فسقطت في يد بابل عام ٥٨٦ ق.م. بعد ان حرق ملكها هيكل سليمان، و سلب خزائن المدينه و نقلها الي بابل و قتل الكثير من السكان و أخذ أربعة الاف و ستمائة اسير(راجع أرميا ٣٩/٢-٥٢،١٠/١-٣٠) ثم تضيف : هذا وقد توصل العلماء الى ان معظم ما ورد فى التوراه من قصص و اساطير و شرائع يرجع الى اصل قديم وجد مثله فى المدونات السومرية و البابلية و الاشورية و غيرها. و العلاقة بين اليهود و مصر ترجع الي عصور سحيقة، ففي عام (١٣٧٠-١٣٥٣) أرتقى عرش مصر امنحتب الرابع، فهجر طيبة و بنى عاصمة جديده اطلق عليها " أخت أتون" و مكالها اليوم يعرف باسم تل العمارنة و قد قام هو و زوجتة (نفرتيتي) بثورة دينية ، و أتخذ من عبادة أتون اله هليوبوليس دينا له و هجر عبادة امون ، و بينما كان منشغلا

بالإصلاحات الدينية بدأت الإمبراطورية تفقد ممتلكاتها فى فلسطين و سوريا الواحـــدة بعد الأخرى.

و لقد أكتشفت مراسلات أمنحوتب، فى تل العمارنه، و قد كانت تلك السجلات فى شكل لوحات فخارية كتب معظمها بالخط الاكادى المســـمارى ، وتـــذكر هـــذه اللوحات الحبيرو ، الذين احدثوا اضطرابا فى فلسطين وسوريا ويرجح ان فى اسمهـــم كثيرا من الشبه باسم العبرانين ، ويعتقد البعض ان العصيان والاضـــطراب اللـــذين احدثهما "الحبيرو يتصلان بصلة وثيقة بالفتوحات التىقام بها العبرانيون فى فلسطين .

ومما لاشك فيه ان الثقافة المصرية اثرت فى الحضارة العبرية ويقول ذلك "برستد" لقـــد اصبح من الواضح الجلى ان التقدم الاجتماعى والخلقى الناضج الذى احرزه البشر فى وادى النيل الذىيعد اقدم من التقدم العبري بثلاثة الاف سنة قد ساهم مساهمة فعلية فى تكوين الادب العبرى : ثم تقول المؤلفة : فى ختام هذا المقال : وعلى ذلـــك فاننـــا سنلاحظ ان النتاج الادبى فى كل من وادى الرافدين وفى مصر القديمة قد اثر تـــاثيرا مباشرا على الثقافة والادب العبرى القديم . ثم تقول الاستاذة الفاضلة : ص ١٩ مـــن كتابها عن قصة : موسي عليه السلام .

"موسي" اسم مصرى معناه طفل ومعناه بالعبرى "منتشل" وفى ذلك تشير فى هـــامش الصفحة بالقول "راجع سفر الخروج ص٢/١٠ حيث جاء ان ابنة فرعون التى انقذت الطفل من مياه النيل اعطته هذا الاسم وقالت "انى انتشلته من الماء" (وهل كانت ابنة فرعون مصر تعرف العبرية وتتحدث بها!!!) تعليق!!!.

ولد موسى فى الوقت الذى كان فيه فرعون قد شدد الامر بقتل صـــبيان العـــبرانين، وكان موسى اصغر اولاد ابيه فاخفاه والده ثلاثة اشهر ولما لم يمكن اخفاؤه، وضـــعته امه فى سفط مطلى بالحمر والزفت بين الحلفاء على حافة النهر ، ثم وقفت مريم اختـــه من بعيد تنظر ما عسى ان يكون ، فلما نزلت ابنة فرعون لتغتسل فى النهر رأت الولد فى السفط ، ورق له قلبها ، فاخذته وربته على يد معلمين فى جميع فنون مصر العلمية والدينية، ثم اصبح بعد ذلك قائد شعبه ونبيه ، وداعيا بنى اسرائيل لعبادة الله.

ومن ص ١٩ : وهناك اسطورة بابلية مكتوبة بالخط المسمارى عثر عليها فى جنـــوب العراق منقولة مما رواه سرجون الاول" ملك الاكديين (٢٣٨١ - ٢٣١٦ ق . م .) عن نفسه ، جاء فيها ان امه كانت وضيعه ولا يعرف اباه ، فحملت به ووضعته ســـرا ، وخباته فى صندوق من البردى ، واحكمت بابه بالقار والقته فى نهر الفـــرات فعثـــر عليه " اكى" الفلاح ورباه ليكون ابنـــه ثم صـــار ســـرجون اللقـــيط " بســـتانيا ثم ساقيا ثم ملكا .

ثم ذكرت قصة ايوب : وتقول ان الغرض الرئيسى الذى تظهره هـــذه القصـــة هـــو ضحض النظرية التى تقول ان الالم علامة على غضب الله وعدم رضاه ، وانـــه لا بـــد صادر كنتيجة لخطيئة أرتكبها من يقاسى هذا الالم .

ثم تنهى الكاتبة كتابها: بالخاتمةص ١٨٥ بالقول :

فقد كان اليهود منذ عهد النبى موسى يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين ، وكـــان اتجاههم منصبا على الدراسات الدينية والمعارف المتصلة بها .
ثم تقول : وقد تأثر اليهود فى مدوناتهم بالامم التى أقاموا بينها ففـــى القـــرون الاولى كانت اكثر مدوناتهم مقتبسة من الاداب القديمة ومن النصوص الادبية والدينية منـــذ عهود السومرين والمصريين القدماء وفى فترة السبى البابلى وجدناهم نقلوا الكثير من اداب بلاد ما بين النهرين ومن تراثهم الفكـــرى الادبى ، وفى العصـــريين اليونـــانى والرومانى اقتبسوا وترجموا الكثير من المؤلفات . ومن ذلك يتبين لنا ان اليهـــود منـــذ اقدم العصور لم يكن لهم مساهمة فى تقدم الفكر الادبى فقد اخذوا ولم يسهموا فى تقدم الحضارة فمعظم مدوناتهم كانت مقتبسة من ثقافات واداب الاقوام السابقة علـــيهم و ثم تضيف : ولقد كان لتعدد البيئات التى عاش فيها اليهود فى القرون الوسطى تـــاثيرا على الادب فكان لكل بيئة طبيعتها واسلوبها الخاص بها وانشطتها الثقافية المختلفة مما اثر على الانتاج الفكرى فى تلك الفترة ، وظهرجليا فى البلاد التى اظلـــها الاســـلام حيث كان مثمرا ومتسعا فى حين انه كان قليل الكم فى البلدان الاوروبية ويرجع ذلك الى ان البلاد الاسلامية كانت تعامل اليهود معاملة سمحة تخلـــو مـــن اى تزمـــت او اضطهاد، عندئذ اضطر اليهود جاهدين ان يمالئوا الاسلام واستطاعوا ان يصـــلوا الى اعلى المراكز اما اليهود الذين اقاموا فى الدول الاوربية فقد لاقو الكثير من العنت من هذه الشعوب ، ويرجع ذلك الى الخلق اليهودى حيث كان لهم سلوك يقـــوم علـــى

اساس من السيطرة الاجتماعية والاقتصادية ، فكانوا يقومون دائمـــا بـــدور المـــرابى والتاجر والسمسار وكان الجشع اليهودى معروف فكانوا يجمعون المال والثروة بايـــة وسيلة ، فاقرضوا بالربا الفاحش فى كافة انحاء اوربا حتى تكدس لديهم المال ، هـــذا كله كانت الدول تضيق بهم ذرعا وتعمل على اضطهادهم وابعادهم عن البلاد فقـــد طردهم انجلترا من ارضها فى القرن الثالث عشر، وفرنسا طردهم فى القـــرن الرابـــع عشر ، واسبانيا فى القرن الخامس عشر بعد نهاية حكم العرب ، و ادى ذلـــك الى ان الاقليات تركزت فى بلدان اوربا الشرقية واقام عدد منهم فى بولنده ، على ان حقوق اليهود فى الاقامة كانت مقيدة فى كثير من البلدان .

انتهى الكتاب

(ولنا هنا سؤال : هل كانت العبرية كلغة متواجدة عند ولادة موسى عليه الســـلام حتي ان اسم موسى يدل علي انه منتشل من الماء ام ان هذه ارادة الله يفرضها علـــي بنى اسرائيل حتى تتضح الحقيقة و يطلقون هم نفسهم الأسم الذى اطلقته ابنه فرعون – كما يقولون – و يؤدى الأسم نفس المعنى للحقيقة الـــتى اراد الله ان يـــذكرها و يذكرهم بها ان موسى عليه.السلام منتشل من الماء) .

و من كتاب " تاريخ اليهود القديم بمصر"
تاليف د / عبد المحسن الخشاب – مكتبة مدبولي

يقول المؤلف في ص ١٩ :-

" موسى" هذا الأسم الذي لا يمكن للإنسان ان يتصور ان ابنة فرعون المصرية تختار للطفل الذى وجدته علي حافة اليم أسما عبرانيا ، بل ان هذا الأسم "موسى" بديهيا و طبيعيا كان اسما هيروغليفيا نقل الينا باليونانية و ذكره جميع الكتاب اليهود اليونانين القدامي، و قد كتب فى ذلك الأستاذ " تشيريني" مقالا وافيا تناول فيه اشتقاق اسم موسى ، و هو مبحث هام و مصدر رئيسي لهذا الموضوع كما يقول المؤلف :- فلابد ان تكون السيدة "ابنة فرعون" قد فكرت مليا فى اختيار هذا الأسم فليس من المعتاد ان يجد الإنسان كل يوم طفلا ملقي في الماء و معرضا للهلاك غرقا، بل من المحتمل ان تكون تلك الصدفة النادرة و ملابستها قد أوحت للسيدة باسم يتفق و هذه الذكري الفريدة ، كما اشار " جوزيفوس" الكاتب اليهودى اليونانى فيما سيأتى ذكره، فقد أوضح الظروف التى أحاطت بالطفل و قت ان عثرت عليه بنت فرعون و كانت سببا لتسميته بأسم "موسي" . و على عكس مّا تصوره الأستاذ " مونتيه **Montet**" (٣٣-٣٤-٣٥) من ان السيدة اطلقت اسم " موسى" علي الطفل حيثما اتفق كأول اسم ورد علي خاطرها مع ان ظروف وجود الطفل ملقى فى الماء بهذا الوضع تحتم عليها عكس هذا التفكير المرتجل تماما (لماذا !!!) فمفاجأة هذه الصدفة النادرة

تستدعى حتى منها و افراد حاشيتها التساؤل و التشاور فى اسم يناسب ذلك الحدث ، و لكن " مونتيه" يقول الها اسمته موسى من كلمة (مس) معتقدا ان السيدة لم تقصد ان تقول شيئا اخر غير ما تعنيه عبارتها المشهورة " هذا ما انتشلته من الماء " بعكس ما يظن "جوزيفوس" و كل من اتى بعده من كتاب يهود و مسيحيون من ان هذه العبارة تفسر اسم موسي فحسب رأي " مونتيه" ان السيدة لم تفكر مطلقا في كل ذلك فأن موسي **Messy** أو **Mosso** هو المقطع الثانى من الأسماء المصرية المركبة التى كان يتسمى بها المصريون مثل تحتمس **Thutmes** و رعموزا **Ramosa** فمقطع هذه الأسماء الأول هو اسم لإله يكون المولود قد ولد فى ذكرى ولادته. و لكن هل ممكن حقا معرفة ذكرى مولد اي اله تلك التي صادفت مولد موسى و قد وجدتة السيدة ملقى فى اليم و لم تلده ؟ أن العادة كما افترض الأستاذ "مونتيه" ان يترك اسم الاله فى هذه الأسماء مستترا فى المقطع الأول و لكن ذلك بعيد الإحتمال، اذ ان " مونتيه" قد تناول اسم موسى كمقطع واحد كما ذكر بالعبرية و اعتبره مقطعا واحدا بمعنى "**Mes**" "مس" بمعنى وليدا أو طفل و يظل الأسم بذلك حسب افتراضه مبتورا اذ انه يتسأل: هل نسيت السيدة فى ذكرى أى اله كان مولد موسى ؟! هذا رأى إحتماله بعيد.

فمن الطبيعى أذن ان يكون هذا الحدث باعثا للبحث عن أسم يتلائم معه و مع ملابساته ، و قد كان أقدم من نحى هذا النحو الكاتب اليهودى "فيلو" الذى ولد في (٤٠م) اذ يقول اختارت السيدة اسم موسى لأنها انتشلته من الماء – ثم لأن المصريين يسمون الماء "موى" "**Moy**" و هنا نجد ان الأستاذ " فيلو" يبرز أصل الأسم

"الهيروغليفي" فى المقطع الأول فعـــلا مـــن أســـم موســـى كمـــا لاحـــظ ذلـــك الأستاذ " تشيرنى" .

أما الكاتب اليهودى " جوزيفوس" فيشير أولا الي تلك الظروف التى لابست العثور على موسي ووقوعة فى النهر ثم تسميته بأسمة. ثم يحلل شطرى الأســـم فالمصـــريون يسمون الماء mo أو moy (موى) و هذا هو اشتقاق الشطر الأول كمـــا قـــال ذلك أيضا "فيلو" أما عن الجزء الثانى الذى لم يتعرض لـــه "فيلـــو" و هـــو مقطـــع "ouses" (أوسيس) فيقول "جوزيفوس " أن أوسيس" (هم الذين أنقذوا من الماء) ، وعلى ذلك فقد أطلقوا عليه هذا الأسم بعد أن كونوه من كلا المقطعين.

هذا هو الرأى الذى يتفق و طبيعة الأشياء فعلا لابد و ان هذه المناسبة كانت شاغلا للأميرة و حاشيتها و أثارت إهتمامهم حتى طبقوا شطرى هذا الأسم علـــي الطفـــل الذى يدل دلالة واضحة على طبيعة الموقف.

إلتزم إذن الكتاب اليونانيون(يهودا أو مسيحيون) وعلى رأســـهم "جـــوذ يفـــوس" باشتقاق الاسم من أصل هيروغليفى ولم يشذ عن ذلك أحد حتى المؤرخين المحـــدثين فذكر الماء وارد فى الجزء الاول من الاسم "مو" او " موى" وقد اكدة "جوزيفـــوس" مرة اخرى فى كلامة عن "أبيون""Apion" قائلا : أن اسم "موسى" هذا يدل حقا على انة انقذ من الماء .

فالاسم اذن مصرى ولم يكن مطلقا عبرانيا مبنيا من كلمة واحدة (موسى) العبرية ، بل هو مركب من مقطعين "yeses moy" أى قوى "موى" و "ســـيس" ولـــيس مقنعا كما ذكرنا من قبل أن يرجع بعض المحدثين الاسم موسى العبرانى ذى المقطـــع

الواحد الى " ميس"."Mes " أى وليد الهيلوغريفى ، وقد قامت محاولات حتى قبل حل رموز اللغة الهيلوغريفية كما يذكر " تشرنى" بالرجوع الى اللغة القبطية " فموى "Moy"." أى الماء فى الجزء الاول ثم " أوس" بمعنى ف صحة جيدة أو سليمة للمقطع الثانى ، وهكذا يتطابق المعنى فى اللغتين القبطية والهيروغليفية ، فاكتمل اسم موسى المصرى الصحيح لا العبرانى الذى اخذ مقتضبا من اسم موسى ذى المعنى الواقعى مصداقا لما نزلت بة الكتب السماوية .

وأما القول بان " أو سيس" تعنى حسب الهيروغليفية بمعنى "المكرمون" لأنهم ماتوا غرقا فى النيل واخرجت أجسادهم لتدفن وينعمون بالابدية فهذا الاستعمال أو المعنى كان بداية من الاسرة الثلاثون وما بعدها أى بعد موسى بقرون عدة .

ثم يورد الاستاذ " تشيرنى" أيضا ما ذهب الية الاستاذ المؤرخ " كلمنت الاسكندرى" الذى عاش ٢٠٠م فى تحليله اسم موسى انه يعنى ان "موسى أخذ من الماء الذى كان معرض للموت فية ". وهكذا . كما يقول المؤلف يجمع القدامى من الكتاب اليهوداليونانين والمسيحيين على أصل اسم موسى وصلتة بالماء بمعنى الذى أنقذ من الماء أو انجى كما ورد فى الخروج (٢ : ١٠) . ولما كبر جاءت به الى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمة "موسى" وقالت انى أنتشلتة من الماء ثم يضيف الكاتب ما جاء بالقرأن الكريم من قوله سبحان وتعالى " ولقد مننا عليك مرة اخرى إذا اوحينا الى أمك ما يوحى ، أن اقذفية فى التابوت فاقذفية فى اليم ، فليلقه اليم بالساحل ، يأخذه عدو لى وعدو له:-) ثم يختم كاتبنا ما قالة عن نشاة أسم موسى بما يلى :-

هذة نشأة اسم موسى الطفل كما تؤكدة الكتب السماوية والكتاب اليهود والمسيحيون وقد اجمعت هذه المصادر كلها على انه انقذ من الماء ، وقد كان تبنى بنت فرعون له – والتبنى عرف فى مصر القديمة ماخوذا به قانونا – سببا ان ياخذ موسي بقسط كبير من التعليم والتثقيف كواحد من ابناء الاسرة المالكة . حتى اصبح كغيره "احد الكهنة " وقائما على جزء كبير من مصر السفلى او الارض السفلى كما يسميها المصريون فيما ذكره المؤرخ الجغرافى والفيلسوف الروائى "سترابون" الذى عاش فى القرن الاول الميلادى فى كتابه "الجغرافيا " وكان موسي لا يرضى ولا يوافق على ذلك (اى التجسيد فى العالم الوثنى القديم حيث كان يصور فيه الاله بصور مختلفة) فأتت رسالته محرمة اى تجسيد باى صورة فقال مشيرا الى اليونانيين وما اتوه من خطأ كما فعل الوثنيون الاخرون فشكلوا الاله بصورة آدمى.

وكان يعتقد ويبشر بان الله واحد احد، ان الله هو هذا الذى وحده يحيط بنا جميعا ويحيط بالارض وبالبحر وبطبيعة الكائنات وبما نسميه السماء (الكون) فاى انسان اذن ان يكون له عقل فيجرؤ ان يرسم صورة للاله تشبه اى مخلوق بيننا " كلا يجب ان يقلع الناس جميعا عن عمل اية صورة للاله وان يقيموا رحابا مقدسا منفصلا ومعبدا عظيما يعبدون الاله فيه بدون صورة . فكان المعبد اليهودى الذى اخلى من الاوثان ويعبد فيه الله مجردا من اية صورة او اى تمثيل يوحى فيه للمتقين الصالحين بالعلامات والرموز بالشفاء مما يشكون منه صحيا ويحل مشاكل حياتهم ، ولكن فى هذه الحالة لا يرون فى بنائهم الله – بل وحى ياتيهم من انبيائهم وكهنتهم دون رؤية الله – فهم لا يرون الله الا بادراكهم العقلى .

وهنا نود ان نورد ما جاء من قول الحق سبحانه وتعالى فى شأن خلق موسي بـــالقران الكريم من سورة القصص من الاية ٧ –٨ والتى لم يذكرها كاتبنا الفاضل فى كتابـــه السابق الاشارة اليه وهى كما يلى :

(واوحينا الى ام موسي ان ارضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخـــاف ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عـــدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) ، ومن هذه الايـــة الكريـــة يتضح لنا ان الذى سمى موسي عليه السلام هو الله سبحانه وتعالى منذ ولادته وقبـــل اول رضاعه وقبل ان تلقيه أمه باليم وقبل ان يلتقطه ال فرعون ويقـــول المؤرخـــون اليهود واليونانين أن ابنة فرعون هى التى قامت باطلاق اسمه ، ويكون من المعجز لهم والدليل على قدرة الله وسابق علمه ان يكون اسمه مطابقا لما سوف يحدث لـــه مـــن القاءه باليم والتقاط ال فرعون له . فسبحان الله الخلاق العظيم عالم السر والعلـــن .

لقد سبق ذلك ان الله هو الذى اطلق اسم إبرهيم الخليل على نبى الله وابنيه اسماعيـــل واسحق كما يعترفون هم بذلك فى كتاب عهـــدهم القـــديم ، وكمـــا سنوضـــحه فيما بعد .

واذا كانوا قد نسوا او تناسوا تسمية الله سبحانه وتعالى لكل من ابى الانبياء إبـــرهيم وابنيه اسماعيل واسحق فهل نسوا ايضا انه هو سبحانه الذى سمى اباهم (كما يدعون) باسمه يعقوب عليه السلام وانه هو الذى سماه اسرائيل وسموا هم انفسهم بنى اسرائيل ؟؟هل نسيوا كل ذلك فلماذا العجب اذن من تسمية نبيهم موسي عليه السلام !!

ثم تستمر ايات القران الكريم فى سرد القصة كما يلى : من الاية ٩-١٤ (وقالت امرات فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ، واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كانت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لاخته قصيه ، فبصرت به من جنب وهم لا يشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ،فرددناه إلى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حقا ولكن اكثرهم لا يعلمون ، ولما بلغ اشده واستوى اتينه حكما وعلما وكذالك نجزى المحسنين.) ثم تكمل حتى الاية رقم (٢٨) .

هذا ما جاء فى القران الكريم .

اما ما جاء فى روايه العهد القديم : الاصحاح الثانى من سفر الخروج ما يلى :-

"وذهب رجل من بيت لاوى واخذ بنت لاوى ، فحملت المرأة وولدت ، إبنا ، ولما رأتة انه حسن خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها ان تخبئه بعد، اخذت له سفطا من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفا على حافة النهر ، ووقفت اخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به ، فنزلت ابنة فرعون الي النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرات السفط بين الحلفا ، فارسلت امتها واخذته . ولما فتحته رات الولد واذا هو صبى يبكى . فرقت له وقالت هذا من اولاد العبرانيين . فقالت اخته لابنة فرعون هل اذهب وادعو لك امرأة ترضعه من العبرانيات . فقالت لها ابنة فرعون اذهبى ، فذهبت الفتاة ودعت ام الولد ، فقالت

لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وارضعيه لى وانا اعطيك اجرتك ، فاخــذت المــرأة الولد وارضعته ولما كبر الولد جاء ت به الى ابنة فرعون فصار لها ابنا ، ودعت اسمــه موسى وقالت انى انتشلته من الماء .

وحدث فى تلك الايام لما كبرموسى انه خرج الى اخوته لينظر فرأى رجلا مصــريا يضرب عبرانيا من اخوته ، فالتفت الى هنا وهناك ورأى ان ليس "احد" فقتل المصرى وطمره فى الرمل . ثم خرج فى اليوم الثانى واذا رجلان عبرانيان يتخاصــمان فقــال للمذنب لماذا تضرب صاحبك ، فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا. اتفكر انــت بقتلى كما قتلت المصرى . فخاف موسى وقال حقا قد عرف الامر فسمع فرعــون هذا الامر فطلب ان يقتل موسى . فهرب موسى من وجه فرعــون ولكــن فى ارض مديان و جلس عند البئر. ثم تكمل القصة من العهد القديم . واخيرا يقول فى العهــد القديم : فسمع الله انينهم ، فتذكر الله ميثاقه مع إبرهيم واسحق ويعقوب ونظــر الله بنى اسرائيل وعلم الله .(اخر الاصحاح الثانى من سفر الخروج) .

ومن انجيل اعمال الرسل

الاصحاح السابع ص٢٠٠ – ٢٠١

يبدأ بالقول هكذا :

وفى ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلا جدا ، فربى هذا ثلاثة اشهر فى بيت ابيه ، ولما نبذ اتخذته ابنة فرعون وربته لنفسها ابنا ، فتهذب موسى بكل حكمت المصريين وكان مقتدرا فى الاقوال والاعمال ، ولما كملت له مدة اربعين سنة خطر على باله ان

(يتفقد) اخوته من بنى اسرائيل ، واذا رأى واحدا مظلوما حـــامى عنـــه وانصـــف المغلوب اذ قتل المصرى ، فظن ان اخوته يفهمون ان الله على يده يعطيهم نجاة ، واما هم فلم يفهموا . وفى اليوم الثانى ظهر لهم وهم يتخاصمون فساقهم الى السلامة قائلا ايها الرجال انتم اخوة ، لماذا تظلمون بعضكم بعضا ، فالذى كان يظلم قريبه دفعـــه قائلا : من اقامك رئيسا وقاضيا علينا . اتريد ان تقتلنى كما قتلت امس المصـــرى ، فهرب موسى بسبب هذه الكلمة ، وصار غريبا فى ارض مديان حيث ولد ابـــنين ولما كملت اربعون سنة ظهر له ملاك الرب في برية جبل سيناء فى لهيب نار عليقـــة . فلما رأى موسى ذلك تعجب من المنظر ، وفيما هو يتقدم ليتطلع صار إليه صـــوت الرب . انا اله ابائك اله إبرهيم واله اسحق واله يعقوب : فارتعد موسى ولم يجسر ان يتطلع . فقال له الرب : اخلع نعليك لان الموضع الذى انـــت واقـــف عليـــه ارض مقدسة . انى قد رايت مشقة شعبى الذى فى مصر وسمعت انينهم ونزلت لانقـــذهم . فهلم الان ارسلك الى مصر .

ولا تعليق على الثلاث روايات كما ترى !!!
اليست هذه القصة (قصة موسى عليه السلام) بالعهد القديم والجديد تدل علي انهم لم يدونا الا بعد نزول القران الكريم؟؟!!!

الاقتباس من اللغات الاخرى
والذى أطلق عليه المؤلف عبدالوارث مبروك سعيد
(تحت عنوان النهب اللغوى)
من كتاب "اللسان العربى "

يقول المؤلف : هذا نص من التلمود الذى يقدسه اليهود اكثر من التوراة والذى يحوى الكثير من تلك المعتقدات والمبادىء الجافية لكل عقل ودين ، واليك مثالا وشاهدا من ميدان لا يخطر على البال ان يطبقوا فيه تلك المبادىء: " اليعازر بن يهوذا (١٨٥٨ – ١٩٢٢ م) لا أظن جمهور العرب المسلمين سمع به ، اللهم الا قلة ضئيلة من بين المشتغلين بالدراسات اللغوية القى (بن يهوذا) امام مجلس اللغة العبرية (ص٢١٩) محاضرة عنوانها " سد النقص فى لغتنا " حاول خلالها اغراء اعضاء اللجنة بتبنى وجهة نظره ، فقال :–

" لقد اكتشفت جذورا عبرية ، عشرات ومئات ، لن اخفى المكان الذى وجدت فيه هذه الكنوز الحق انى اكتشفتها فى المعاجم العربية ، وكل واحد يعلم مدى غنى المعجم العربي ... كل الكلمات الموجودة فى المعاجم العربية ليست عربية خالصة (هكذا قال) ، بل سامية ، وهى على كل حال عبرية ايضا .. انها ملكنا ، لقد فقدناها ، وها قد عثرنا عليها ، ربما اصاب بعضها تغير فى الشكل ، لكن حين نحورها قليلا ونعطيها شكلا عبريا ، سيتعرف عليها كل من يراها انها البذور التى باركها الله ، اقترح على مجلس اللغة العبرية ، ان يصدر بيانا يعلن فيه ان كل من الاصول

الموجودة فى العربية باستثناء ما ليس ساميا ، هى عبرية ايضا ، وعلى المجلس ان يجتهد ليجمع من المعاجم العربية كل الاصول التى توجد فى لغتنا الان .....) من

(A. Shiuteil the Contribution of the Arabic language)
to the revival of Hebrew . (J. of semitic Studies, I 1985 P.P. 97. 98)

أليس هذا دليلا على ان العبرية أصلها العربية مصدر اللغات السامية جميعها.؟!!

و الآن ما هوموقف الكتب السماوية من اللغة العربية

من القرأن الكريم: من أول سورة آل عمران: بسم الله الرحمن الـــرحيم { آلم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه و انزل التوراة و الانجيل }

و من الأية ٣٣ من نفس السورة (آل عمران) قولة سبحانه و تعالى :

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

فالله سبحانة و تعالى هو الذى اطلق أسم أدم على أول خلقه من بنى البشـــر و قـــد اتفقت جميع الكتب الساموية مـــن تـــوراة و انجيـــل و قـــرآن علـــى ذلـــك و لم تختلف فيه اطلاقا.

اما فيما يخص إبرهيم عليه السلام – أبو الأنبياء : فقد جاء فى سورة الأنبياء من أول الأية رقم ٥١ و حتى الأية ٧٣ :

بسم الله الرحمن الرحيم :

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ
عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

أما التوراة من كتاب العهد القديم :

فتقول :- وذلك بالاصحاح السابع عشر :-

"ولما كان إبرام (لاحظ الاسم هنا) ابن تسعة وتسعين سنة (ولاحظ السن) ظهر الرب لابرام وقال له : انا الله القدير . سر امامى وكن كاملا : فاجعل عهدى بينى وبينك واكثرك كثير جدا ، فخر ابرام ساجدا – وتكلم الله معه قائلا : اما انا فهو ذا

عهدى معك وتكون ابا لجمهور من الامم ، فلا يدعى اسمك بعد اليوم إبـــرام بـــل يكون اسمك إبرهيم ، لانى اجعلك ابا لجمهور من الامم واثمرك كثير اجدا واجعلـــك امما ، ومنك ملوك يخرجون ، واقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك مـــن بعـــدك فى اجيالهم عهدا أبديا لاكون الها لك ولنسلك من بعدك . ثم يقول كتاب العهد القديم : وقال الله لإبرهيم : ساراى امراتك لا تدعوا اسمها ساراى بل سمها " سارة " واباركها واعطيك ايضا منها ابنا .. فخر إبرهيم ساجدا وضحك وقال فى قلبة : هل يولد لابن مائة سنة ، وهل تلد سارة وهى بنت تسعين ؟؟!! وقال إبرهيم لله : ليـــت اسماعيـــل يعيش امامك ، فقال الله : بل سارة امراتك تلد لك ابنا وتدعوا اسمه " اسحق".

اما فيما يختص باسماعيل عليه السلام فيقول الاصحاح السادس عشر : أن ســـاراى قبل تغير اسمها فى الاصحاح السابع عشر . كما سبق – فأنها لما لم تلد دفعت جاريتها المصرية " هاجر" الى ابرام – قبل تغير الاسم الى إبرهيم – وقالت له هو ذا الرب قد امسكنى عن الولادة ...فادخل الى جاريتى لعل ارزق منها بنين فلما رات هاجر انهـــا حبلت " صغرت مولاتها فى عينيها ، فقالت ساراى لابرام : ظلمى عليك ! دفعـــت جاريتى الى حضنك فلما رات انها حبلت صغرت فى عينيها . يقضى الرب بينى وبينك –:

فقال ابرام لساراى : هو ذا جاريتك فىيدك ، افعلى فيها ما يحسن فى عينيك ، فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها .

فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية . ثم قال لها ملاك الـــرب : ارجعـــى الى مولاتك ، واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثـــر نســـلك فـــلا

يحصى ، وقال لها ملاك الرب : ها انت حبلى وتلدين ابنا وتدعينة " اسماعيـــل" لان الرب قد سمع لضراعتك ، وكان ابـــرام ابـــن ســـت وثمـــانين ســـنة لمـــا ولـــدت هاجر اسماعيل .

وقول الرب لإبرهيم : واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها انا أباركه وأثمره وأكثره كثير جدا . أثنى عشر رئيسا يلد واجعلة امة كبيرة .

أما بالنسبة للمراجع المسيحية فيقول اساتذنا الكبير الاديب عباس محمود العقـــاد فى كتابة : "إبرهيم أبو الانبياء" ان المصادر المسيحية المتفق عليها بين الكنـــائس هـــى الاناجيل الاربعة وما يلحق بها من اقـــوال الرســـل والحـــواريين وهـــى المعروفـــة بالعهد الجديد.

فهى لم تزد شيئا على سيرة الخليل إبرهيم كما جاءت فى سفر التكوين وبعض كتب العهد القديم ، ولكنها جاءت بتطور هام فى دعوتة كما تلقاهـــا اليهـــود فى عصـــر الميلاد ، ويبدو هذا التطور الهام فى مسائل ثلاث من كبريات المسائل الدينية وهـــى : مسألة الحياة بعد الموت ٢ مسألة الوعد الالهى للشعب المختار وعلاقتة بالقوميـــة او الانسانية ٣ ومسألة الشعائر وعلاقتها بالروحيات والجسديات .

فكما يقول الاستاذ عباس العقاد فى كتابة : فى عصر الميلاد كانت طائفة كبيرة مـــن اليهود وهى طائفة الصدوقيين تنكر القيامة بعد الموت ولاترى فى الكتـــب الخمســـة دليلا واضحا عليها . وكانت الطوائف الاخرى تؤمن بالثواب والعقاب على الجملة ولكنها تتوسع فى وصفهما ولاترجع فى هذا الوصف الى سند متفق عليه وكـــانوا اذا وصفوا سوء المصير عبروا عنه بالذهاب الى الهاوية (شيول) وأذا وصفوا الرضـــوان

قالوا عن الميت إنه انضم الى قومه أو اجتمع بقومة ، وفي اذهانهم صورة غامضه عن وجود هؤلاء القوم فى عالم الحياه الدنيا وانتشرت بين أهل فلسطين من اليهود وغيرهم عقائد المصرين فى اليوم الاخر . لانهم كانوا يترددون على الاسكندريه كما كان اهل الاسكندريه يترددون عليهم ولم تكن فى العالم معاهد للثقافه ، و البحث أكبر من معاهدها غير مستثنى من ذلك رومة ولا أثينا ولا المدن الشرقية التى كان لها قبل ذلك شأن مذكور فى العلم والفن والحكمة . وانتشرت بينهم كذلك عقائد الفلاسفة اليونانين فى خلود الروح والتميز بينها وبين الاجساد والتى يعرض لها الفناء .

فلما ظهرت الدعوة المسيحية جاءت بوصف للعالم الأخر لم يكن معهودا في كتب اليهود ، و لكنه وصف لا سبيل لهم الي الأعتراض عليه لأنه قائم علي قاعدة من دعوة إبرهيم. ففى مسالة الحياه بعد الموت ضرب لهم السيد المسيح مثل إبرهيم و العاذر و الرجل الغني في العالم الأخر فقال:

كان انسان غني يلبس الأروجوان و البز ، و ينعم كل يوم في رفاهة، و كان عند بابة رجل مسكين مطروح مضروب بالقرح و يشتهى ان يشبع من الفتات الساقط من مائدته ، بل كانت الكلاب تأتي و تلحس قروحة ، فمات المسكين و حملته الملائكة الي حضن إبرهيم. و مات الغني و دفن فرفع عينيه في الهاوية و هو يتعذب و رأي إبرهيم من بعيد و "العاذر" فى حضنه ، فنادى و قال : يا إبرهيم ارحمنى ، و أرسل " العاذر" ليبل طرف اصبعة بماء و يبرد لساني لانى معذب في هذا اللهب.

فقال إبرهيم : با ابنى اذكر انه استوفيت خيراتك في حياتك و اســتوفي " العــاذر" بلاياه ، و الان هو يتعزى و انت تتعذب.

و فوق هذا بيننا و بينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتي ان الذين يريدون العبور مــن هاهنا اليكم لا يقدرون ، و لا الذين من هناك يجتازون الينا ، فقــال: اســألك اذن ياابت ان ترسله الي بيت ابي، لان لي خمسة اخوة يشهد لهم لكيلا يأتواهم أيضــا الي موضع العذاب هذا.

قال له إبرهيم : عندهم موسي و الأنبياء ليسمعوا منهم ، فقال لا يا ابي إبرهيم بــل اذا مضي اليهم واحد من الأموات يتوبون فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى و الأنبياء فمن قام لهم من الأموات فما هم بمصدقيه.

أما قصة إبرهيم و يوسف و موسى عليهم السلام

من انجيل أعمال الرسل – الإصحاح السابع ص٨

فقال رئيس الكهنة، تري هذه الأمور هكذا هي ، و قال أيها الرجـــال و الأخـــوة و الآباء ، اسمعوا ظهر إله المجد لأبينا إبرهيم و هو في ما بين النهرين قبلمـــا ســـكن في حاران، و قال له أخرج من أرضك و من عشيرتك و هلم الي الأرض التي أريـــك و خرج حينئذ من أرض الكلدانيين و سكن في حاران و من هناك نقله بعد ما مات ابوه في هذه الأرض التي أنتم ساكنون فيها ، و لم يعطيه فيها ميراثا و لا وطأة قـــدم ، و لكن وعد ان يعطيها ملكا له ولنسله من بعده ، ولم يكن له بعد ولـــد وتكلـــم الله هكذا ان يكون متغربا فى ارض غريبة ، فيستعبدوه و يسيئوا اليه اربع مائـــة ســـنة ، والامة التى تستعبدون لها سأُدينها انا يقول الله . وبعد ذلك يخرجون ويعبـــدوننى فى هذا المكان . واعطاه عهد الختان . وهكذا ولد اسحاق وختنه فى اليـــوم الثـــامن ، واسحاق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد رؤساء الاباء الاثنى عشر ، و رؤســـاء الابـــاء حسدوا يوسف وباعوه الى مصر وكان الله معه ، و انقذه من جميع ضيقاتة واعطـــاه نعمة وحكمة امام فرعون ملك مصر فاقامه مدبرا على مصر وعلى كل بيتة ، ثم اتى جوع على كل ارض مصر وكنعان وضيق عظيم ، فكان ابائنا لا يجدون قوتا ، ولمـــا سمع يعقوب ان فى مصر قمحا ارسل ابائنا اول مرة وفى المرة الثانية ، اسعترف يوسف

الى اخوتة واستعان عشيرة يوسف الى فرعون ، فارسل يوسف واستدعى اباه يعقوب وجميع عشيرتة خمسة وسبعون نفسا ، فنزل يعقوب الى مصر و مات هـو و اباؤنـا ونقلوا الى شكيم ووضعوا فى القبر الذى اشتراه إبرهيم بثمن فضة من بنى عمـور ابى شكيم . وكما كان يقرب وقت الوعد الذى اقسم الله علية لإبـرهيم كـان ينمـو الشعب ويكثر فى مصر الى ان قام ملك اخر لم يكنْ يعرف يوسف ، فاحتال هذا على جنسنا واساء الى ابائنا حتى جعلوا اطفالهم منبوذين لكى لا يعيشوا .

وفى ذلك الوقت ولد موسى وكان جميل جدا ، فربى هذا ثلاث اشهر فى بيت ابيـه ، ولما نبذ اتخذتة ابنة فرعون وربتة لنفسها ابنا .

فتهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا فى الاقوال والاعمال . ولما اكملت له مدة اربعون سنة خطر على باله ان يتفقد اخوتة بنى اسـرائيل ، واذا راى واحـد مظلوما حامى عنه ، وانصف المغلوب اذ قتل المصرى ، فظن ان اخوته يفهمـون ان الله على يديه يعطيهم نجاة ، اما هم فلم يفهموا .

وفى اليوم الثانى ظهر لهم وهم يتحاصمون فساقهم الى السلامة قائلا ايها الرجال انتم اخوة لما تظلمون بعضكم بعضا . فالذى كان يظلم قريبة دفعة قائلا : مـن اقامـك رئيسا وقاضى علينا ، اتريد ان تقتلنى كما قتلت امس المصـرى ، فهـرب موسـى بسبب هذه الكلمة وسار غريبا فى ارض مديان حيث ولد ابنين .

ولما كملت اربعون سنة ظهر له ملاك الرب فى بارية جبل سيناء ، فى لهيب نار عريقة ، فلما راى موسى ذلك تعجب من المنظر وفيما هو يتقدم ليتطلع سار اليـه صـوت الرب : انا اله ابائك ، اله ابرهيم واله اسحاق و اله يعقوب ، فابق موسى و لم يجثر

ان يتطلع . فقال له الرب : اخلع نعلك لان الموضع الذى انت واقف علية ارض مقدسة . انى قد رأيت مشقة شعبى الذين فى مصر وسمعت انينهم ونزلت لانقاذهم ، فهلم الان ارسلك الى مصر . هذا هو موسى الذى انكروة قائلين من اقامك رئيسا وقاضى . هذا ارسله الله رئيسا وقاضى بيد الملاك الذى ظهر له فى العليقة . هذا اخرجه صانعا عجائب وايات فى ارض مصر وفى البحر الاحمر وفى البرية اربعون سنة .

هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل : نبى مثلى سيتم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون . هذا هو الذى كان فى الكنيسة فى البرية مع الملاك الذى كان يكلمه فى جبل سيناء و مع ابائنا . الذى قبل اقوالا حية ليعطينا اياها ، الذى لم يشأ اباؤنا ان يكونوا طائعين له ، بل دفعوه ورجعوا بقلوبهم الى مصر قائلين لهارون اعمل لنا الهة تتقدم امامنا ، لان هذا موسى الذى اخرجنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابة ؟ فعملوا عجلا فى تلك الايام و اصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا باعمال ايديهم ، فرجع الله واسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هومكتوب فى كتاب الانبياء .

هل قربتهم لى ذبائح وقرابين اربعين سنة فى البرية يا بيت اسرائيل بل حملتم خيمة " مولوك " و نجم الهكم " رسنان " التماثيل التى صنعتموها لتسجدوا لها فانقلكم الى ما وراء بابل. واما خيمة الشهادة فكانت مع ابائنا فى البرية ، كما امرالذى كلم موسى ان يعملها على المثال الذى كان قد رآه التى ادخلها ايضا ابائنا اذ تخلفوا عليها مع يسوع فى تلك الامم الذين طردهم الله من وجة ابائنا الى ايام

داود الذى وجد نعمة امام الله والتمس ان يجد مسكنا لاله يعقوب . ولكن سليمان بنى له بيت ، لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الايدى كما يقول النبى : السماء كرسى لى و الارض موطىء قدمى ، واى بيت تبنون لى !!! يقول الرب واى مكان هو مكان راحتى .... اليست يدى صنعت هذه الاشياء كلها .

يا قساه الرقاب وغير المختونين بالقلوب و الاذان ، انتم دائما تقاومون الروح القدس كما كان ابائكم كذلك انتم . اى الانبياء ، لم يضطهده ابائكم ، قد قتلوا الذين سبقوا ، فانبؤا بمجئ البار الذى أنتم صرتم مسليميه وقاتليه الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة و لم تحفظوه .

ومن الاصحاح التاسع من سفر الملوك الاول ص٥٤٩

عن سليمان بن داوود

وكان لما اكمل سليمان من بناء (بيت) الرب وبيت الملك وكل مرغوب سليمان الذى سر ان يعمل ، ان الرب تراءى لسليمان ثانية ، كما تراءى له فى جبعون ، وقال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به امامى قدست هذا البيت الذى بنيته لأجلى ، وضع اسمى فيه الى الابد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الايام ، وانت ان سلكت امامى كما سلك داود ابوك بسلامة قلب واستقامة ، وعملت حسب كل ما اوصيتك وحفظت فرائضى واحكامى ، فانى اقيم كرسى

ملكك على اسرائيل الى الابد . كما كلمت اباك داود قائلا لا يعدم لك رجل من كرسى اسرائيل .

ان كنتم تنقلبون انتم وابناؤكم من ورائى ، ولا تحفظون وصاياى وفرائضى التى جعلتها امامكم ، بل تذهبون وتعبدون الهه اخرى وتسجدون لها فانى اقطع اسرائيل عن وجه الارض التى اعطيتهم اياها ، والبيت الذى قدسته لإسمى انفيه من امامى ويكون اسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة ، كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ، ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الارض ولهذا البيت ، فيقولون من اجل انهم تركوا الرب الههم الذى اخرج اباهم من ارض مصر وتمسكوا بالهه اخرى وسجدوا لها وعبدوها ، لذلك جلب عليهم الرب كل هذا الشر .

ومن اصحاح الحادى عشر – من سفر الملوك الاول

واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات ، وعمونيات ، وادوميات وصيدونيات وحيثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء الهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبع مئة من النساء والسيدات وثلاث مئة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساءه املن قلبه وراء الهه اخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه ، كقلب داود ابيه ، فذهب سليمان وراء عشتورث الهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود ابيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة

لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذى تجاه اورشليم ، ولمؤلك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نساءه الغربيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتـــهتن . فغضـــب الرب على سليمان لان قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذى تراءى لـــه مـــرتين ، واوصاه فى هذا الامر ان لا يتبع الهه اخرى . فلم يحفظ ما اوصى به الرب ، فقـــال الرب لسليمان من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى اوصيتك بهـــا فانى امزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك ، إلا انى لا افعل ذلك فى ايامك مـــن اجل داود ابيك ، بل من ابنك أمزقها ، على انى لا امزق منك المملكة كلها ، بـــل اعطى سبطا واحدا لابنك من اجل داود عبدى ولاجل اورشليم التى اخترتها .

قصة المسيح عيسى وقصة زكريا ويوحنا المعمدان كما جــاءت فـــى انجيل لوقا

الاصحاح الاول

يقول : اذا كان كثيرون قد اخذوا بتاليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا ، كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رايت انا ايضا اذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ان اكتب على التوالى اليك ايها العزيز "ثاوفليس " لتعـــرف صحة الكلام الذى علمت به :

كان فى ايام هيرودس ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة "ابيا" وامرأته مـــن بنات هارون واسمها اليصابات . وكان كلاهما بارين امام الله ، سالكين فى جميع وصايا

الرب ، واحكامه بلا لوم ولم يكن لهما ولد اذ كانت اليصابات عاقرا وكانا كلاهما متعبين فى ايامهما.

فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته امام الله حسب عادة الكهنوت ، اصابته القرعة ان يدخل الى هيكل الرب ويبخر . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور . وظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور .

فلما رأه زكريا أضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامراتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرين سيفرحون بولادته ، لانه يكون عظيما امام الرب وخمرا وسكرا لا يشرب . و بطن امه يمتلىء منه الروح القدس ، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الههم ، ويتقدم امامه بروح ايليا وقوته ليرد قلوب الاباء الى الابناء ، والعصاه الى ذكارا ابرارا لكى يهىء للرب شعبا مستعدا ، فقال زكريا للملاك كيف اعلم هذا لانى انا شيخ وامراتى متقدمة فى ايامها فاجاب الملاك وقال انا جبريل الواقف قدام الله ، وارسلت لاكلمك وأبشرك بهذا . وها انت تكون صامتا ولا تقدر ان تتكلم الى اليوم الذى يكون فيه هذا لانك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته ، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من ابطائه فى الهيكل ، فلما خرج لم يستطع ان يكلمهم ففهموا انه قد راى رؤيا فى الهيكل وكان يومىء اليهم وبقى صامتا .

ولما كملت ايام خدمته مضى الى بيته وبعد تلك الايام حملت اليصابات امراته واخفت نفسها خمسة اشهر قائلة هكذا فعل بى الرب فى الايام التى فيها نظر الى ليترع عارى بين الناس .

وفى الشهر السادس ارسل جبريل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها - الرب معك - مباركة انت فى النساء : فلما راته اضطربت من كلامه ونكرت ما عسى ان تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لانك قد وجدت نعمة الله . وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلى ويعطيه الرب الاله كرسى داود ابيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية.

فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا ، فاجاب الملاك ، وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله . وهو ذا اليصابات نسيبتك هى ايضا حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا لانه ليس شىء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم هو ذا . انا امة الرب ، ليكن لى قولك . فمضى من عندها الملاك . فقامت مريم فى تلك الايام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا . ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات ، فلما سمعت اليصابات كلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلات اليصابات من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركه انت فى السماء ، ومباركه هى ثمرة بطنك . فمن اين لى هذا ان تاتى ام ربى الى . فهو ذا حين صار صوت سلامك في أذني فطوبى للتى امنت ان يتم ما قيل لها من قبل الرب . فقالت مريم تعظم نفس الرب وتبتهج روحى بالله مخلصي لانه نظر الى اتضاع امته ، فهو ذا منذ الان جميع الاجيال تطوبنى لان القدير صنع بى عظائم واسمه

قدوس ورحمته الى جيل الاجيال الذى يتقونه . صنع قوة بذراعه ، شتت المستكبرين بفكر قلوبهم ، انزل الاعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين ، اشبع الجياع خيرات ، وصرف الاغنياء فارغين ، عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمته ، كما كلم ابائنا لإبرهيم ونسله الى الان ، فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة اشهر ، ثم رجعت الى بيتها .

واما اليصابات فتم زفافها لتلد فولدت ابنا ، وسمع جيرانها واقرباؤها ان الرب عظم رحمته له ففرحوا معها . وفى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبى وسموه باسم ابيه زكريا فاجابت امه وقالت لا بل يوحنا ، فقالوا لها ليس أحد فى عشيرتك تسمى بهذا الاسم ، ثم او مأوا الى ابيه ماذا يريد ان يسمى ؟؟ فطلب لوحا وكتب قائلا اسمه يوحنا ، فتعجب الجميع وفى الحال انفتح فمه ولسانه وبارك الله، فوقع خوف على كل جيرانهم وتحدث بهذه الامور فى كل جبال اليهودية ، فاودعها جميع السامعين فى قلوبهم قائلين : اترى ماذا يكون هذا الصبى .وكانت يد الرب معه .

وامتلا زكريا ابوه من الروح القدس وتنبأ قائلا : مبارك الرب اله اسرائيل لانه انتقد وصنع فداء لشعبه ، واقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه . كما تكلم بفم انبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر خلاص من اعدائنا ومن ايدى جميع مبغضينا ، ليضع رحمته مع ابائنا ، ويذكر عهده المقدس — القسم الذى حلف لإبرهيم ابينا ، ان يعطينا ، اننا بلا خوف ننقذ من ايدى اعدائنا . نعبده بقداسة وبر ، قدامه جميع ايام حياتنا . وانت ايها الصبى ، فتى العلى تدعى لانك تتقدم امام رحمة الرب لتعد طرقه. لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم باحشاء رحمة الهنا التى بها انتقدنا المشرق من العلا ليضىء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت لكى يهدى اقدامنا فى طريق

السلام . اما الصبى فكان ينمو ويتقوى بـالروح ، وكـان فى الـبرارى الى يـوم ظهوره لاسرائيل .

الاصحاح الثانى من انجيل لوقا

وفى تلك الايام صدر امرمن اوغسطس قيصر بان يكتب كـل المسـكونة ، وهـذا الاكتتاب الاول جرى اذ كان "كيرينيوس" والى سورية ، فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته، فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهوديـة الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مـع مـريم امراته المخطوبة وهى حبلى وبينما هم هناك تمت ايامها لتلد ، فولدت ابنـها البكـر وقمطته واضجعته فى المزود اذ لم يكن لها موضع فى المنزل وكان فى تلـك الكـورة (هكذا كتبت) رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم اذا ملاك الـرب وقف بهم ومجد الرب اضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما فقال لهم الملاك لا تخافوا ، فها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود هو المسيح الرب ، وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمط مضجعا فى مزود . وظهر بغته مع الملاك جمهور من الجند السمواتى مسبحين لله فى الاعالى وعلـى ارض السـلام وبالناس المسرة . ولما مضت عنهم الملائكة الى السماء قال الرجال الرعـاة بعضـهم لبعض لنذهب الان الى بيت لحم وننظر هذا الامر الواقع الذى اعلمنا بـه الـرب . فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا فى المزود . فلما رأوه اخبروا

بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم.

ولما تمت ثمانية ايام ليختنوا الصبى سمى "يسوع " كما تسمى من الملاك قبل ان حبل به فى البطن .

ولما تمت ايام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا بـــه الى اورشـــليم ليقـــدموه الى الرب ، كما هو مكتوب فى ناموس الرب، ان كل ذكر فاتح رحم يـــدعى قدوســا للرب ، ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام او فرخى حمام .

وكان رجل فى اورشليم اسمه "سمعان " وكان هذا الرجل بارا تقيا ينتظر بقرية اسرائيل والروح القدس كان عليه وكان قد اوحى اليه بالروح القدس انه لا يرى الموت قبل ان يرى "مسيح الرب" فاتى بالروح الى الهيكل وعندما دخل بالصبى يســـوع ابـــواه ليصفعا له حسب عادة الناموس اخذه على ذراعيه وبارك الله ، وقـــال الان تطلـــق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام ، الان عينى قد ابصرتا خلاصك الـــذى اعددتـــه قدام وجه جميع الشعوب ، نور اعلان للامم ومجد لشعبك اسرائيل وكـــان يوســـف وامه يتعجبان مما قيل فيه ، وباركهما سمعان وقال لمريم امه ان هذا قد وضع لســـقوط وقيام كثيرين فى اسرائيل ولعلامة تقاوم . وانت أيضا يجوز فى نفسك ســـيف لـــتعلن افكار من قلوب كثيرة .

وكانت نية حته بنت فنويثل من سبط اشير وهى متقدمة فى ايام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهى ارملة نحو اربع وثمانين سنة ، لا تفـــارق الهيكـــل

عابدة باصوات وطلبات ليلا ونهارا فهى فى تلك الساعة – وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى اورشليم .

ولما اكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة .

وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه .

وكان ابواه يذهبان كل سنة الى اورشليم فى عيد الفصح ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد ، وبعدما اكملوا الايام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى اورشليم ، ويوسف وامه لم يعلما ، اذ ظناه بين الرفقة ذهبا ومر يوم وكانا يطلبانه ، وبعد ثلاثة ايام وجداه فى الهيكل جالسا وسط المعلمين ويسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه واجوبته ، فلما ابصراه اندهشا . وقالت له امه يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا . هو ذاك ابوك وانا نطلبك معذبين ، فقال لهما لماذا كنتما تطلبانى الم تعلما انه ينبغى ان اكون فى ما لأبى ، فلم يفهما الكلام الذى قال لهما . ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة وكان خاضعا لهما . وكانت امه تحفظ جميع هذه الامور فى قلبها . واما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والكلمة والنعمة عند الله والناس .

الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا

و في السنة الخامسة عشر من سلطته طيباريوس قيصر، إذا كان " بيلاطي النبطي " واليا علي اليهودية " و هيرودس" ربع علي الجليل و فيلبس أخوه رئيس ربع علي أقطورية و كورة تراخونيتس وليا بتوس رئيس ربع علي الآبلية في أيام رئيس الكهنة " حنانة" و قياما كانت كلمة الله علي يوحنا بن زكريا في البرية. فجاء إلي جميع

الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب في سفر لأقوال " إشعيا" النبي القائل صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب، أصنعوا سبيله مستقيمة، كل واد يمتليء و كل جبل و أكمة ينخفض و تصير المعوجات مستقيمة و الشعاب طرقا سهلة و يبصر كل بشر خلاص الله. و كان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أريكم أن تهربوا من غضب الآتي، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، و لا تبتدئوا تقولون في أنفسكم " لنا إبرهيم أبا" لأني أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبرهيم. و الآن قد وضعت الفأس علي أصل الشجرة. فكل شجرة لا تضع ثمرا جيدا تقطع و تلقى في النار. و سأله الجموع قائلين فماذا نفعل؟؟؟!!!

فأجاب و قال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له، و من له طعام فليفعل هكذا. و جاء " عشارون" أيضا ليعتمدوا فقالوا له يا معلم ماذا نفعل فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم و سأله جنود لهم أيضا قائلين و ماذا نفعل نحن؟ فقال لهم لا تظلموا أحدا و لا تسبوا أحدا و اكتفوا بعلائقكم. و إذ كان الشعب ينتظر و الجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح. فأجاب يوحنا الجميع قائلا: أنا أعمدكم بماء و لكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه، و هو سيعمدكم بالروح القدس و نار. الذي رفشه في يده و سينتقي ببذره و يجمع القمح إلي مخزنه، و أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ و بأشياء أخر كثيرة ، كان يعظ الشعب و يبشرهم. أما هيرودس رئيس الربع فإذا توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيليبس أخيه

و بسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها ، زاد هذا أيضا علي الجميـــع انـــه حبس يوحنا في السجن.

و لما أعتمد جميع الشعب، و اعتمد يسوع أيضا ، و إذ كان يصلي انفتحت السماء و نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة و كان صوت من السماء قائلا: أنت ابني الحبيب ، بك سررت. و لما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة و هو علـــي مـــا كان يظهر ابن يوسف من أهالي متشاب بن لاوى بن ملكي بن بنيامين ابن يوسف بن متشيا بن عاموصى بن ناحوم ابن حسلي بن نجاي بن ثاث ابن متانيا بن شمعـــي بـــن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زوبابل بن شاليتل بن تيري بن ملكي بن أوي قصم بن المودام بن غبري بن يوسى بن اليعاذر ابن يوريم بن متشاب بـــن لاوي بـــن شمعون بنيهوذا بن يوسف ابن يونان بن الياقيم ابن مليا بن فينان بن تاشا بن ناثان بن داوود بن يسى بن غورين بن بوعز ابن سلمون بن يخشون بن عميتاواب بن ابرام بن حصرون بن قارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبرهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج ابن عابر بن شالح بن فينان بن ارنكشاو بن سام بن نوح بـــن لامك بن متوشالح ابن أخنوخ بن يارد بن مهلليئل بن قينان بن أنوش بن شيب بـــن آدم بن الله .

الإصحاح الرابع من أنجيل لوقا

أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس و كان يقتاد بالروح في البريـــة أربعين يوما يجرب من إبليس، و لم يأكل شيئا في تلك الأيام و لما تمت أخيرا، و قال له

إبليس إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا، فأجابه يسوع قائلا: مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلمة من الله . ثم اصعده إبليس إلي جبل عالي و أراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان، و قال له إبليس : الله أعطى هذا السلطان كله و مجدهن لأنه إلي قد دفع ، و أنا أعطيه لمن أريد، فإذا سجدت أمامي يكون لك الجميع ، و أجابه يسوع و قال اذهب يا شيطان انه مكتوب للرب إلهك تسجد و إياه و حده تعبد.

ثم جاء به إلي أورشليم و أقامه علي جناح الهيكل و قال له إن كنت ابن الله فأطرح نفسك من هنا ألي أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك و أهم علي أياديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر رجلك، فأجاب يسوع و قال له انه قيل لا تجرب الرب إلهك ، و لما أكمل إبليس كل تجربته فارقه إلي حين و رجع يسوع بقوة الروح إلي الجليل و خرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة و كان يعلم في مجامعهم ممجدا من الجميع.

و جاء إلي الناصرة حيث كان قد تربي و دخل الجميع و حسب عادته يوم السبت و قام ليقرأ. فدفع إليه سفر إشعيا النبي، و لما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه: روح الرب علي لأنه " مسحني" لأبر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، و للعمى بالبصر، و أرسل المنسحقين في الحرية و أكرز بسنة الرب المقبولة، ثم طوى السفر و سلمه إلي الخادم و جلس.

و من إنجيل متى الإصحاح الخامس

لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس و الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل فأني أقول لكم إلي أن تزول السماء و الأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، و علم الناس هكذا يدعي اصغر في ملكوت السماوات ، و أما من عمل و علم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات، أقول لكم إن لم يزد بركم علي الكتبة و الفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات.

و من انجيل متي – الإصحاح الثالث و العشرون

يا أورشليم. يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها و لم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا لأني أقول لكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب.

و من إنجيل يوحنا – الإصحاح الحادي عشر

إحياء لعاذر

فانزعج يسوع أيضا في نفسه و جاء إلي القبر ، و كان مغارة و قد وضع عليه حجر ، قال يسوع أرفعوا الحجر ، قالت له " ميرتا" أخت الميت يا سيد ، قد انتن

لأن له أربعة أيام ، قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا و رفع يسوع عينيه إلي فوق و قال أيها الآب: أشكرك لأنك سمعت لي و أنا علمت انك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف ، قلت ليؤمني انك ارسلتني ، ولما قلت هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب .

ومن انجيل متى – الإصحاح العشرون

و أما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي .

ومن انجيل متى الإصحاح الواحد وعشرون

لذلك أقول لكم أن ملكوت الله يترع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترخص ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

ومن انجيل متى الإصحاح الثاني والعشرون

وأما من جهة قيامه الأموات ، آما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل :
أنا اله إبرهيم واسحق واله يعقوب ، ليس الله اله أموات بل اله أحياء فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه .

ومن انجيل يوحنا الإصحاح الخامس

فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الأب يعمل .
وقال كما اسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا اطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني .

ومن انجيل متى الإصحاح الخامس عشر

وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة .

ومن انجيل يوحنا – الإصحاح الثاني عشر

نادى يسوع وقال : الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي ، بل بالذي أرسلني ، والذي يراني يرى الذي أرسلني . أنا قد جئت نورا إلي العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة وان سمع احد كلامي ولم يؤمن فانا لا أدينهُ ، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم ، من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه ، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير لأني لم أتكلم من نفسي ، ولكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني

وصيته ، ماذا أقول ، و بماذا أتكلم ، وأنا اعلم أن وصيته هي حياة أبدية ، فما أتكلم أنا به ، فكما قال لي الآب هكذا أتكلم .

(انظر سورة المائدة من القرآن الكريم من الآية رقم ١١٦)

ومن انجيل متى – الإصحاح السابع

ليس كل من يقول لي يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الـــذي يفعـــل إرادة أبي الذي في السماوات ، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يـــا رب ، ألـــيس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا أقوات كـــثيرة ، فحينئـــذ اصرخ بهم ، أني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم .

٣١ إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا. ٣٢ اَلَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ وَأَنَا أَعْلَمُ
أَنَّ شَهَادَتَهُ ٱلَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ. ٣٣ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ. ٣٤ وَأَنَا لاَ أَقْبَلُ
شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ. وَلٰكِنِّي أَقُولُ هٰذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ. ٣٥ كَانَ هُوَ ٱلسِّرَاجَ ٱلْمُوقَدَ ٱلْمُنِيرَ
وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً. ٣٦ وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا. لِأَنَّ ٱلْأَعْمَالَ
ٱلَّتِي أَعْطَانِي ٱلْآبُ لِأُكَمِّلَهَا هٰذِهِ ٱلْأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا ٱلَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ
ٱلْآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. ٣٧ وَٱلْآبُ نَفْسُهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلَا أَبْصَرْتُمْ

مِثْلَهُ. ٣٨ وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لِأَنَّ ٱلَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ. ٣٩ فَتِّشُوا ٱلْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ ٱلَّتِي تَشْهَدُ لِي. ٤٠ وَلَا تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ.

٤١ مَجْدًا مِنَ ٱلنَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ. ٤٢ وَلَكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ ٱللهِ فِي أَنْفُسِكُمْ. ٤٣ أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِٱسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِٱسْمِ نَفْسِهِ فَذَلِكَ تَقْبَلُونَهُ. ٤٤ كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَٱلْمَجْدُ ٱلَّذِي مِنَ ٱلْإِلَهِ ٱلْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟

٤٥ لَا تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى ٱلْآبِ. يُوجَدُ ٱلَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى ٱلَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. ٤٦ لِأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لِأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. ٤٧ فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلَامِي؟

ومن انجيل يوحنا – الإصحاح الخامس ص ١٥٤ – ١٥٥

الشهادة للمسيح

يقول : يقول يسوع :- إن كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا .الذي يشهد لي هو أخر ، و أنا اعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق ، انتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق ، و أنا لا اقبل شهادة من إنسان ، ولكني أقول هذا لتخلصوا انتم . كان هو السراج الموقد المنير وانتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة . وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لان الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها . هذه الأعمال بعينها التي أنا اعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني . و الآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي . لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته ، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم ، لان الذي أرسله هو لستم انتم تؤمنون به ، فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهي التي تشهد لي و لا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة ، مجدا من الناس لست اقبل ، ولكني قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم ، أنا قد أتيت باسم أبي ، ولستم تقبلونني . إن أتى أخر باسم نفسه فذلك تقبلونه ، كيف تقدرون أن تؤمنوا وانتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه.

لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب . يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني ، فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي .

قصة زكريا ويحيى وعيسى و مريم عليهم السلام

من القران الكريم – سورة مريم و تستبقها سورة آل عمران

ومن سورة آل عمران :– من أول الآية رقم ٦٥ وحتى الآية ٦٧

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبرهيم و ما أنزلت التوراة و الإنجيل إلا من بعده .....)

ومن سورة مريم : من أول السورة وحتى الآية رقم ٣٦ .



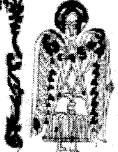
نورمان ف. كانتور

التاريخ الوسيط

قصة حضارة البداية والنهاية

الجزء الأول

ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم



و من كتاب " التاريخ الوسيط"
قصة حضارة: البداية و النهاية

القسم الأول
لمؤلفه: نورمان ف. كانتور
ترجمة و تعليق دكتور/ قاسم عبده قاسم
أستاذ تاريخ العصور الوسطي – كلية الآداب جامعة الزقازيق
الطبعة الخامسة عام ١٩٩٧

و تحت عنوان تقديم
مجال التاريخ الوسيط

يقول الكاتب : تحت عنوان موجز تاريخي: ص ١٩

يقول من الممكن أن نحدد بالضبط اليوم الذي بدأت فيه بالفعل دراسة العصور الوسطي كفرع من فروع الأدب التاريخي ، ففي خريف ١٧٦٤م. قام رجل إنجليزي دعي " إدوارد جيبون" "**Edward Gibbon**" برحلة إلي ايطاليا بقصد السياحة و مشاهدة آثار العالم الكلاسيكي و في ترجمته الذاتية يخبرنا " جيبون" كيف جذبته التغيرات الواضحة التي طرأت علي روما منذ أيام الأباطرة العظام لأن يقوم بكتابة تاريخ عن الطريق التي حدث بها هذا التطور التاريخي العظيم. و كان ذلك في

روما في الخامس عشر من أكتوبر سنة ١٧٦٤ م . بينما كنت جالسا أتسلي بين أطلال الكابيتول، و الرهبان الحفاة يرتلون صلوات المساء في معبد " جوبيتر " ، حيث خطرت ببالي للمرة الأولي فكرة الكتابة عن اضمحلال و سقوط المدينة (روما بالطبع) . لقد أراد " جيبون " أن يعرف مجرى و أسباب التغيرات العظمى التي أدت إلي بناء الأديرة الكاثوليكية علي أطلال المعابد الرومانية الوثنية. ثم يقول المؤلف: و لكن علي الرغم من أن " اضمحلال و سقوط الإمبراطورية الرومانية يعتبر من عدة نواح كتابا مضللا مليئا بالأخطاء فإن هذا الكتاب هو أول عمل عظيم في مجال كتابة تاريخ العصور الوسطي. أعتمد " جيبون" في بحثه كثيرا علي الكتابات القديمة التي دونها بعض علماء الرهبان الفرنسيين و البلجيك في أواخر القرن السابع عشر و أوائل القرن الثامن عشر، توصل أولئك الديريون إلي طريقة اختيار أصالة وثائق العصور الوسطي ، كما نجحوا في وضع الأسس لتحقيق و نشر المؤلفات الوسيطة، و علي أية حال لم يكن اهتمامهم موجها للتاريخ ، بل انصب علي سير القديسين و أعمالهم "**Hagiography**" إذ كان أولئك الديريون يحاولون نشر صورة دقيقة تمثل حياة القديسين.

كانت رؤية : جيبون" للعصور الوسطي باعتبارها فترة اضمحلال مطرد لعظمة الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الثاني للميلاد – و هي الفترة التي اسماها " انتصار البربرية و الدين" – مستوحاة من موقف الإنسانيين الإيطاليين في أواخر القرن الخامس عشر، إذ كان لهؤلاء الإنسانيين رد فعل تجاه حضارة أوربا الغربية في الفترة

السابقة علي عصرهم مباشرة، و يماثل رد فعل كثير من مثقفي أوربا الحديثة و أمريكا تجاه حضارة و أحداث القرن التاسع عشر.

أخترع إيديولوجيو عصر النهضة اصطلاح العصر الوسيط "Medium Aevum" ليدل علي العداء و الاحتقار لثقافة أوربا الغربية منذ عصر الإمبراطورية الرومانية حتى عصرهم، و لما تبني كتاب القرن السابع عشر و القرن الثامن عشر مصطلح " العصر الوسيط" بمفاهيم مماثلة أصبح هذا المصطلح مصطلحا تاريخيا يقصد به الإساءة إلي الكنيسة و الفلسفة المدرسية و الأدب و الفن علي مدى فترة تزيد علي ألف سنة من عمر الحضارة الغربية.

ثم يقول: بيد أننا يجب أن نلاحظ أنه إذا كان اصطلاح العصر الوسيط قد أستخدم في بداية الأمر و علي نطاق واسع في المجادلات الموجهة ضد الكنيسة فان فكرة وجود عصر تاريخي وسيط كانت في حد ذاتها مفهوما صاغه في البداية مفكروا الكنيسة أنفسهم في العصور الوسطي فقد اعتقدوا في تطوراتهم الأخروية بوجود عصر وسيط بين الخلق و يوم الحساب ، أما إطلاق اصطلاح العصر الوسيط علي فترة تاريخية معينة ، فقد جاء نتيجة لاختفاء معني زمني علي هذا المفهوم بفضل الإنسانيين في عصر النهضة و العقلانيين في القرن الثامن عشر.

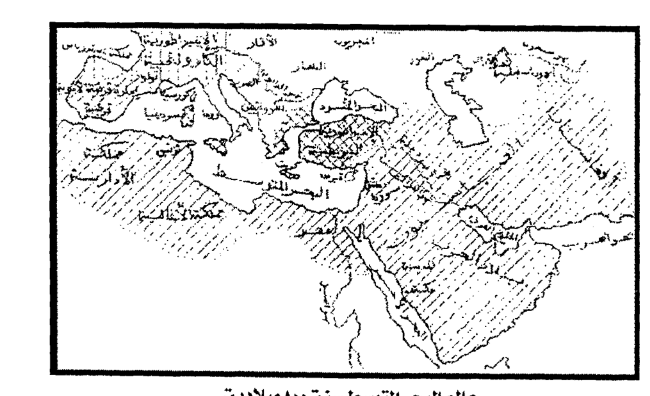
ثم يقول أن النزعة القومية التي تميز بها القرن التاسع عشر ساهمت مساهمة فعالة في تطور تدوين التاريخ الوسيط و من حسن الحظ أن مساهمة أصحاب النزعة القومية ساعدت علي قيام الدراسة العلمية لأوربا الغربية في لفترة من عام ٣٠٠ إلي ١٥٠٠، و وفقا لما هو معلوم فإن الهزيمة التي لحقت بالألمان علي يد " نابليون" و

الجيوش الفرنسية أيقظت الشعور القومي في ألمانيا في العقود الأولي من القرن التاسع عشر.

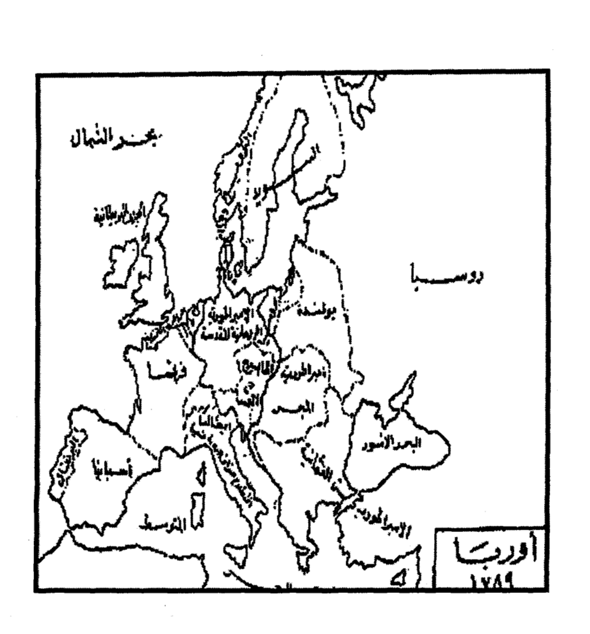
و خلال الشطر الأخير من القرن التاسع عشر (ص ٢٢) شهدت فرنسا أيضا قيام مدرسة لمؤرخي العصور الوسطي الذين قاموا أيضا ببحوثهم في معهد تموله الحكومة ، بالرغم من أن حجم مساهمة الفرنسيين في التاريخ الوسيط كان أقل بكثير من حجم مساهمة الألمان إلا أن علماء العصور الوسطي الفرنسيين قدموا لنا أروع الآراء في مجال دراسة التاريخ الوسيط و هناك العديد من أهم تفسيرات التاريخ الوسيط مما أنتجته قرائح الباحثين الفرنسيين و البلجيك الذين يكتبون باللغة الفرنسية.

و مع بداية القرن العشرين دخلت بلاد أوروبية حلبة الاهتمام بتراث العصور الوسطي ، و قد أولي الإنجليز اهتماما خاصا لدراسة مؤسساتهم السياسية و نظمهم القانونية المميزة متتبعين أصولها في العصور الوسطي.

أما أول أستاذ أمريكي في التاريخ الوسيط فهو " هنري آدمز" "Henry Adams " الذي تولي منصب الأستاذ في " هارفارد" في السبعينيات من القرن التاسع عشر.



عالم البحر المتوسط سنة ٨٠٠ ميلادية



أوربا
١٧٨٩
بحر الشمال
روسيا
بولندة
فرنسا
أسبانيا
ايطاليا
المجر
البحر الأسود
المتوسط

و من الفصل الثامن (ص ٢٦٣)
من كتاب التاريخ الوسيط
للكاتب " نورمان ف. كانتور"

عن الثقافة و المجتمع في أوربا الأولي: يقول : ففي سنة ٤٠٠ بعد ميلاد المسيح لم تكن أوربا تعني ما هو أكثر من تعبير جغرافي . فقد كانت الحضارة الرومانية ترتكز علي البحر المتوسط ، كما كانت فرنسا و إنجلترا و وادي نهر الراين مجرد مناطق متاخمة للعالم الروماني، و أما في سنة ٨٠٠ فكانت أوربا تعني حضارة جديدة آخذه في التواجد في المنطقة المسيحية اللاتينية خلفها التفاعل بين التراث الجرماني و الثقافة المسيحية اللاتينية ، و إذا ما قورنت أوربا آنذاك ببيزنطة أو بالعالم الإسلامي لبدت فقيرة و متخلفة .

(الخريطة)

و لكنها مع ذلك طورت أفكارا و نظما خاصة بها، كما وجدت لنفسها قيادتها من بين صفوف أبنائها فضلا عن أنها باتت واعية و مدركة لوجودها و مصيرها في المستقبل ، كانت أوربا الأولي تضم فرنسا و إنجلترا و ألمانيا الغربية و أيرلندا و وسط وشمال إيطاليا إلي جانب الأقاليم الجبلية في شمال أسبانيا ، و لم تكن المراكز الحيوية

للحضارة واقعة علي البحر المتوسط و إنما في وديان الأنهار في شمال فرنسا و أراضي الراين.

أما ثقافة أوربا الأولي فقد توحدت تحت راية اللغة اللاتينية التي كان رجال الكنيسة و الملوك و أبناء الطبقة الأرستقراطية يستخدمونها جميعا، فقد كانت هي اللغة التي تستخدمها الحكومة و الكنيسة و الحكومة العلمانية علي حد سواء، كما كانت هي اللسان الذي تتم به مناقشة جميع الأمور الثقافية و العقلية، و بها كان يتم تدوين مثل هذه الأمور ، و في جميع الأحوال كان الدارسون الكنسيون الذين كانوا كلهم تقريبا من نتاج المدارس الديرية المزدهرة في شتي أنحاء العالم الكارولنجي (الأوروبي) هم الذين يتولون القيام بالكتابة باللغة اللاتينية: سواء كان ذلك لصالح الملكية أو لصالح الكنيسة أو لصالح الدوق (الحاكم المحلي) .

أما لغة الحياة اليومية التي كان عامة الناس بما في ذلك غالبية النبلاء يستخدمونها. فقد اختلفت من إقليم لإقليم. ففي إنجلترا كانوا يتحدثون اللغة الأنجلو- سكسونية ، و قد صارت هذه اللغة، لغة قومية في القرنين الثامن و التاسع. و في أيرلندا صار اللسان " الكلتي" هو لغة الناس، و علي حين كانت المناطق الشمالية في القارة تتكلم اللغة الألمانية، أما الجنوب و الغرب فقد انتشر في ربوعها خليط من اللهجات المشتقة من اللاتينية الدارجة ، و هي اللغة التي كانت عامة الناس يتحدثون بها فعلا في رحاب الإمبراطورية الرومانية من قبل. هذه اللهجات المشتقة من اللاتينية الدارجة كانت بمثابة البشائر التي خرجت منها اللغات الرومانية. و بحلول منتصف القرن التاسع كانت كل من اللغة الألمانية و اللغة الفرنسية قد برزت كلغة قائمة بذاتها.

ففي عهد " ستراسبورج" "Oath of Strasbourg" سنة ٨٤٢ جاءت توفيقات ملوك الأجزاء الشرقية و الغربية من الإمبراطورية الكارولينجية باللهجات الفرنسية الألمانية المتعارف عليها آنذاك ، و هكذا فأنه بحلول منتصف القرن التاسع كان هناك انفصال بين اللغات الشعبية أو المحلية في كل من الأجزاء الشرقية و الغربية من الإمبراطورية الكارولينجية، و قد ساهم ظهور اللغة الفرنسية و اللغة الألمانية في تفكك و انحلال الإمبراطورية الكارولينجية بقدر ما كانت اللغة اللاتينية من ناحية أخري عاملا في توحيد مختلف أقاليم أوربا الأولي تحت راية ثقافة عليا مشتركة.

و في سنة ٦٠٠م كانت الحياة الحضرية ما تزال علي قدر من الأهمية و لكنها لم تكن ذات أهمية تذكر في أوربا الأولي ، كانت المواصلات و الاتصالات سيئة بدرجة يصعب تصديقها: إذ باتت أسوأ بكثير مما كانت عليه زمن الإمبراطورية الرومانية، فثمانون بالمائة علي الأقل من جمهرة السكان لم يكونوا يتحركون أبدا مسافة تزيد عن عشرة أميال من مواطنهم الأصلية ، كما كان خطر المجاعة شبحا يتهدد الناس بشكل دائم ، و العنف هو الحقيقة التي تفرض نفسها علي الحياة اليومية ، و لم يكن متوسط عمر الفرد ليزيد عن ثلاثين عاما، و أما في المجال العلمي فكانت المعلومات عند الناس ضئيلة للغاية، علي حين كانت معلوماتهم شبه منعدمة في مجال الطب، و في ظل هذه الظروف لم يكن من المثير للدهشة أن تتفشي الخرافة بين الناس ، و أن تكون القوي الاعجازية المنسوبة إلي القديسين المحليين هي الملاذ الوحيد أمام بلايا (مصائب) الطبيعة و الأمراض و كان رجال الدين المتعلمون يناضلون ضد الخرافة ، كما كانوا يحاولون

الحد من الظهور المتوالي و المستمر للقديسين المحليين و ذلك بطلب وضـع القـوانين المنظمة للكنيسة، و بيد أن ذلك لم يأت سوي بنتائج محدودة.

كانت مراكز الحياة الكارولينجية (الأوروبية) هي القلعة و الدير و الكاتدرائية ، بل فإن ما كان يسمي بالمدن في المملكة الفرنجية مثل " أخن" "**Aachen**" عاصـمة " شارلمان" أو مدينة " ريمس" " **Rheims** " الكاتدرائية كانت لا تتألف سوي مـن مبني الحكومة تحيط به عدة منازل يضمها جميعا سور . و كانت ما تزال توجد بقيـة من المدن الرومانية ألكبري في شمال إيطاليا مثل المدينة الخالدة روما نفسها ، غـير أن كثيرا من الشوارع في المدن الإيطالية كانت مهجورة و لم يبق من المنازل غير أطلالها. كذلك توقف نظام المياه و الصرف الصحي الجيد الذي كان الرومان قد شـادوه في هذه المدن، عن العمل. بل إن المباني الحكومية و العسكرية و الكنيسة كانـت متواضعة للغاية.

كان الفقر السمة المحلية التي غلبت علي أوربا الأولي يجعلانها تبدو منطقة غير هامة إذا ما قيست بالإمبراطورية الرومانية التي وجدت من قبل، أو بحضارة كل من بيزنطة و الإسلام المعاصرتين، و لكن العالم الكارولينجي كان يتميز بأنه كـان قـد بـدأ في استخدام ملكة الفهم و الاستنتاج في حل مشكلات المجتمع. بينمـا قـد لا تبـدوا الإنجازات في هذا المجال كبيرة نسبيا فإن هذا التطور علي قدر كبير مـن الأهميـة في حضارة العصور الوسطي، ذلك أنه يعتبر علامة علي نقطة البداية و الانطلاق صوب النمو السياسي و الثقافي الذي شهدته القرون التالية ، و في المحل الأول كانت أعمال الكارولينجين قد حققت وجود طبقة متعلمة في المجتمع الجرماني كان عليها النـهوض

بأعباء العمل في خدمة الكنيسة الملكية، و كان قائد هذه الحركة التعليمية الكبرى هو " الكوين" " **Alcuin**" الإنجليزي عام ٨٠٤م الذي كان شارلمان قد استقدمه من إنجلترا لكي يطور المدارس الديرية و يحسنها في رحاب مملكته و لكي يواصل العمل الذي كان " بونيفاس" " **Boniface** " قد بدأه. و قد قام "الكوين" بتأسيس و توسيع المدارس و المكتبات و حجرات النسخ "**Scriptoria**" في الأديرة المنتشرة في شتى أنحاء فرنسا، كما أنه آلف الكتب المدرسية و أعد قوائم الكلمات، و يمكن رصد أثر هذا العمل من خلال الزيادة الكبيرة في المواد الأدبية و الوثائقية التي خلفها لنا العصر الكارولنجي، كما يمكن رصده من خلال النصوص الكلاسيكية التي كتبت مخطوطاتها بأيد كارولنجية. كما يمكن رصده من خلال انتشار طقوس الخدمة الكنسية الرومانية في الكنائس الفرنسية و في بعض الإسهامات الأصلية التي قدمها رجال الكنيسة أنفسهم في هذا المجال. و من خلال حقيقة أن أول مجموعات القوانين الكنسية الكبرى يرجع تاريخها ألي منتصف القرن التاسع و ذلك علي الرغم من عدم منهجيتها و تضمنها لكثير من المراسيم المزورة.

و في سنة ٨٠٠ الميلادية كانت الغابات الكثيفة أو الأراضي التي تملؤها المستنقعات و التي لا تصلح للزراعة تغطي نصف مساحة أوربا تقريبا.

ثم يعود فيقول: لقد كان " الكوين" يناضل في سبيل فرض نمط من التعليم الأساسي علي الكنيسة الكارولنجية، و ما أن حل منتصف القرن التاسع حتى كانت هذه المشكلة قد تلاشت و كان الهدف الذي تسعي إليه هذه المدارس سعيا واعيا هو استعادة تراث أدب الآباء في القرن الرابع. فقد وجدت مكاتب نسخ نشيطة و كثيرة

في اثني عشر مدرسة ديرية أو أكثر، فضلا عن تلك المكاتب التي وجدت في الأديـــرة التي أسسها (أو علي الأقل بثوا في أواصـــلها النشـــاط مـــن جديـــد) الرهبـــان الأنجلوسكسون أو الأيرلنديون في القرن السابع و الثامن ، و هذه المكاتب حفظـــت نصوص الكتاب المقدس و جميع كتابات الآباء و نشرها و يمكن الوقوف علي مـــدي الجهد الثقافي الذي كرسه علماء القرن التاسع لدراسة الكتاب المقدس مـــن خـــلال المخطوطات المصورة الرائعة التي أنتجوها.

ثم يقول و يمكن الكشف عن ملكة العقلانية و الاستنتاج ذاها في طيات النظم النقدية و النظم القانونية الكارولنجية ، فبعد ثلاثة قرون من الفوضـــى النقديـــة أسســـت الحكومة الكارولنجية عملة جديدة يمكن الاعتماد عليها و تقوم علي أبسط المباديء . فقد أمر الكارولنجيون دور سك النقود (العملة) باتخاذ رطل من الفضة و تقسيمه إلي ٢٤٠ قطعة تمثل كل منها قطعة من العملة الكارولنجية و أطلقوا علي هذا النوع من العملة. أسم " الدينار" "**Denarius**" و هو أسم إحـــدى و حـــدات النظـــام النقدي الذي كان قسطنطين قد وضعه، أثبتت العملة الكارولنجية صلاحيتها بشكل جعل الإنجليز يقلدون هذا النظـــام الـــذي مـــا يزالـــون يحتفظـــون بـــه كأســـاس لنظامهم النقدي.

ثم يقول المؤلف: و لم ينته الخط الكارولنجي في ألمانيا حتى سنة ٩١١ م علـــى حـــين استمر الكارولنجي في حكم فرنسا حتى سنة ٩٨٧ م ص ٢٧٤ .

و من كتاب أوربا العصور الوسطي
الجزء الثاني - النظم والحضارة
للأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
أستاذ كرسي تاريخ العصور الوسطي - كلية الآداب - جامعة القاهرة - الصادر بالقاهرة
في جمادى الآخرة ١٤١١ هـ - يناير ١٩٩١ م

يقول استأذنا الكبير في مقدمة كتابه :

يعتبر تاريخ القرون الوسطي من اشد عصور التاريخ تعقيدا أو تنوعا و أهمية ، فدراسة هذه الحقبة من التاريخ التي امتدت ألف عام تتناول تشكيلة ضخمة من الشعوب و النظم و الحضارات ، و هي تشكيلة تعبر عن جانب هام من جوانب تطور التاريخ البشرى ، فضلا عما تحويه من كثير من أصول الحضارة الحديثة ، ذلك أن القرون الوسطي تمثل العصر الذي بدت فيه بوضوح مظاهر الاختلاف بين الشرق و الغرب و بين بلاد الشمال و بلاد حوض البحر المتوسط و بين القديم و الجديد و بين التيارات الدينية و الدنيوية و بين الأفكار المثالية و الحقائق الواقعية ، هذا إلى أن توسط مركز القرون الوسطي من الناحية الزمنية و ارتباطها الشديد بالعصور القديمة من ناحية وبالعصور الحديثة من ناحية أخرى ، جعل لها مكانا بارزا في تطور التاريخ البشرى الذي امتاز بالاستمرار و اتصال حلقاته .

على أن كثير ممن يفتقرون إلى حسن الإدراك و عمق المعرفة ، ينظرون إلى العصور الوسطي في أوربا نظرة تختلف كثيرا عن نظرتنا هذه ، فيرمونها بالجمود و المحافظة ،

بل بالظلمة الموحشة و الجهل المطبق فهم لا يرون في العصور الوسطي إلا بربرية " القوط " وهمجية " الوندال " وأشباههم من شعوب الجرمان ، ولا يريدون أن يربطوها إلا بتزمت الكنيسة وفوضى الحروب و الاغارات و استبداد الحكام و الأمراء و من الواضح أن هذه النظرة تتجاهل ظاهرة التفاوت الحضاري بين مختلف أنحاء أوربا .

ثم يقول : و من المعروف أن الحضارة الأوربية بلغت ذروتها في الأزمنة القديمة على عصر الإمبراطورية الرومانية ، وإذا كانت هذه الإمبراطورية أدركت أقصى اتساعها على عهد الأمبراطور " طراجان " (٩٨ – ١١٧ م) إلا أن مظاهر الإعياء والضعف أخذت تبدو عليها منذ القرن الثالث نتيجة لعوامل متباينة داخلية و خارجية ، حتى انتهى الأمر بتقسيمها إلى قسمين شرقي و غربي سنة ٣٩٥ ثم بسقوط الإمبراطورية الغربية على ايدى الجرمان سنة ٤٧٦ م . ويعتبر انحلال الإمبراطورية الغربية ثم سقوطها مظهرا أساسيا للمحنة الكبرى التي مرت بها الحضارة الأوربية في الغرب منذ أواخر القرن الخامس . و لو أن هؤلاء الجرمان الذين أغاروا على الإمبراطورية الرومانية في الغرب وأسقطوها ، اندمجوا مباشرة فى محيط اهالى البلاد الأصليين من الرومان ، لخف هول المصاب الذي نزل بالحضارة الأوربية وأقاموا ممالك جديدة داخل حدودها ، و استمروا – في معظم الحالات – يعيشون في ظل قوانينهم و أنظمتهم القبلية التي ألفوها من قبل – محتفظين بكيانهم الجرماني وسط المجتمع الروماني المنحل . وهكذا ظل الجرمان أمد طويلا تفصلهم عن الرومان فوارق خطيرة في الجنس و العقيدة و اللغة و الحضارة

الأمر الذي جعل الممالك الجرمانية الناشئة لا تقوم على أسس ثابتة تكفل لها الاستمرار والبقاء . و لم يكن للناس من عزاء وسط هذه الظروف القاسية سوى النظر إلى الماضي ، إلى مجد الإمبراطورية و عظمتها – تلك الإمبراطورية التي كونت وحدة حضارية ضخمة ، قوى من روابطها انتصار المسيحية وازدياد نفوذ الكنيسة ازديادا جعل منها القوة الوحيدة التي تستطيع المحافظة على تراث الحضارة الرومانية في وقت أوشك ذلك التراث أن يندثر و يضيع في غرب أوربا وجنوبها ،وبعبارة أخرى فان انهيار صرح البناء السياسي للإمبراطورية الرومانية في الغرب لم يصحبه انهيار الحضارة الرومانية لان الكنيسة احتضنت هذه الحضارة وضمنت لها البقاء و الاستمرار .

وعن الكتب و المكتبات : ذلك انه من المعروف أن دراسة الحياة الفكرية لعصر من العصور تتطلب الوقوف على نوع الكتب التي تناولتها الايدى في ذلك العصر التي أحاطت بها من حيث تداولها و استعمالها و كيفية نسخها، ثم يقول ويحسن في أول الأمر أن نشير إلى أن اهالى الغرب في العصور الوسطي لم يعرفوا المكتبات المنظمة التي نعرفها الآن . فعندما يذكرون لفظة مكتبة في تلك العصور كانوا لا يقصدون بهذا اللفظ بناء مستقلا أو حتى غرفة قائمة بذاتها مخصصة لحفظ الكتب ، لآن اللفظ الشائع الذي استخدم عندئذ للتعبير عن المكتبة كان لفظ " **Armorium** " ومعناه خزانة الملابس أو غرفة نسخ الكتب .

هذا إلى أن الكتب الخاصة بالدير أو الكنيسة لم تتجاوز مجموعة صغيرة توضع على ارفف الحائط ويقدر عددها ببضع عشرات و ان وصلت أحيانا إلى عدة مئات في

مكتبات بعض الأديرة الشهيرة مثل دير " كوربى " " Corbie " ولكن ليس معنى هذا التقليل من أهمية تلك المكتبة في حياة الدير ، إذ روعي فيها دائما أن تحوى من الكتب ما يكفى حاجة كل راهب في الدير من القراءة طيلة العام . وقد بلغ من أهمية المكتبة في حياة الدير أن قال المعاصرون " دير بدون كتب كحصن بدون ذخيرة " وأخذت هذه المكتبات تنمو عن ثلاثة طرق : هي الشراء و الهدايا و النسخ .

و يلاحظ أن عادة شراء الكتب لم تكن شائعة في العصور الوسطي لعدم وجود " نُساَخْ " محترفين يرتزقون من وراء هذه الحرفة وعدم وجود أسواق عامة لشراء الكتب وبيعها في أوربا . وكان نسخ الكتب في الأديرة ذاتها حيث توافرت الايدى اللازمة لهذه العملية ، فيعمل الرهبان في الكتابة والنسخ دون اى اجر أو مقابل .

و معظم ما لدينا من كتب غربية ترجع إلى القرن الثاني عشر منسوخة على رقائق من جلود الحيوانات " Parchment " لان البردي بطل استعماله في الكتابة منذ أوائل العصور الوسطي ، في حين أن ورق الكتابة الحالي الذي عرفه الأوربيون من العرب ، لم يكن استعماله قد انتشر بعد في الغرب الأوربي ، وتفاوت هذه الجلود في نوعها وقيمها حسب أعمار الغنم ، فكلما صغر عمرها صارت جلودها ارق و أصلح للكتابة و بعد تجفيف هذه الجلود و أعدادها كانت تقسم إلى ملازم و تسطر وبذلك تصبح مهيأة للكتابة ، وقد تباينت مخطوطات ذلك العصر ، فبينما بعض نسخ الإنجيل و الكتب الدينية ضخمة الحجم ومدونة بخط عريض ، إذا بالبعض الآخر يمتاز بصغر الحجم و بساطة الخط مع وضوحه حتى ليصبح من السهل أن يضع الفرد كتابا من هذا النوع في جيب ردائه . ثم يقول المؤلف : وان كان كل ما روعي في ترتيب تلك

المكتبات هي الترتيب الموضوعي إلى حد ما و لم يراع الترتيب الأبجـدي ، فكانـت الكتب تبدأ أولا بنسخ الكتاب المقدس ثم بكتب العبادة و الصلوات ثم بكتب الآباء و القديسين. و كان أقصى ما يمكن أن يصل إليه التعليم غير الديني في ذلك العصـر هو تلقين الفنون السبعة الحرة "Seven Arts" الـتي انقسـمت إلي مجمـوعتين: المجموعة الثلاثية (Trivium) و تشمل النحو والبلاغة و الجـدل ، و المجموعـة الرباعية "Quadrivium" و تشمل الموسيقي و الحساب و الهندسة و الفلـك ، لذلك كانت مكتبات ذلك العصر تحوي بعض الكتب غير الدينية مثـل مؤلفـات " مارتيانوس كابلا" "Martianus Capella" التي قيل عنها أنها كانـت أكثـر الكتب انتشارا في العصور الوسطي بعد الكتاب المقدس.

و مؤلفات النحوي اللاتيني " بريسكيان" "Priscian" الذي ظلت كتاباتـه مـن القرن السادس موضع اهتمام قراء اللاتينية و كتابها "بؤتيوس ""Boethius " أول فلاسفة العصور الوسطي، " وإيسيدور" "Isidore" الذي صار كتابه في فقه اللغـة بمثابة أعظم دائرة معارف عرفها الغرب الأوروبي في العصور الوسـطي، و "بـدي" "Bede" الذي ظلت كتاباته أمدا طويلا مرجعا هاما في التاريخ و الفلك.

و كان هناك بعض المراجع القانونية لاسيما القانون الكنسي و القانون الرومـاني في حين قل الإقبال علي تدوين الجرمانية في ذلك العصر.

إحياء الدراسات اللاتينية القديمة : أما الأحياء – كما يقول الكاتب" نقصـد به إحياء الدراسات اللاتينية القديمة.

و **عن اللغة اللاتينية**: يقول أن اللغة اللاتينية، وهي أداة تلك الدراسات الأدبية (نثرها و شعرها) كان لها حظ كبير من الرقي و التقدم في ذلك القرن. و المعروف أن اللغة اللاتينية ظلت اللغة العالمية السائدة في غرب أوربا حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي عندما أخذت تنافسها اللغات القومية و العالمية. ثم يقول في ص ٣٨٦ ، و مهما يكن الأمر فإن هذه اللغات الأخيرة لم ينتشر استعمالها في القرن الثاني عشر بالذات بالدرجة التي تجعلها خطرا حقيقيا علي اللغة اللاتينية ، فإذا استخدمت الفرنسية أحيانا في الحديث في بعض البلاد الأوروبية، فأن هذا لم يحدث إلا علي نطاق ضيق في القرن الثاني عشر بحيث لم يعم استعمالها كلغة أوروبية شائعة إلا في أواخر القرن الثاني عشر. ثم يقول: و لقد استخدمت اللاتينية داخل مختلف بلاد غرب أوربا و في المناسبات و الأغراض العامة و الخاصة، و يكفي أنها ظلت في ذلك العصر لغة الكنيسة و رجال الدين في غرب أوربا، كما أستعملها الناس في الصلاة و الترتيل ، و كذلك كانت اللاتينية لغة العلم و التعليم في ذلك العصر....كذلك شهد القرن الثاني عشر إنتاج كثير من المعاجم و القواميس اللاتينية.

التدوين التاريخي : ص ٤٠٢ :

و ثمة مظهر أخر من مظاهر النشاط في القرن الثاني عشر يبدو واضحا في الكتابات التاريخية التي ازدهرت في ذلك القرن، أما هذا الازدهار فيرجع إلي عدة أسباب: أهمها:

١- إحياء الأساليب القديمة في دراسة التاريخ و كتاباته . فضلا عن الأحداث الهامة التي أمتاز بها القرن الثاني عشر و التي ترتب عليها ازدياد الشغف بتدوين التاريخ ، مثل الحروب الصليبية، والنزاع بين البابوية و الإمبراطورية ، و العداء بين انجلترا وفرنسا ، و ازدهار المدن سياسيا و اقتصاديا .

ثم يقول : و الواقع أننا إذا أردنا الوقوف على أصول التدوين التاريخي في العصور الوسطي فعلينا بالرجوع إلى العصر المسيحي لا الوثني ، ذلك أن أوربا بالعصور الوسطي لم تستق فلسفة علم التاريخ من قيصر (١٠١ - ٤٤ ق. م) وسالد ست (٨٦ - ٣٥ ق.م) و تاكيتوس (٥٥ - ١١٧م) و أشباههم و إنما استقت تلك الفلسفة من القديس أوغسطس (٣٥٤ - ٤٢٠ م) والمطران " أبو زيبوس " **Eusebius** " (٣٦٥ - ٣٢٠م) ومهما يكن الأمر فقد ازدهرت في القرن الثاني عشر الأنواع الثلاثة من الكتابات التاريخية التي عرفتها العصور الوسطي وهي :- السير **Biographies**" ، و الحوليات " **Annals** " ، والوقائع "**Chronicles** "

ثم يضيف:

ففي كتابه " السير " نجد أن العصور الوسطي بوجه عام حرصت على أن تظهر سير القديسين في قالب مدح و ثناء بحيث يبدون في ثوب أرباب المعجزات و الكرامات . و لم تقتصر كتابة السير فى القرن الثاني عشر على القديسين و إنما شملت أيضا تراجم الشخصيات الشهيرة من رجال الدين وغير رجال الدين ، و يلاحظ على هذه التراجم أنها اهتمت فقط بالمظاهر السطحية و أهملت التعرض للجوهر و لشخصية

المتـــرجم . أمـــا النـــوع الثـــاني مـــن الكتابـــات التاريخيـــة – وهـــو الحوليات " Annals " فقد اتصفت فى العصور الوسطي بالاقتضاب الشديد بحيث لا تتعدى الحولية ذكر السنة ، و أهم ما حدث فيها ، فسنة ٧٠٩ شتاء قارس البرد ، و سنة ٧١٠ قحط ونقص فى المحصول وسنة ٧٢٢ فيضان مرتفع وهكذا حتى تشمل الصفحة الواحدة تاريخ عشرين سنة تقريبا .

أما النوع الثالث :– من الكتابات التاريخية فيشـــمل كتـــب الوقـــائع و الحـــوادث Chronicles و التي تعتبر الإنتاج المميز لفن التدوين التاريخي فى القـــرن الثـــاني عشر ، عندما أخذت كتابة التاريخ تجنح نحو الطابع العالمي وتخلع عن نفسها صـــفتها المحلية التي لازمتها فى العصور الوسطي السابقة ، وخير مثال لدينا فى القـــرن الثـــاني عشر كتاب " روبرت تورجينى " Robert Torigini " الذي استمر يكتـــب تاريخه حتى وفاته فى دير " سانت مايكل " سنة ١١٨٦ . ومـــن كتـــاب التـــدوين التاريخي لـــ " روبرت الاوكســـرى " Robert of Auxerre " (١١٦٥ – ١٢١٢ م) وهو مؤرخ فرنسي ارتبط بدير مارين " St Marien " فى اوكسر " Auxerre " وقد شرع – بناء على تكليف من مقدم ذلك الدير فى كتابه تـــاريخ عام يغطى الفترة من بدء الخليقة حتى سنة ١٢١١ و أهم أجزاء ذلك التاريخ الفترة التي عاصرها الكاتب بين عامي ١١١١ ، ١٢١١ م وتمتاز بالجدة و صدق المعلومات .. وكتب اوردريك فيتاليس – " Ordericus Vitalis " احد رجال الـــدين النورمـــان فى شمـــال غـــرب فرنســـا حيـــث أقـــام في ديـــر ســـانت افرول " St . Efroul " . ويبدو أن سعة إطلاع المؤلف و أحاطته بكـــثير مـــن

الأخبار مكنه من كتابة تاريخ حافل مبتدأ بقيام المسيحية وحاوية لأخبار متنوعة عن صقلية و الشرق و نورمنديا و انجلترا حتى سنة ١١٤١ .
ويعتبر هذا الكتاب أعظم مؤلف تاريخي شهدته فرنسا فى القرن الثاني عشر ، أما الأسقف " اتو " المتوفى سنة ١١٥٨ م فيرجع إليه الفضل فى إكساب التاريخ مسحة فلسفية فى القرن الثاني عشر ، وكان " اتو " عما للإمبراطور " فردريك بربروسا " كما صحب بعض الحملات الإمبراطورية إلى روما " وبيت المقدس " فوصف تلك الحملات وصف شاهد عيان .

حركة الترجمة عن اليونانية و العربية : ص ٤٢١ :

ثم يقول المؤلف : و إذا كان كثير من مظاهر النهضة الفكرية فى القرن الثاني عشر اعتمد على التراث الروماني اللاتيني فان هناك جانب أخر هو الجانب العلمي والفلسفي ارتبط إلى حد كبير بالتراثيين اليوناني و العربي الاسلامى ، ولم تستطع أوربا أن تستفيد من التراثيين استفادة كاملة فى القرن الثاني عشر إلا عن طريق حركة ترجمة واسعة عن اليونانية من ناحية والعربية من ناحية أخرى . ثم يقول :
و الملاحظ أن غرب أوربا فى العصور الوسطي ظل حتى أواخر القرن الحادي عشر يهمل العلوم و الدراسات اليونانية إهمالا يكاد يكون تاما . و فى تلك الأثناء استمر التراث اليوناني حيا فى الإمبراطورية البيزنطية لا سيما القسطنطينية حيث بقيت

اليونانية اللغة التقليدية المستخدمة فى الكنيسة و القانون و الإدارة فضلا عن الدراسات العلمية والأدبية . ثم يقول : حقيقة أن مفكري الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية) لم يضيفوا للتراث القديم سوى القليل و لكن علوم اليونانيين و كتاباتهم ظلت تدون و تدرس باستمرار ، مما ساعد على حفظ الجزء الأكبر من التراث الفكري اليوناني فى الإمبراطورية الشرقية . ثم يضيف : على أن الدراسات اليونانية التي لم يقدر لها أن تنتشر و تمتد غربا فى تلك المرحلة المبكرة من مراحل العصور الوسطي ، امتدت و انتشرت فى الشرق حيث ترجمت أولا للسريانية والعبرية ثم العربية ، و لم تلبث هذه التراجم السامية للتراث اليوناني أن غدت فيما بعد على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة لغرب أوربا الذي لم يعثر على جزء كبير من ذلك التراث إلا فى التراجم .

وقد بدأت الترجمة أولا فى بلاد الشام ، حيث ترجمت الكتابات اليونانية لتغذية الأدب الارامى " **Aramaic** " وبقيت كثير من هذه التراجم بالشام حتى الفتح العربي الاسلامى ، فى حين حمل بعضها إلى فارس جماعة " النساطر " الذين فروا بعقيدتهم من وجه خصومهم ، و من ثم ظل ذلك الجزء من التراث اليوناني حيا فى بلاد فارس حتى توصل إليه العرب أيضا بعد فتحهم تلك البلاد . ثم يقول : و من المعروف أن العرب عندما اندفعوا من شبه الجزيرة العربية مبشرين بدينهم الجديد ، لم تكن لديهم فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم دراسات فلسفية أو علمية خاصة بهم ، و لكن كان لديهم ما هو أهم من ذلك وهو الرغبة فى العلم والتعلم و القدرة على الاستفادة من العناصر البناءة فى الحضارات التي صادفوها ، و كان بنو أمية على درجة كافية من

الحكمة و بعد النظر جعلتهم يتركون المدارس الكـبرى المسـيحية أو الصـابئية أو الفارسية ، قائمة فى الإسكندرية وبيروت و إنطاكية و حران و نصيبين و جنديسابور ، فاحتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب فى الفلسفة و العلم معظمهـا فى ترجمتـه السريانية ، و قد استهوت هذه الكتب المسلمين العارفين باللغتين السريانية و اليونانية و ما لبث أن قام بترجمتها إلى العربية جماعة من المسلمين فضـلا عـن "النسـاطرة " المسيحيين وبعض اليهود (عن كتاب ديوانت – قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الرابع ص ١٧٧) .

ثم يقول : و لم يلبث العرب على مر السنوات أن أضافوا إلى هذه الدراسات كـثيرا من مستحدثاتهم و من علوم الشعوب الشرقية الأخرى مثـل الفـرس و الهنـود و الصينيين ، و فى العصر العباسي بصفة خاصة نهضت الحركة العلمية و حركة الترجمة إلى العربية نهضة عظيمة ، فى حين أدى انتشار اللغة العربية شرقا و غربا إلى سـهولة الاتصال الفكري ونشر الحضارة الإسلامية بحيث إننا – يقول المؤلـف – نسـتطيع القول بان أعظم نشاط علمي و فلسفي شهده العالم أجمـع فى الشـطر الأول مـن العصـور الوسـطي كـان فى الـبلاد العربيـة الإسـلامية (عن كتاب **Haskins: The Renaissance p 282**).

على أن الاتصالات الثقافية بين أوربا المسيحية والعالم العـربي الاسـلامى ظلـت محدودة ، ضعيفة الأثر حتى القرن الحادي عشر ، و لكن هذه الاتصـالات أخـذت تظهر قوية واضحة منذ أواخر ذلك القرن عندما بدأت العلوم العربية تنتقل إلى غرب أوربا عن طريق معابر عدة تردد عليها الأوربيون طلبا لعلوم العـرب وحضـارتهم ،

فهناك فريق كبير من الإيطاليين المشتغلين بالعلم قصدوا شمال أفريقيا مثل " قسطنطين الإفريقي " Constantine Africanus " الذي له فضل كبير على علم الطب فى أوربا لأنه قام بترجمة بعض المؤلفات اليونانية عن العربية ، و مثل " ليونارد البيزى " الذي تعلم فى شمال افريقية الرياضات العربية مما جعل منه اكبر علماء الرياضة فى أوربا فى القرن الثالث عشر .

و هناك ارض إيطالية هي جزيرة صقلية أسهمت برصيد مباشر فى حركة الترجمة عن العربية بحكم موقعها المتوسط بين أوربا و افريقية ، فضلا عن دخولها تحت حكم العرب من سنة ٩٠٢ – حتى ١٠٩١ م تقريبا . ثم احتفاظها بنسبة كبيرة من سكانها المسلمين و ثقافتها العربية فى عصر " النورمان " الذين خلفوا العرب فى حكم الجزيرة . و قد ترجم فى صقلية فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر كثير من الكتب العربية ، ففي سنة ١١٥٠ م ترجم " ايوجينوس البالرمى " Augenius of Palermo " كتاب بطليموس السكندري فى المرئيات عن العربية ، و فى سنة ١١٦٣ م ترجمت بعض كتابات بطليموس الاخري فى الفلك و الرياضيات عن العربية ، و اشتهر من المترجمين فى القرن الثالث عشر " فرج بن سيالم اليهودي " المتوفى سنة ١٢٨٥ م وهو من اصل صقلي وطلب العلم فى " سالرنو " حيث ترجم كثيرا من كتب العرب إلى اللاتينية .

على إن المركز الرئيسي للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، صار شبه جزيرة " ايبيريا " ، حيث ازدهرت حضارة المسلمين فى الأندلس ، وكثرت كتبهم فى مختلف العلوم والفنون لذلك اتجه كثير من إعلام النهضة الأوربية فى القرن الثاني عشر إلى " أسبانيا

" يطلبون العلم فى الرياضيات والفلك والطب و الفلسفة و غيرها من أمثال " أديـــلا رد " " Adelard" الانجليزى ، " وهيرمان " Hermann " من كارنيثيـــا " .
هذا عدا أهل أسبانيا من المستعربين اليهود الذين اشتغل بعضهم بنقل المعارف العربية وترجمتها مثل " دمويبقوس جوند يســـالفى " Dominicus Gondisalvi " و بطرس الفونس " Potrus Alphonsi " ، و " حنا الاشـــبيلى " Joha of Seville " ، و ابرهيم بن عزرا " Abraham ben Ezra " يقول : و كان لمدينة طليطلة شأن كبير فى مجال الترجمة هذه ، إذ انشأ " ريموند " رئيس أساقفة طليطلة مكتبا كبيرا للترجمة عن العربية فى النصف الاول من القرن الثـــانى عشـــر ، وتمت فى ذلك المكتب ترجمة كثير من أمهات المؤلفات العربية إلى اللاتينية وكان منهم " روبرت الشسترى " Robert of Chester " (١١٤٤ م) الـــذي تـــرجم القران لأول مرة إلى اللغة اللاتينية ،كما ترجم كتاب الخـــوارزمي فى الرياضـــيات ، فضلا عن بعض المؤلفات العربية الاخري فى الكيمياء والفلك ، أما النصف الأخـــير من القرن الثاني عشر ، فشهد جهود زعيم حركة الترجمة عن العربية وهو جـــيرارد الكريموناى (١١١٤ – ١١٨٧) / Gerard of Cremona .
ثم يضيف : و إذا كانت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية اتخذت لها أكثـــر مـــن مركز فى القرن الثاني عشر ، فان حركة الترجمة عن اليونانية لم يكن لها سوى مركـــز رئيسي واحد هو صقلية و ايطاليا ثم التقت الثقافات الثلاث اليونانيـــة و اللاتينيـــة والعربية ، و كانت مملكة " النورمان " فى صقلية و جنوب ايطاليا هي المكان الطبيعي لالتقاء تلك الثقافات ، ذلك أن هذا الجزء ظل مدة طويلـــة تابعـــا للإمبراطوريـــة

البيزنطية ، و لذا احتفظ بكثير من تراث اليونانيين ، كما استمرت اللغـة اليونانيـة سائدة بين نسبة كبيرة من أهاليه . ثم يقول : و يرجع الفضل فى ترجمـة كـثير مـن كتابات أفلاطون و أرسطو لأول مرة من اليونانية إلى اللاتينية مباشرة إلى " هنـرى أرستيبوس "" Henricus Aristippus " و هي التراجم التي ظلت متداولـة فى غرب أوربا بقية العصور الوسطي حتى أوائل عصر النهضة الإيطالية و ظهـر أن استيلاء الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م فتح البـاب أمـام الغرب الاوربى للتعرف على كثير من الكتب و الدراسات اليونانية القديمـة فجمـع الغربيون منها ما استطاعوا ، و ترجموا بعض ما جمعوه إلى اللاتينية فى القرن الثالـث عشر .(من كتاب Rashdall : op. cit,vol Ip 358) . ثم هناك فريـق من الإيطاليين تعلموا اليونانية عن طريق أسفارهم إلى القسطنطينية لأغراض سياسـية أو تجارية أو دينية . ثم يقول : و من الغريب أن المترجمين عن العربيـة اتفقـوا مـع إخوانهم المترجمين عن اليونانية فى معالجة موضوعات متشابهة كالفلسفة و الرياضيات و الطب و العلوم الطبيعية مما جعل هذه الدراسات تصل إلى الغرب اللاتـيني عـن طريق ترجمتها عن العربية أو عن اليونانية أو عن الطريقين معا ، و أدى إلى ذلـك أن العرب كانوا قد نقلوا إلى لغتهم كثيرا من مؤلفات اليونانيين و أبحاثهم ، و إذا كانت مؤلفات " أفلاطون " قد تعذر الحصول عليها عندئذ فى غـير اللغـة اليونانيـة (ص ٤٢٧) فان كتابات " أرسطو " أمكن الحصول على معظمها فى اليونانية والعربية .

ثم يقول : و كثيرا ما نصادف فى ذلك العصر ترجمتين باللاتينية لمؤلف واحد أصـــله باليونانية أحداهما مأخوذة عن العربية و الاخري مأخوذة عن الأصل اليوناني مباشرة ، و فى معظم الحالات كانت الترجمة عن العربية تسبق زمنيا الترجمة عن اليونانية .

ومن كتاب " تاريخ أوربا "

دكتور/ شوقي الجمل
أستاذ التاريخ
الحديث و المعاصر
جامعة القاهرة

دكتور / عبدا لله عبدا لرازق
أستاذ التاريخ
الحديث و المعاصر
جامعة القاهرة

الناشر : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات :

يقول المؤلفان في مقدمة كتابهما :- ليس من السهل علينا تحديد تاريخ معين لبداية العصور الحديثة فى أوربا اى لانتقال أوربا من العصور الوسطي إلى العصور الحديثة . و يختلف المؤرخون و الباحثون اختلافا بينا فى ذلك . فتدرج بعض المؤرخين على اعتبار القرن الخامس الميلادي – وهو القرن الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية اثر غارات البرابرة بعد إن ظلت مسيطرة على العالم قرابة أربعة قرون – بداية للعصور الوسطي .

بينما يعتبرون القرن الخامس عشر مطلعنا للعصور الحديثة ، و الحقيقة أن العصور الحديثة بمميزاتها تمت بطريقة تدريجية بحيث يصعب تعيين تاريخ محدد لنهاية العصور الوسطي فى أوربا و بداية العصور الحديثة بها .

و عن أوربا فى القرن الخامس عشر و السادس عشر و السابع عشر :-

دور الحضارة الإسلامية فى قيام النهضة الأوربية :

فى الوقت الذي كانت فيه أوربا تتخبط فى ظلمات العصور الوسطي منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية فى أواخر القرن الخامس الميلادي – و ذلك الوقت الذي ساد فيه الانحطاط العلمي ، و لم يبق اثر للحضارة و العلم فى أوربا إلا بصيص خافت فى المدارس التي لم تكن تهدف إلا إلي تخرج رجال الدين ، بينما حرم الجرمان – الذين أقاموا ممالك فى غرب أوربا – التعليم أمام الطفل على اعتبار انه يقتل شخصية الطفل ، وقالوا أن الطفل الذي يتعلم الجلوس أمام المدرس و يخشى العصا لا يصلح للحرب و القتال . فى هذا الوقت كان المسلمون فى أوج مجدهم الحضاري ، و كانت الحضارة الإسلامية تمثل قمة ما وصلت إليه الحضارات العربية و الفارسية و الهندية و الإغريقية ، فالعرب لم يغلقوا على أنفسهم أبواب المعرفة بل اخذوا من كل هذه الحضارات و مزجوها .

و كانت هناك ثلاث طرق رئيسية عبرت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوربا هي :-

١- صقلية ٢- شبه جزيرة ايبريا ٣- بلاد الشرق الأدنى

و احتكاكها بأوربا خاصة أثناء الحروب الصليبية ، فأثرها واضح فى نقل حضارة هذه البلاد إلى أوربا .

و عن سمات عصر النهضة فى أوربا

أولا : الحركة الفكرية .

١- الدراسات الإنسانية : تعتبر الحركة الفكرية من أهم مميزات النهضة فقد فرضت الكنيسة فى العصور الوسطي حجْراً على الفكر وقيدا على كل ما يتصل بالإنتاج الفكري من ابتكار أو محاولات الخروج عن المألوف . وقد بدأت الحركة الفكرية هادئة تمثلت فيما أطلق عليه (الدراسات الإنسانية) أو الحركة الإنسانية ويقصد بها دراسة التراث الانسانى (الاوربى) القديم اى الدراسات الإغريقية و اللاتينية .

٢- ظهور اللغات الحديثة (اللغات القومية) :- كانت اللاتينية هي لغة العلم و الكتابة فى العصور الوسطي ، و بعد ذلك تضاءل استخدام هذه اللغة بالتدريج حتى أصبحت مقصورة على رجال الكنيسة ، و بالتدريج وعمد بعض الكتاب و الأدباء إلى الكتابة بلغة شعوبهم و عمد بعضهم إلى استخدام بعض كلمات و عبارات جديدة ، و بالتدريج أصبحت اللغات الوليدة صالحة لتدوين العلوم و الآداب ، بل أصبح الاهتمام بهذه اللغات القومية مظهرا من مظاهر النزعة القومية و عاملا هاما يساعد على نشر الأفكار الجديدة التي أصبحت من مميزات عصر النهضة . ففي ايطاليا كتب " دانتى " **Dante** " شاعر ايطاليا كتابة الخالد الكوميديا الإلهية باللغة الإيطالية .وكتب " مونتانى " " **Montaigne** " وغيره من أدباء و كتاب فرنسا باللغة الفرنسية و فى انجلترا وضع " شوستر " قصص كانتربرى بالإنجليزية ،

و ظهر غير هؤلاء فى مختلف البلاد الأوربية وكتبوا بلغة شعوبهم ، و هكـــذا بفضل انتشار هذه اللغات و معرفة الشعوب لها ، وتفهمهم لما كتـــب بهـــا أصبح فى مقدور عامة الشعب أن يتقبلوا الآراء الجديدة و يشاركوا فيها .

٣- اتساع الطباعة و تطويرها لخدمة العلم و المعرفة :

تعتبر الطباعة أهم اختراع ظهر فى عصر النهضة ، بل هي من أعظم الاختراعات التي شهدتها الإنسانية ، وقد أسهمت فى إثراء الحياة الثقافية على مر العصـــور و الأحقاب . و يرجع الفضل فى التطور الهام الذي طرأ على الطباعـــة إلى الالمـــانى " جوتنبرج " فقد ادخل على الطباعة تحسينات عـــدة ، و أصـــبحت تســـتخدم الحروف فى الجمع ، وبذا قفزت الطباعة إلى الإمام قفزات واسعة ، و سرعان ما تلقفها الإيطاليون فادخلوا استخدام الحروف المعدنية ، و بعـــدهم اســـتخدمها الفرنسيون و الإنجليز .

٤- اختراع الورق : ثم جاء اختراع الورق ، و استخدامه في الطباعة بعـــد أن كان يستخدم ورق البردي في العصور القديمة ، و رقـــائق جلـــود الأغنـــام في العصور الوسطي ، فقد مكن كشف الورق – والنجاح في صنعه – الطباعة مـــن أداء رسالتها على خير وجه . و يلاحظ أن صاحب المطبعة لم يكـــن يلـــم بفـــن الطباعة فحسب بل جمع بين إلمامه بفن الطباعة و بين العلـــم الغزيـــر و الثقافـــة الواسعة ، و بفضل المطبعة أصبحت الدراسات الإنسانية و غيرها مـــن العلـــوم في متناول الكثيرين .

٥- الاهتمام بعلم التاريخ و الآثار :-

من الظواهر الثقافية لعصر النهضة أن الدراسات التاريخية بالذات تقوم على أسس علمية . فلم يصبح علم التاريخ مجرد سرد لما تناوله الناس ، لكنه أصبح يقوم على المصادر الأصلية فظهرت المدارس في النقد التاريخي العام على أسس علمية ، و أصبحت الوثيقة التاريخية تمر بمراحل حتى تثبت صحتها من عدمه و حتى يمكن أن تبنى عليها حقائق تاريخية أو أن يشك في صحتها ، وظهرت علوم جديدة متصلة بهذه الوثائق متعلقة بدراسة العصر الذي كتبت فيه هذه الوثيقة ، والمواد المستخدمة و أصبحت هذه الدراسات تتسم بطابع حرية الرأي وحرية التعبير وعدم التقيد بالموضوعات الرئيسية والتحرر من الخرافات والبدع " كذلك شهد عصر النهضة اهتماما خاصا بدراسة الآثار و التنقيب عنها و اعتبارها رمزا لدراسة حضارة وتطور شعب من الشعوب ، وكان الكثير من الآثار قد أهمل و أصابها التلف والضياع – فلما جاء عصر النهضة آفاق الناس لقيمتها التاريخية والفنية والحضارية واعتبروها صفحة مجد وفخار فانطلقوا ينقبون عن الآثار في مختلف الأقطار و الأماكن.

٦- العلوم الحديثة والمنهج العلمي في البحث :-

ويقوم هذا المنهج على أن الدراسة العلمية لا بد أن تمر في مراحل :-

١- فرض الفروض

٢-إجراء التجارب لاستبعاد ما يثبت خطأه

٣- محاولة تطبيق النتائج الإيجابية علي الحالات المختلفة.

٤- ما يثبت صحته منها يصبح أساسا للنظريات العلمية و النظرية العلمية تصبح صحيحة طالما لم يثبت عكسها . لكنها على كل حال قابلة للتعديل حسب ما يثبت التطبيق من صحتها أو عدمه و قد تبنى علماء العرب في العصور الوسطي هذا المنهج السليم في البحث ، و أدى هذا إلى نهضة حقيقية انتهت بهم إلى الوصول لأسس الكثير من العلوم كعلم الجبر والفلك ، و اختراعات الآلات الدقيقة و قد درسوا الضوء و الطب و الكيمياء .

(و هنا نود إن نذكر بالآيات القرآنية من رقم ٧٤ و حتى الآية رقم ٨١ من سورة الأنعام .)

ثم يقول : ويمثل (الحسن بن الهيثم) الذي ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر (٩٦٥ - ١٠٩٣ م) بالبصرة . و نظرياته في الضوء . هذا النجاح الذي أحرزه العرب في هذا الميدان . و حين بدأت النهضة الأوربية ، و ترجمت كثير من كتب العرب أخذت الجامعات الأوربية بالمنهج العلمي التجريبي ، ولعل الفضل في تبنى هذا المنهج و نشره يرجع إلى " السير فرنسيس بيكون " الذي ظهر في انجلترا في القرن السادس عشر و آلف كتابه الشهير " الإدارة الجديدة " الذي شرح فيه الطريقة الجديدة للدراسة و التفكير ، و هي الطريقة المبنية على المشاهدة و جمع البيانات و تبويبها و عمل التجارب و دراسة نتائجها بغية الوصول إلى الحقائق على أساس المنهج العلمي أو التجريبي ، و أدى استخدام هذه الطريقة إلى سهولة تناول

العلماء لكثير من أسرار الطبيعة بالبحث و الدراسة ، فتوصلوا إلى حل الكثير منـــها فأدى ذلك إلى تغيير واضح في مختلف العلوم .

و هنا أيضا نود أن نذكر الآيات القرآنية من سورة البقرة رقم ٢٦٠ :
(بسم الله الرحمن الرحيم : و إذ قال ابرهم رب ارني كيف تحيي الموتى ، قـــال أولم تؤمن ، قال بلي و لكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصـــرهن أليـــك ثم اجعل على كل جبل منـــهن جـــزءا ثم ادعهـــن يأتينـــك ســـعيا و اعلـــم أن الله عزيز حكيم) .
و قد ذكرت في الكتاب المقدس (الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ١٤ ، ١٥ قصة مشابهة لذلك هي :
"بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى " إبرام " في الرؤيا قائلا : لا تخف يا أبـــرام ، إنا ترس لك ، أجرك كثيرا جدا ، فقال إبرام أيها السيد الرب ماذا تعطـــيني و إنـــا ماض عقيما و مالك بيتي هو اليعازر الدمشقي ، و قال إبرام أيضا انـــك لم تعطـــني نسلا و هو ذا ابن بيتي وارث لي ، فإذا كلام الرب إليه قائلا : لا يرثك هـــذا بـــل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه إلى خارج و قال انظر إلى الســـماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها . و قال له هكذا يكون نسلك . فامن بالرب ، فحسبه له برا ، و قال له الرب الذي أخرجك من " أور الكلدانيين " ليعطيك هذه الأرض لترثها ، فقال أيها السيد الرب بماذا اعلم أني ارثها ، فقال له خذ لي عجلـــة ثلاثية ، و عنزة ثلاثية و كبشا ثلاثيا و يمامة و حمامة . فاخذ هذه كلها و شقها مـــن

الوسط و جعل شق كل واحد مقابل صاحبه . و أما الطير فلم يشقه فترلت الجوارح على الجثث و كان إبرام يزجرها . و لما صارت الشمس إلى المغيب وقع على إبــرام سبات ، و إذا رعبه مظلمة عظيمة واقعة عليه فقال لإبرام اعلم يقينــا أن نســلك سيكون غريبا في ارض ليست لهم و يستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة.

ثم عودة إلى كتاب أوربا (تكملة لما سبق)

٧- الكشوف الجغرافية : يقول المؤلفان أ.د شوقي الجمل ، أ.د عبدا لله عبدا لرازق أولا : كانت حركة الكشوف الجغرافية نتيجة من نتائج النهضة الأوربية و التقــدم العلمي ، و قد ساعد على

نجاح حركة الكشوف عدة عوامل :

أ- عوامل اقتصادية : كانت السلع الشرقية كالتوابل و العطر و العقاقير و الأقمشة الحريرية و البن و السجاجيد .

ب- عوامل دينية : الرغبة في تحويل السكان في البلاد التي تكتشف إلى المســيحية و أدت حركة التبشير إلى كشف الكثير من المناطق غير المعروفة .

ج- عوامل استراتيجية و أخرى سياسية : تتعلق بأهمية الموقع و ما يمكن أن تؤديــه للدولة المستعمرة من خدمات في المجال الحربي أو كطريق للمواصلات .

ثانيا : التغييرات الاجتماعية : أحدثت النهضة تغييرات عميقة في المجتمع الاوربى فقد أدت إلي الحرية الفردية و قدسيتها ، لكن الأمر تطور من تقييد كامــل للحريــة إلى

النقيض ، و أدى هذا إلى أن قد شهدت المجتمعات الأوربية – و المجتمع الإيطالي بوجه خاص تدهور في القيم الأخلاقية – حرية لا تعرف حدودا و استهانة بالآداب و خروجا على التقاليد و الأخلاق ، و تمثلت مظاهر هذا الانحلال الخلقي في الاغانى العاطفية المبتذلة و في انتشار الصور و القصص التي تتنافى مع الأخلاق .

و كان ضعف الوازع الديني بسبب ما أصبح عليه رجال الدين من تدهور و ما وجه لهم و للكنيسة من اتهامات بالإضافة إلى ارتفاع رأس المال و الثراء الذي صاحب الثورة الاقتصادية . كل هذا كان في مقدمة العوامل التي أدت إلى انتشار الفساد و تدهور المعايير الخلقية و انحلال المجتمع . و قد عبر (مارتن لوثر) عما أصاب المجتمع الايطالى بالذات بقوله :

إن كل من يذهب إلى روما يشعر بان عقيدته الدينية تترنح تحت الضربات التي تصيبه من جراء ما يرى هناك . و قد برز دور النساء في المجتمعات الأوربية و سما مركز المرآة إلى درجة لم تبلغها من قبل و تعدد نشاطها فاشتغلت بدراسة الفلسفة و الدراسات القديمة و الموسيقى و الرقص و الغناء و أصبح من سمات المجتمع تقديس الجمال و التمتع بملذات الحياة و كما يقول " ادث سيكسل " " Edith Sichel " . لقد أحدثت النهضة عصر جديدا للمرآة فقد هيأت لها مجالات جديدة و أهمية جديدة.

ثم يقول المؤلفان : و أدى انتشار الملاهي و انهيار المبادىء الأخلاقية إلى اهتزاز الكثير من المثل الدينية ، حريات أكثر من المعقول بلا حدود ، ظهور النساء في المجتمع و في كل أوجه النشاط دعوة سافرة للتمتع بالملذات في الحياة .

على انه وسط هذا الجو كان لا بد من أن ترتفع أصوات القلة التي كانت لا تزال تتمسك بأهداب الفضيلة أو تسعى للإصلاح ، و على العموم كان هناك اتجاهان للإصلاح :

الأول : يرمى إلى إصلاح المجتمع على أساس التمسك بتعاليم الدين ، ومثل هذا الاتجاه الراهب جيروم سافونا رولا (Savona Rolo ١٤٥٢ – ١٤٩٨ م) .

و الثاني : يرى إصلاح المجتمع دون التمسك بالاعتبارات الدينية وغيرها و يمثل هذا الاتجاه " نيكولا ميكافيلى " (١٤٦٩ – ١٥٢٧ م) .

وعن حركة الإصلاح الديني
و الحروب الدينية في أوربا

يقول المؤلفان : تعتبر الحركة الدينية التي اشتدت جذوتها في القرن السادس عشر الميلادي من اكبر معالم التاريخ و لا تزال نتائجها باقية إلى اليوم ، تتمثل في المذاهب الجديدة التي أتت بها حركة الإصلاح الديني ، و في الانقسام الديني في أوربا بل و في العالم الذي يدين بالمسيحية ثم إن هذه الحركة جرت أوربا إلى حروب دموية حامية . و كانت هذه الحركة اعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر و ترتب عليها إن خرج على هذه الكنيسة أكثر من نصف أوربا التي كانت تدين لها بالولاء و التي ظلت أكثر من ألف عام تحت نفوذ كنيسة روما ، و كان من أهم العوامل لذلك ما يأتي :

١- التدهور الذي أصاب البابوية و رجال الدين في روما . فقد حدث انشقاق بين رجال الدين في روما ترتب عليه انه وجد في بعض الأحيان على رأس العالم المسيحي الغربي ثلاثة بابوات (في مدينة افينون الفرنسية و روما و بيزا الإيطالية) يتنازعون على زعامة العالم المسيحي و يطعن كلا منهم في صلاحية الآخرين لتولى كرسي البابوية . و أدى هذا بالطبع إلى أن فقدت البابوية هيبتها ، و اهتزت مكانتها في نظر المسيحيين .

٢- انتشار روح النقد و التحرر الفكري : تحرر الكتاب و المفكرون من القيود التي فرضتها الكنيسة على العقول و على الكتابة و الخطابة و أدى هذا إلى

كشف النقاب عن فضائح رجال الدين و ظهرت للعيان الانحرافات الدينية التي أذاعوها .

٣- رغبة حكام ألمانيا في التخلص من سيطرة كنيسة روما

٤- صكوك الغفران : كانت هذه هي السبب المباشر للحركة الثورية التي قام بها (مارتن لوثر) . و قد نشأت فكرة هذه الصكوك عن فكرة دينية اتبعها رجال الدين و روجوا لها مؤداها أن الإنسان إذا ارتكب خطيئة و ندم علي ارتكابه لها و تاب عنها ثم اعترف بها أمام رجال الدين . فإنه لا يدخل الجنة مباشرة لكنه يظل فترة من الزمن قد تطول و قد تقصر (ليتطهر تماما من ذنوبه ، و قد أشاع رجال الكنيسة أن العذاب الذي يلقاه المذنب التائب في أثناء وجوده في المطهر يمكن تحقيقه بالحج إلى بعض الكنائس في روما و الصلاة فيها ثم زيارة قبور الرسل ، و تطورت فكرة تخفيف عذاب المطهر فأجاز رجال الكنيسة تقديم الهبات المالية للكنيسة لشراء ما أطلق عليه اسم (صكوك الغفران) بدلا من تحمل مشقة الحج إلى روما .

٥- وتطور أمر هذه الصكوك و اتسع نطاقها حتى أصبحت تباع بالجملة بل و مقدما لغفران جميع الخطايا سواء التي ارتكبها الإنسان في ماضيه أو التي سوف يرتكبها في مستقبله ، فأصبحت تحريضا سافرا على الانغماس في الخطايا طالما أن مرتكبها سيكون بمنجاة من عذاب الآخرة و قد عكف مارتن لوثر على ترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية فأتاح بذلك للشعب الألماني فرصة قراءته وتفهمه .

و قام هنرى الثامن ملك انجلترا بترجمـــة الكتـــاب المقـــدس إلى الإنجليزيـــة في عام ١٥٠٩م .

ومن كتاب التاريخ الأوربي الحديث
من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى

للدكتور عبد العزيز سليمان نوار

للدكتور محمود محمد جمال الدين

الفصل الخامس (عن الإصلاح الديني) ص ١١١

لم تكن الكنيسة مستقرة هادئة ، بل أنها تعرضت منذ البداية لعوامل مؤثره ، فالجدل الذي أثير حول طبيعة السيد المسيح ظل محتدما بينها و بين كنيسة القسطنطينية ، ثم أدى التوسع العثماني و وقوع القسطنطينية في يدهم إلي تهديد أوربا كثيرا ، كلها أمور كان لها أثرها من إقلاق الكنيسة العامة – كما يقول المؤلفان – و مع هذا كان هناك نوع أخر من الأخطار اشد و اعنف من الأخطار السابقة ، و كان أول هذه الأخطار حركة " الألبان جنسيان " **Abigensian Movement** " و هم جماعة في " لانجدوك " بفرنسا.

" و كانت هذه الجماعة تروج لعدم وجود اله واحد و لكن وجود قوتين للخير و الشر" و أقاموا أكليروسا خاصا بهم مما كان من شأنه تهديد سلطة الكنيسة في روما ، و لكن تم القضاء علي هذه الحركة سنة ١٢١٣ م .

و ثاني هذه الأخطار جاء بانتقال "البابا كلمنت الخامس" إلي مدينة افينون بفرنسا بدلا من روما التي طالما ظلت مقر خليفة القديس " بطرس " . و عرفت الفترة التي ظلت فيها : "افينون" مقرا للبابوية بفترة " الأسر البابلي **Babylonic Captivity**" و استمرت هذه الفترة لمدة سبعين عاما وحتى عاد البابا إلي روما مرة أخري في عهد البابا جريجوري الحادي عشر عام ١٣٧٨ م : و عقد مجمع ديني أخر في فرنسا و اختار بابا أخر ليكون مقره " افينون" و من هنا نشأ ما يعرف بالانشقاق الديني الأعظم " **Grand Schism**" حيث أصبح هناك اثنان من الباباوات أحدهما في روما و الأخر في افينون و أخيرا اجتاح أوربا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الموت الأسود " **Black Death**" أو ما يعرف " بالطاعون". فبالرغم مما أدي إليه هذا المرض من موت مئات الآلاف من البشر، فقد بدأت الدول تعمل علي قطع الصلات مع الدول المجاورة خوفا من انتقال هذا المرض إليها مما أدي إلي تفكك إجتماعي دولي في أوربا في هذه الفترة.

و لقد تأثر بانتقال البابوية ألي "افينون" و خضوعها لفرنسا الشعب الإنجليزي المعادي للشعب الفرنسي، و لقد تأثرت الحكومة الإنجليزية بحركة " جون ويكلف" "**John Wycliffe**" و الذي هاجم الكنيسة حينئذ ، و لذلك فقد أصدرت مرسومين في القرن الرابع عشر قطعت بهما إنجلترا الصلة بين البابوية و الكنيسة الإنجليزية و قضت بعدم أحقية البابا في اختيار رجال الدين الإنجليز و عدم السماح لرجال الدين الإنجليز بالرجوع إلي البابوية في النزاعات التي تنشأ بينهما ، بل إن علي الكنيسة الإنجليزية أن تعمل مستقلة .

الظروف التي أدت إلي تأجج الإصلاح الديني في أوربا :

أولا : تغير العقلية الأوربية من التفكير الضيق الذي ساد العصور الوسطي إلي التفكير المستنير ، و لهذا فقد رفض أبناء الطبقة البرجوازية (الذين كانوا أكثر الطبقات تفتحا و استنارة بفضل ما اطلعوا عليه من ثقافات الأمم المختلفة المتعاملين معها ، معتقدات العصور الوسطي المتخلفة التي تجعل من البابا روح الله في الأرض و تجعل من رجل الدين يد الرحمة الربانية و تجعل من الراهب الشخصية المثالية في المجتمع .

ثانيا : الآثار الناتجة عن الحركة الإنسانية : فقد رأي أقطاب الفكر في هذه الطبقة أن الأصول المسيحية يجب الحصول عليها من الكتاب المقدس مباشرة دون وساطة رجال الدين .

ثالثا : نمو الحكومات القومية الراغبة في إقامة دولة قومية بعيدة عن أي تدخل خارجي .

رابعا : رذائل الكنيسة التي كانت تزداد كل يوم عن اليوم الآخر ، فقد اشتط البابوات في استغلال سلطاهم ، كما لجأ بعض البابوات إلي تعيين أبنائهم و أقاربهم في المناصب الدينية دون وجود أدنى معرفة أو ثقافة دينية مما أدي إلي تدهور الكنيسة و تدهور مستوي الثقافة الدينية عامة . (ص ١١٦ – ١١٧). ولقد تطورت عملية المطالبة بالإصلاح علي مرحلتين : و هما إما أن تصلح الكنيسة نفسها و علي أيدي رجال فيها ، أي إصلاح من الداخل، و إما إرغام الكنيسة علي طريقة معينة ، وعلي أيدي رجال خارجين عليها ، أي إصلاح من الخارج . و بالفعل تحرك مصلحوا الداخل و كان على رأسهم " يوحنا روكلين " ، " ديزديروس أرزم " .

" يوحنا روكلين " John Reuchlin " : و كان متخصص في الدراسة العبرية و ظل لمدة طويلة الوحيد المتخصص في الدراسات الإغريقية في ألمانيا في مبدأ عصر النهضة.وقد ترجم " رو كلين " الجزء الخاص بالعهد القديم " The old Testament " و لقد نقد " رو كلين " الخرافات و البدع التي أحاط بها رجال الدين العقيدة .

و" ديزيديروس إيرزمس (أرزم):" Desiderlus Erasmus " و هو هولندي الأصل قام بترجمة القسم الخاص بالعهد الجديد من الكتاب المقدس إلي اللغة اللاتينية من اللغة اليونانية القديمة ، و قد اعتمدت هذه النسخة الكنيسة الكاثوليكية بعد ذلك .

أسباب قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا

أولا : طبقة البرجوازيين .

ثانيا : طبقة الفرسان .

ثالثا : طبقة الفلاحون.

رابعا : الصراع بين الإمبراطورية و البابوية .

خامسا : اخترع الطباعة : كانت ألمانيا موطن اختراع الطباعة عن طريق الحروف المتحركة مما ساعد علي نشر الكتاب المقدس و انتشاره في ألمانيا. و منذ ذلك الوقت بدأ الرعايا في قراءة الكتاب المقدس ، و اكتشفوا أن ما يروي عليهم من جانب

رجال الدين به مخالفات و متناقضات عما هو موجود في الكتاب المقدس و بدأ منـــذ ذلك الحين الشك يساور العقول في حقيقة رجال الدين.

" مارتن لوثر " " **Martin Lother** " (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م).

بدأ لوثر خطواته الإصلاحية بالاحتجاج على عملية بيع صكوك الغفران ، إذ أن " يوحنا تتزل " كان فد بدأ سنة ١٥١٧ م في بيع صكوك الغفران لصالح بعض البابوات و الآمراء الألمان .

ثانيا : حركة الفرسان : كانت لهذه الطبقة من قبل امتيازات ضخمة نتيجة لما يقومون به في الحروب .

ثالثا : ثورة الفلاحون : **Peasants War** . انتشرت ثورة الفلاحين في كل من الحوض الادني لنهري الألب و الراين ، و سكسونيا و كارينيثيا و تلخصت مطالـــب الفلاحين في :

١- إلغاء الرق : و أن يعامل الفلاحون بالطريقة التي وضـــعها الكتـــاب المقـــدس و ليس كعبيد .

٢- عدالة القيمة الإيجارية للأرض الزراعية .

٣- قصر ضريبة العشور علي الحبوب .

٤- إعطاء الفلاحين الحق في الصيد .

٥- إعطاء الفلاحين الحق في تعيين رجال الدين في مناطقهم .

و عن نشأة دوقية موسكو

كانت أوربا الكاثوليكية تمتد من شواطئها الغربية حتى بولنده ، أما ما وراء ذلك في اتجاه الشرق – حيث كانت توجد دوقية موسكو الناشئة ، و كانت الأرثوذكسية هي المذهب الشائع ، و السلافية هي اللغة السائدة ، و يبدأ تاريخ هذه الدوقية بوضوح في عهد " ايفان المرعب " (١٤٦٢ – ١٥٠٥ م) الذي استطاع أن يعلن استقلاله عن الإمبراطورية المغولية فكان ذلك بداية لنمو دولة جديدة ، و كانت هذه الدوقية تقوم وسط سهول واسعة ممتدة شرقا و غربا و جنوبا و شمالا ، و حيث أن السويد كانت قد أصبحت دولة قوية تمد سلطانها علي شواطيء بحر البلطيق ، و حيث أن بولنده الكاثوليكية كانت تمثل حاجزا قويا في وجه أي توسع من جانب دوقية موسكو في اتجاه الغرب ، و حيث أن الأتراك العثمانيين كانوا في ذروة قوقم و بسطوا حمايتهم علي خانات القرم فسدوا الطريق إلي البحر الأسود ، اتجه الروس إلي الانتشار نحو الشرق . كان الروس في اتجاههم شرقا لا يقومون بمجرد عمليات غزو و توسع ، و إنما كانوا يقومون بعمل حضاري متعدد الجوانب حتى بعد أن عبروا الاورال ، و توغلوا في سيبريا . و كانوا يقومون ببناء المدن و أعمال تجارية ناجحة أدت إلي انتعاش البلاد ماديا ، و نظرا لما كان في روسيا الشمالية من ثورة ضخمة تتمثل في الحيوانات ذات الفراء ، لذلك جاء المغامرون الأوروبيون الباحثون عن الفراء و الثروة إلي روسيا . (من ص ٢٢٧)

و من الموسوعة العربية الميسرة

عن الكتاب والكتابة

أ- المجلد الأول ب- المجلد الثاني

تقول الموسوعة:تحت إشراف الأستاذ الدكتور" أشرف غربال"

عن الخط المسماري

طريقة للكتابة استخدمت في أدنى وادي الرافدين، و الأرجح أن السومريين كانوا أول من ابتكرها و طورها. و منشأ التسمية أن الخطوط القديمة المستخدمة كانت رؤوس العلامات فيها تنتهي بما يشبه المسامير أو المخروطات ، نقشها السومريين علي ألواح من الطين أو الحجارة ، و استخدموا في ذلك أقلاما من القصب ، و يرجع تاريخ النقوش المسمارية إلي نفس الزمن الذي بدأت فيه الكتابة الهيروغليفية (٢٠٠ ق.م). واستخدم البابليون و الآشوريين الكتابة المسمارية علي نطاق واسع كما استخدمها الحيثيون و السيلاميون و الحوريون و غيرهم، إذ كان إيجاد طريقة التدوين مفتاح التطور الحضاري في تاريخ الشرق الأدنى ، و في بلاد فارس القديمة دَوَنَ الملك الأخميني " دارا الأول" مآثره في منحوتات "بهمسون" بثلاث لغات الفارسية القديمة و العيلامية و البابلية مما أدى إلي حل رموز الخط المسماري. كما كان للألواح التي عثر عليها في مدن : نينوي ، لجشىء ، إرك (لوركاء) ، تل العمارنة ، بوغازكوى فضل كبير في معرفتنا بطلاسم ذلك الخط. و وجدت في نينوي

مكتبة مسمارية ضخمة خاصة بالملك الآشوري " أشورباتيبال" و اشتهر من أعـــلام الباحثين في هذا الميدان " هنري سي" و " دولنصن" و " ج.ف.هرونقذ" .

و عن الطباعة

تقول الموسوعة : أو كما جاء بها :

اخترعت حروف الطباعة في الصين، و تقدمت صناعة الحروف المنفصلة في كوريـــا قبل أوربا. و كان " يوهان جوتنبرج " (١٣٩٨ – ١٤٦٨ م.) من " ميتز" بألمانيـــا أول من فكر في صنع الحروف المتفرقة، و المعروف أن أول مطبوعة له كان " إنجيـــل مازران" سنة ١٤٥٦م. ، و تدعي هولندا أن " لورانس جانزون كوستر" من هـــارلم سبق جوتنبرج في إختراعه، و أنه قام بعمل الحروف المتفرقة من الخشب ١٤٢٣م. ثم اتبعها بأخرى من الرصاص و القصدير، و سرعان ما انتشر فن الطباعة بأوروبا. ففي عام ١٤٦٤ نقل " سوينهم" "و بانابرنز" الألمانيان هذا الفن إلي إيطاليا بإنشاء مطبعة " بالبندقية" (فينيسيا) ١٤٦٩م ثم تبعهما نقولا جوجسون الفرنسي بـــين ١٤٧٠ – ١٤٨٠م و أدخل الطباعة في فرنسا ١٤٧٠م ثلاثة من الألمان هـــم " كرانتـــز" و " جيرنج" و " فريبيرجر" فأقاموا دار الطباعة – بجوار السوربون ببـــاريس. و كـــان " لامبرت بالمرت " أول طباع أسباني بدأ عمله ببلنسيه عام ١٤٧٤م. أما في إنجلتـــرا فقد كان وليم كاكستون _(من كنت) أول من مارس الطباعة فيها عام ١٤٧٦م. و كان قد تعلم الفن في " كولون" و كانت باكورة إنتاجه بإنجلترا طبع مجلـــد ديـــني

وزع ١٤٧٦م . و لما توفي عام ١٤٩١ أشرف مساعده " وبنكين" علـــي مطبعتـــه. رأت "فينا" أول مطبعة عام ١٤٨٢م ، و أيسلندا عام ١٥٣١م ، كراكو ببولندا عام ١٥٧٨. أما في العالم الجديد فقد بدأت الطباعة بمدينة المكسيك عندما أدخل " جون كرومبرجر" الأسباني أدوات الطباعة و معها طباع يدعي " جيوفاني باولي" بطلـــب كبير الأساقفه الحاكم عام ١٥٣٩.

و في الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر ستيفن داي (١٥٩٤ – ١٦٦٨م) المستوطن الإنجليزي أول طباع باللغة الإنجليزية في المستعمرات الإنجليزية ، و يتصـــل كـــذلك باسم أبنه "مايثوداي" (١٦٢٠ – ١٦٤٩م) بالطباعة.

ثم جاء بالموسوعة: لم يطرأ علي عملية الطباعة من الناحية الميكانيكية تعديل كبير فيما بين القرنين ١٥ – ١٩ : ففي عام ١٨١٠م استخدم " فردريخ كـــوينيج " الآلـــة البخارية في الطباعة. و في سنة ١٨٤٦ – ١٨٤٧م صمم " ريتشارد مارش" مطبعـــة دوارة تثبت فيها الحروف علي اسطوانة. و في سنة ١٨٦٦ سجلت بريطانيـــا آلـــة طباعة ذلت ألواح منحنية تسبك عليها الحروف. و في نهاية القـــرن ١٩م اخترعـــت آلات جمع الحروف. و منذ ذلك الحين تطورت بسرعة آلات الطباعـــة الســـريعة، و لاسيما في ناحية التصوير الملون .

لم تظهر حروف الطباعة العربية إلا يوم طبع كاهن دومينكي أسمـــه " مارثـــان روث" ١٤٨٦م عند ازدهار رويش " بمدينة ميتز كتاب " برنارد ده برايدنباخ " الذي كتبه باللاتينية و وصف فيه رحلته إلي الأماكن المقدسة. و قد ظهر فيه أول أبجدية عربيـــة

كاملة مع طريقة النطق بها في حروف لاتينية ، و لم يحتو الكتاب علي أي نص مؤلف من جمل عربية. و لما أراد " فردينان و ايزابل " أن يتيحا للأندلسيين المسلمين أن يرتدوا إلي المسيحية كلف الملك جماعة من المبشرين القيام بالتبشير، فاستدعي المطران " فرناندز ده تالافير " رجلا أسمه " خوان فاليرا" و كلفه أن يطبع كتابين للمبشرين الذين يجهلون العربية و قد صدرا في غرناطة عام ١٥٠٥م . و كان عنوان الأول " وسائل تعلم قراءة اللغة العربية و معرفتها" وعنوان التالي " معجم عربي" بحروف قشتالية.

و صدر كتاب المزامير بخمس لغات هي العربية و الكلدانية و اليونانية و اللاتينية و العبرانية عام ١٥١٦م . في " باولي" بجنوه . أما الطباعة العربية في القرن ١٦ فهي كتاب " الإنجيل" المطبوع ١٥٩١ بمطبعة " آل مديتشي" و هو أول مطبوع عربي مصور، أفتي شيخ الإسلام عبد الله أفندي ١٧١٦م بتركيا بجواز استخدام الطباعة في نشر الكتب، و أول كتاب أخرجته المطبعة التركية ترجمة " قاموس وافقولي " عام ١٧٢٨ إلي اللغة التركية. و عرف لبنان الطباعة عام ١٦١٠ بفضل رهبان دير " قزحيا " و كان أول مطبوع المزامير بالسريانية و الكرشونية و كانت مطبعة دير " مار يوحنا الصايغ " أول مطبعة تطبع بالحروف العربية بلبنان عام ١٧٣٤م.

و أول مطبعة بيروتية عرفت عام ١٧٥١م و المطبعة الأمريكية ثانية المطابع التي أنشئت ببيروت عام ١٨٣٤م ، و كانت حلب أول مدينة سورية وجدت فيها الطباعة العربية بفضل البطريك " أثناسيوس دباس " (١٧٠٦ – ١٧١١) ثم توقفت

عن العمل. و جاءت المطبعة إلي دمشق في أثنـــاء احـــتلال جـــيش إبـــرهيم باشـــا الأراضي السورية.

و عرفت مصر الطباعة عندما احتلها الفرنسيون بين عام ١٧٩٨ /١٨٠١ م إذ زود نابليون حملته بمطابع جهزها بحروف عربية و فرنسية و يونانية و قام فرنسي بطبع صحيفة " لوكورسيه دي ليجبت" و مجلة العشرية المصرية ثم أسس محمد علي والي مصر مطبعة بولاق ١٨١٩م و كان أول ما طبعته " قاموس عربي إيطالي". و في عام ١٨٢٨ طبعت الوقائع المصرية ثم تأسس عدد من المطابع الصغيرة ، و عرفت أول مطبعة حجرية بالعراق عام ١٨٣٠ ، طبعت كتاب دوحة الوزراء في تاريخ وقائع الزوار. و لم ترسخ الطباعة بالعراق إلا في عام ١٨٥٦ حين أسس الرهبان الدومينكان في الموصل مطبعة كاملة. عرفت الطباعة بفلسطين عام ١٨٣٠، و أنشئت أول مطبعة في عمان بالأردن عام ١٩٢٢م ، و في اليمن ١٨٧٧ ، و بالحجاز ١٨٨٢ و بالكويت ١٩٤٧ .

و عن الكتاب

تقول الموسوعة العربية الميسرة: ص ١٤٤٠

"كتاب" (لاحظ هنا جيدا أيها القاريء العزيز) : لا نستطيع أن نحدد تماما مـا هـو التاريخ الذي ظهر فيه الكتاب لأول مرة ، و نقصد هنا الكتاب بمدلوله الحديث، أي مجموع الصفحات المكتوبة المخطوطة أو المطبوعة موصولة أو مثبتة أو خيط بعضها في بعض، و أصبحت وحدة قائمة بذاتها.

نشأ الكتاب في العصور القديمة مع نشأة اللغة من ناحية ، و مع نشأة الفن من ناحية أخرى يتصل الكتاب بتاريخ الطباعة في القرن ١٥ الميلادي. طبعت كتب " لجوتنبرج " مخترع الطباعة. بين سنة ١٤٤٨ – ١٤٥٦م . لكنها لم تحمل اسمه و منها التـوراة عام ١٤٥٦. فرغ " فوست" ممول جوتنبرج و زوج ابنته " بيتر شـوفر" في ١٤٥٧ من طبع مزامير " مينتز" و يعتبرها بعض المؤرخين أول كتـاب مطبـوع بـالحروف المتفرقة، موضح فيه مكان الطبع و تاريخه و أسم الطبّاعين. و في " ستراسبورج " طبع " جوهان منتلان" كتابا عام ١٤٥٨م . و حذا " البرخـوت " حـذوه في بـاميرج ١٤٦٠. و يعتـبر " مـول" أول طبـاع نشـر كتابـا مصـورا لمؤلـف أسمـه " بريز" عام ١٤٦١.

انتشر طبع الكتب في مدن كثيرة بعد عام ١٤٦٢. أنشأ "أنطـوان كـوبرجر" في " نورمبرج" ١٤٧٠م. اكبر مؤسسة مطبعية كانت تضم ٢٤ آلة طباعة. و قد عملت لحسابه عدة مطابع بسويسرا و فرنسا و ألمانيا . و لما نمت مالية شركته نشر موسوعة

كبيرة " تاريخ العالم" أو " تاريخ نورمبرج " صدرت في لندن. و كانت لكــل لغــة طبعتان، و احتوت هذه الموسوعة علي عدد ١٨٠٩ صورة مطبوعة علي ٤٦٥ لوحة خشبية مختلفة. و نشر الألماني " أ_لرنج هاهن" أول كتاب مصور بإيطاليا عام ١٤٦٩ عنوانه " التأملات " إشتمل علي ثلاث صور محفورة في المعدن . ثم يقول : احتلــت البندقية المكان الأول لإصدارها ٣٨٤ لوحة خشبية. مطبوعة للتوراة عام ١٤٩٠م. صدر في فرنسا أول كتاب مصور عام ١٤٧٨م.

و في " أوجبرج" بألمانيا طبع " زايلر" (توفي عام ١٤٧٨) أول كتاب مصور كــبير في مجلدين أشتمل علي ١٣١ صورة محفورة في الخشب، و صور أول إنجيل محلى بالصور عام ١٤٧٥م بأوجبرج طبعة " فلافزمان" . و في ١٥٤١م بدأ " جوهان أويورينوس" طبع القرآن بعد ترجمته إلي اللاتينية و كان ذلك في بازل و تم طبعه عام ١٥٤٢م.

كان " رومولد مركانور " أول من أستعمل كلمة أطلس لمجموعة الخرائط و نشر عام ١٥٩٥ مجموعة منها كان قد أعدها والده جرهارد (١٥١٢ – ١٥٩٤) م و تبع ذلك نشر الكتب في كميات كبيرة .

ازدهر في القرن ١٩م طبع كتب الأطفال و كان منشؤها في القرن ١٨م. ثم يقــول امتاز الفرنسيون علي غيرهم في معالجة غلاف الكتاب، و أوجدوا له فنا ، و يعتــبر الأخوان " بوزريان" و معهما " كورتفال" في طليعة العاملين بهذا الميــدان. و تطــور الغلاف بإنجلترا بإستخدام الورق المقوى الذي يكسى و يزين بالزخارف المختلفــة و

الألوان. و يمكن إيجاد تاريخ الكتب المطبوعة باللغات العربية و التركية و الفارسية في بعض البلاد الأوربية كما يلي:

في عام ١٥١٦م طبع " الزبور" بأربع لغات إحداها العربية بجنوه. ثم طبعت الأناجيل الأربعة في فينا عام ١٥٥٥م . و نشر " دومنيك باسا " أول كتاب علمي باللغة العربية عام ١٥٨٤م. و هو " البستان في عجائب الأرض والبلدان لسلاملي بن كندندي الصالحي . انتقل طبع الكتب العربية إلي تركيا و لبلاد العربية. طبع أول كتاب عربي بالحروف العبرانية عام ١٤٩٠ بالآستانة و هو ملخص تاريخ اليهود " ليوسفوس بن كريون" و ظهرت الطباعة بالحروف العربية علي عهد السلطان أحمد في الغقد الثاني من القرن الـ١٨ . و يرجع ذلك إلي محمد علي و أبنه سعيد الذي اتفق مع رجل مجري مسلم علي جلب مطبعة تامة الأدوات و أخذ في نشر بعض أمهات الكتب ما عدا الدينية منها . و أول كتاب طبع بهذه المطبعة هو " صحاح الجوهري" المنقول إلي التركية ، ثم تاريخ الحاج خليفة " تحفة الكبار في أسفار البحار " عام ١٧٢٨م . ثم توالى طبع الكتب و الخرائط.

و في القرن ١٩ كثرت المطبوعات العربية المطبوعة بتركيا. طبع أول كتاب بـبيروت في مطبعة القديس "جورجيوس" عام ١٧٥١م ، أما في مصر فقد بدأ طبع الكتاب العربي في أيام " محمد علي" بمطبعة بولاق ، و كان أول كتاب " قاموس إيطالي عربي" ١٨٢٢ – ١٨٢٣م و كتاب " قانون الصياغة" عام ١٨٢٣م ، ثم توالى طبع الكتب العسكرية باللغتين العربية و التركية في أوائل النصف الثاني من القرن ١٩ عني بطبع كتب التراث القديم .

و عن الكتاب المقدس

تقول الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٤١:

مجموعة أسفار العهد القديم و العهد الجديد . و يذهب المسيحيون علي أنه بقسميه وحي من عند الله ، و يختلف الكاثوليك و البروتستانت في تفسيره، فيري الأخيرون أن كل مؤمن له الحق في تفسيره عند قراءته. و يري الأولون أن الكنيسة وحدها هي صاحب الحق في تفسيره، و علي المؤمنين أن يقبلوا تفسيرها، و اشهر مخطوطات الكتاب المقدس " المخطوط الفاتيكاني" (يوناني في القرن الرابع) ، و الإسكندري (يوناني من القرن ٥) و هما في المتحف البريطاني و مخطوط بيرة (يوناني و لاتيني من القرن ٦) في كيمبردج ، و قد حقق القديس بيريموس أول ترجمة لاتينية له ، و تسمى أيضا " الفولجات " أي الشائعة ، و لا تزال تستعمل في الكنيسة الكاثوليكية. ترجم الكتاب المقدس إلي معظم لغات العالم و له عدة ترجمات باللغة العربية.

مصر في فجر الإسلام

من كتاب مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية

للدكتورة " سيدة إسماعيل الكاشف

مكتبة الأسرة ١٩٩٩ (مهرجان القراءة للجميع) الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقول الكاتبة تحت عنوان:

مقدمة : في الفتح العربي

كانت مصر ولاية رومانية ، ثم بيزنطية منذ انتصار " أغسطس قيصر" علي كليوباترا في موقعة أكتيوم سنة ٣١ ق.م و استيلائه علي مصر سنة ٣٠ ق.م و قضائه نهائيا علي دولة البطالسة فيها.

و لا يهمنا في هذه المرحلة من تاريخها الطويل إلا أنها كانت أخذه في الضعف و الانحلال – كما تقول المؤلفة – و أن الإصلاحات التي أدخلت فيها لم تكن ترمي إلا إلي غرض واحد . هو تنظيم استغلال البلاد حتى يعم النفع الكثير للإمبراطورية لا للسكان الوطنيين. و لم يدع الرومان وسيلة إلا ابتكروها لاستغلال موارد البلاد إلي أقصي حد ممكن (أنظر **Johnson . Roman Egypt Vol. II P.484**) . و لم تختلف مصر في هذه الناحية في العهد البيزنطي (٢٨٤ – ٦٨٠م) عما كانت عليه في العهد الروماني (٣١ ق.م – ٢٨٤م) (أنظر **Munier: l'Egypt**

Byzantine P. 76) بل ازدادت الأعباء المالية تعقيدا ، و لم يجد أغلب المصريين مخرجا من هذه الحالة السيئة سوى الفرار إلي المعابد و الأديرة و هجر مزارعهم و قراهم ، فانتشرت الفوضى في البلاد و عم الاضطراب جميع المرافق الاقتصادية. و لا أدل علي ذلك من أن قمح مصر الذي كانت روما تعتمد عليه لإطعام أهلها لم يعد يكفي ، و كان لابد لها من استيراد قمح افريقية مضافا إلي قمح مصر منذ أوائل القرن الثاني و أوائل الثالث الميلادي . (انظر :

(Milne: A history of Egypt Under Roman Rule P.60

كذلك كان الشعب المصري محروما من الاشتراك في حكم بلاده و كان يعامل معاملة المغلوب علي أمره . ثم تضيف الكاتبة الفاضلة :

و فضلا عن ذلك فأن اللغة الرسمية للحكومة منذ عهد البطالسة حتى الفتح العربي كانت اللغة اليونانية. (Munier: l'Egypt Byzantine P. 89) كذلك جرم المصريون من الاشتراك في جيش بلادهم ، و قد استسلم المصريون في معظم هذه الفترة ، و ثاروا أحيانا أخري . و كان من أخطر الثورات تلك التي حدثت في عهد الإمبراطور " ماركوس أورليوس" " "Marcus Aurelius (١٦١ – ١٨٠ م) و تعرف بحرب الزراع، أو الحرب البوكولية نسبة إلي المنطقة التي كانت تعرف بأسم Boucolia في شمال الدلتا . (Jouguet: OP. Cit P.369) و لكن كان يقضى علي هذه الثورات دون هوادة و لم يلبث أن ظهر عامل جديد في الأفق حول الشعب المصري من شعب وديع مسالم إلي شعب عنيد مقاوم ، ذلك العامل هو ظهور المسيحية في مصر و انتشارها فيها . فقد كانت مصر

في طليعة البلاد التي تسربت إليها المسيحية في القرن الأول الميلادي. و أخذت في الانتشار تدريجيا في جميع أنحاء مصر منذ القرن الثاني الميلادي إلا أن الاباطرة الوثنيين ناصبوا المسيحية العداء(انظر Munier: l'Egypt Byzantine P.8)

أول التقويم القبطي سنة ٢٨٤م

و كان بدأ اضطهاد الحكومة لمسيحي مصر اضطهادا منظما خلال حكم الإمبراطور (Septimius Severus) (١٩٣ – ٢١١م) (أنظر نفس المصدر السابق الإشارة اليه) و ظلت المسيحية في مصر تلقي اضطهادا كثيرا و تسامحا قليلا إلي أن تولي عرش الإمبراطورية دقلد يانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م) فبلغ اضطهاد المسيحيين أقصاه ، و قابل المصريون ذلك الاضطهاد من جانبهم بكل ما أتوا من قوة و عناد. و ليس أدل علي ذلك من أن الكنيسة القبطية بدأت تقويمها الذي أسمته تقويم الشهداء بالسنة الأولي من حكم دقلد يانوس (٢٨٤م) نتيجة لما ترك هذا الضطهاد من اثر عظيم في نفوس القبط

(Munier: OP.Cit P. 9 – 10, Milne: OP.Cit P.218)

و لم تلبث المسيحية أن أحرزت نصرا مبينا لاعتراف الإمبراطـور قسـطنطين الأول(٣٢٣ – ٣٣٣م) بها دينا مسموحا به ضمن الديانات الأخرى في الدولة الرومانية . ثم أصبحت المسيحية الدين الرسمي الوحيد في جميع أنحاء الإمبراطوريـة الرومانيـة و ذلك في عهد الإمبراطور تيودوسـيوس الأول (٣٧٩ – ٣٩٥م) الـذي اصـدر

مرسوما بذلك في سنة ٣٨٠م ، (Munier: OP. Cit P.38-39) و لم يلبث أن حرم العبـادات الوثنيـة في مرسـومين اصـدرهما سـنتي ٣٩٢ – ٣٩٤م . (المصدر السابق الإشارة إليه ص ٣٧) علي أن مصر المسيحية. لم تنعم بهذا النصـر الذي أحرزه الدين المسيحي ، إذ ثار التراع و الجدل من أيام " قسطنطين الأول" بين المسيحين حول صفات المسيح و طبيعته ، و قد تدخل قسطنطين و من أتي بعده مـن الأباطرة في هذه المنازعات الدينية البحتة ، و عقدوا من أجل ذلك المجامع الدينية إلا أن أغلب الأباطرة اتخذوا سياسة دينية مناوئه لمعتقدات المسيحيين في مصر، فما احتدم التراع بين الفريقين و بلغ ذلك التراع الديني بين كنيستي الإسكندرية و القسطنطينية أقصاه منذ حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي حينما اختلفت الكنيستان حـول طبيعة المسيح. فذهبت الكنيسة المصرية إلي القول بـأن للمسـيح طبيعـة واحـدة "Monophysite" و أما كنيسة القسطنطينية فقالت بأن للمسيح طبيعتين و قـد دعي الإمبراطور " مرقيان " "Marcian" (٤٥٠ – ٤٥٧م) من أجل ذلـك إلي مجمع ديني في خلقدونية بآسيا الصغرى (سنة ٤٥١م) فأقر ذلـك المجمـع مـذهب الطبيعتين، و قرر أن مذهب الطبيعة الواحدة كفر و خروج علي الدين الصـحيح . كما قرر حرمان " ديسقورس" بطرك الإسكندرية من الكنيسة . إلا أن المسألة لم تكن مسألة دينية فحسب و إذ أتخذ الخلاف الديني في مصر شكلا قوميا (نفس المرجـع السابق ص ٤٥) فلم يقبل ديسقورس " Dioscorus" و لا مسيحيو مصـر مـا أقره مجمع خلقدونية . و أطلقوا علي أنفسهم " الأرثوذكسيين " أي أتبـاع الديانـة الصحيحة . و لا زالوا يعرفون بذلك الاسم إلي اليوم ، أما أتباع الكنيسة البيزنطيـة

فقد عرفوا بعد الفتح العربي باسم الملكانيين (من الكلمة العربية : ملك " لإتبـاعهم مذهب الإمبراطور (المصدر السابق ص ٤٨)

و منذ ذلك الحين تعرف الكنيسة المسـيحية في مصـر باسـم الكنيسـة القبطيـة الأرثوذكسية ، و تعرف أحيانا بالكنيسة اليعقوبية ، نسـبة إلي يعقـوب البرادعـي " **Jacob Baradeus**" أسقف مدينة " الرها المونوفيزي" في النصف الثاني مـن القرن السادس الميلادي الذي زار مصر ضمن بلاد الشرق الـتي زارهـا لتنظـيم الكنائس المونوفيزتية – و لكن يصعب أن نجد اسمه ضمن الحوليـات المصـرية لأن الأقباط لم يقبلوا تدخل السوريين في شـئوهم الكنسـية مثلمـا تـدخلت كنيسـة القسطنطينية من قبل (المصدر السابق ص ٦٣).

و مما يدل علي أن المسألة الدينية في مصر تطورت إلي مسألة قومية أو امتزجت بها.

و مـا يـذكره " سـاويرس" (مـن كتـاب سـير الآبـاء البطاركـة ص ٩٨) (**Patr. Orient.t3**) عن رهبان أحد الأديرة بـأنهم لم يحيـدوا عـن المـذهب الأرثوذكسي و لم يقبلوا المذهب الخلقدوني لأنهم مصريون. و بعد مجمـع خلقدونيـة وقع المصريون أبناء الكنيسة الأرثوذكسية – تحت اضطهاد الأباطرة . و قد كتـب أملينو (**Amelineau**) من كتاب (**Etude Sur Le Christianisme En Egypt P.P 1.2**) أن حرمان " ديسقورس" و طرده من الكنيسة في مجمع خلقدونية كان فاتحة لمأساة عظيمة مثلت أدوارها في منتصف القرن السابع الميلادي و انتهت بزوال سلطان المسيحية من مصر . و قد فرح المصريون بثورة هرقـل ضـد الإمبراطور " فوقاس" "**Phocas**" (٦٠٢ – ٦١٠م) و ساعدوا قائده " نيقتـاس "

"Nicatas" الذي وكل إليه الاستيلاء علي مصر لقطع الغلة عـن القسـطنطينية (من بتلر : فتح العرب لمصر). و فرح الشعب المصري أيضـا عنـدما تم تتـويج هرقـل إمبراطـورا في سـنة ٦١٠م و رحبـوا بمقـدم جنـوده (Munier: OP. Cit. P.65) و لعل المصريين كانوا يعتقدون أن حكم هرقل (٦١٠– ٦٤١م) سيكون اخف وطأة من حكم من سبقه مـن الأبـاطرة و أنـه سيكون خاتمة للإضطهادات و سفك الدماء .

و ما لبث الفرس أن غزوا مصر سنة ٦١٦م في عهد ملكهم "كسري الثاني " (بتلـر ص ٦٣) و بقوا سادت البلاد إلي أن اضطروا للجلاء عنها عندما حارب هرقل بلاد الفرس نفسها سنة ٦٢٩م . (Munier: P. 68) . علي أن هرقل بعد أن أنقذ الدولة من الفرس راي أن ينقذها من الخلاف الـديني فأصـدر صـورة للتوفيـق " Mono Thelma " تقضى بأن يمتنع الناس عن الكلام في طبيعـة المسـيح و صفته. و أن يعترفوا جميعا أن له إرادة واحدة – و لم بفطن هرقل – كما تقول المؤلفة – إلي أن مذهبه الذي حاول به التوفيق قد يأباه أهل مصر (بتلر ص ١٥٥) كما أنه وقع فيما وقع فيه " جستنيان " ٥٥٧ – ٥٦٥م مـن إسـناد الرئاسـة الدينيـة و السياسية لشخص واحد هو " قيرس" (ليكون بطركا و واليا معا (من كتاب سـير الآباء البطاركة ص ٢٢٦) لساويرس بن المقفع) ، الذي يعرف عند مؤرخي العـرب باسم " المقوقس " و قد أخذ " قيرس " المصريين بأحد أمرين إما الدخول في مـذهب هرقل الجديد و إما الاضطهاد و قبل أن يصل هذا الحاكم الجديد إلي الإسكندرية في سنة ٦٣١م . هرب البطرك القبطي " بنيامين" توقعا لما سيحل بـه و بطائفتـه مـن

الشدائد من جراء فرض المذهب الجديد (أنظر ساويرس بن المقفع ص ٢٢٦). و قد قاسى الأقباط جميع أنواع الشدائد من جراء اضطهاد " قيرس" الذي فاق كل اضطهاد حتي تحول كثير ممن لم يستطيعوا الهرب إلي المذهب الجديد و منهم بعض الأساقفة ، و صمد كثيرون ضده من بينهم الأب " مينا " أخ البطرك " بنيامين " رغم التعذيب و الاضطهاد الذي ناله من جراء ذلك (ساويرس ص ٢٢٦ – ٢٢٨) .

و من ذلك نرى أن سيف " قيرس" قطع أخر ما كان يربط المصريين إلي الدولة البيزنطية من أسباب الولاء (بتلر : فتح العرب لمصر ص ١٧٠) و تمهد السبيل بذلك لفتح مصر علي يد دولة ناشئة قوية ، تلك هي دولة العرب . فبعد أن أزال العرب تقريبا ملك الأكاسرة في فارس عقب انتصارهم في موقعة القادسية (أواخر سنة ١٦ هـ) و استيلائهم علي عاصمتهم " المدائن " و بعد استيلاء العرب علي بلاد الشام و فلسطين كان لابد من التفكير في غزو مصر.

و من الباب الثالث من كتاب مصر في فجر الإسلام
للدكتورة / سيدة إسماعيل الكاشف

تقول تحت عنوان : انتشار الإسلام و تعريب مصر

العرب و القبط : كان للفتوحات العربية اثر ملحوظ في سرعة انتشار الدين الإسلامي في كافة الأقاليم التي فتحها العرب خارج شبه الجزيرة العربية ، فدخل الدين الإسلامي في هذه البلاد بدخول العرب فيها ، و ما لبث أن تغلب علي الأديان التي وجدت قبله ، و أصبح المسلمون أغلبية فيها ، و مع ذلك كله – كما تقول المؤلفة – فالثابت أن الدولة العربية التي قامت علي أساس الدولة الدينية و التي كان شعارها حماية ذلك الدين و القيام لنصرته ، لم تضطهد أحدا من أهل الذمة أو ترغمه علي ترك دينه ، ذلك أن القرآن لا يرضى الإكراه للدخول في الدين الإسلامي ، و في هذا يقول الله سبحانه و تعالى (لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة و يقول سبحانه مخاطبا الرسول صلي الله عليه و سلم : (لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الآية ١٩ من سورة يونس. و إلي غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي تفيد هذا المعني. و قد رأينا العرب في مصر و في غيرها من لبلاد التي فتحوها يخيرون أهل البلاد المفتوحة بين ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو الحرب ، لم يشتط العرب في تقدير الجزية ، بل راعوا في تقديرها ثروة الفرد ، فالغني لا يجبي منه مثل الفقير أو متوسط الحال .

و يقول الكونت دي كاستري (في كتابه الإسلام خواطر و سوانح ص ٣٩ — ٤٠) إن الإسلام لم يكن له دعاه مخصوصون يقومون بالدعوة إليه و تعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية و لو أنه كان للإسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع ، فإنا شاهدنا الملك شارلمان استصحب معه علي الدوام في حروبه ركبا من القسس و الرهبان ليباشروا فتح الضمائر و القلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدائن و الأقاليم بجيوشه ، و لكنا لا نعلم للإسلام مجمعا دينيا و رسلا و لا أحبارا وراء الجيوش ولا رهينة بعد الفتح فلم يكره أحد عليه بالسيف و لا اللسان .

وعن اللغة

تقول المؤلفة في ص ١٩٠ من الكتاب : و نلاحظ أن الفتح العربي ساعد أولا علي إحياء اللغة القبطية علي حساب اليونانية التي كانت اللغة الرسمية منذ عهد البطالسة ، فالدروس الدينية التي كانت تقرأ باليونانية و تشرح باللغة القبطية ، صارت لا تقرأ إلا باللغة القبطية . كذلك نجد أن الأقاليم و البلاد التي كانت تغلب عليها الأسماء اليونانية أصبحت تعرف بأسمائها القبطية التي ترجع إلي الأسماء المصرية القديمة ، فمثلا نجد اسم " إخميم " بدلا من " بانوبوليس " " **Panopolis** " و " اهناسيا " بدلا من " هيروكليوبوليس " " **Heracleoplis** " . علي أن هذا كله كان بعثا لقديم لم يندثر تماما ، فإن اللغة القبطية أو الأسماء المصرية كانت قد غلبت علي أمرها حينا من الدهر ثم استعادت مكانتها بعد الفتح العربي . و المعروف

أن الأسماء العربية لكثير من بلدان القطر المصري الآن مأخوذة من الأسماء المصرية القديمة (من كتاب سليم بك : أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص ١٥٤ – ٢١٩) كما أننا نستعمل في الوقت الحالي – كما تقول المؤلفة – كثيرا من الألفاظ العامة التي ترجع إلي اللغة المصرية القديمة و إلي اللغة القبطية التي اشتقت منها (من كتاب :

Dr. George Sobhy : the Survival P.65-69)

وقد بنيت عدة كنائس في ظل الحكم العربي وجددت كنائس أخري ، فقد بنيت أول كنيسة في فسطاط مصر أثناء ولاية " مسلة بن مخلد " عليها (من كتاب ابن عبد الحكم – طبعة توري ص ١٣٢ ، السيوطي حسن المحاضرة ج٢ ص٥) .

و يذكر سعيد بن بطريق انه في ولاية عبد العزيز بن مروان بنيت كنيسة " مار جرجس " و كنيسة " أبو قير " في داخل قصر الشمع . و قد جدد البطرك " اسحق " كنيسة " القديس مرقص " و بني كنيسة بحلوان . (من كتاب التاريخ المجموع علي التحقيق و التصديق ج٢ ص٤١). و قد أذن موسي بن عيسي في ولايته الأولي علي مصر (١٧١–١٧٢هـ) للنصارى ببناء الكنائس التي هدمها الوالي الذي سبقه ، في ذلك يقول الكندي (في كتاب الولاة و القضاة ص ١٣٢) فبنيت كلها بمشورة " الليث بن سعد " و عبد الله بن لهيعة : و قالا هو من عمارة البلاد ، و احتجا أن عامة الكنائس التي بمصر لم تبن إلا في الإسلام في زمن الصحابة و التابعين و هذا لا يكشف سياسة الوالي إزاء المسيحيين فقط بل يبين لنا أن هاذين الحجتين في الفقه الإسلامي كانا يقولان ببناء الكنائس و تعميرها ، و يعدان هذا من مظاهر

التعمير في البلاد ، و جدد أنبا ميخائيل البطـرك (٧٤٤-٨٦٨ م) (١٢٧-١٥١ هـ) كنيسة الإسكندرية و أصلحها و بني غيرها في شرقها و غربها (ساويرس ص ١٤٩) و في ص ٢٤٢ من الكتاب تقول المؤلفة : و لا ننسي أن الإسكندرية عند فتح العرب لها كانت مدينة يونانية بمعني الكلمة ، يونانية في سكانها و عاداتها و ميولها فلم يكن من المنتظر أن يتخذها العرب عاصمة لهم . أما عن كيفية اختيـار موقـع الفسطاط فيذكر المؤرخون العرب أن عمرو بن العـاص لمـا أراد التوجـه لفـتح الإسكندرية بعد استيلائه على حصن بابليون أمر بترع فسطاطه ، فإذا فيه يمـام قـد فرخ . فقال لقد تحرم بنا ، و تركه و لما عاد المسلمون من الإسكندرية و قالوا أيـن نترل ؟ قال : الفسطاط الفسطاط الذي كان قد خلفه (ابن عبد الحكم طبعة تـوري ص ٩١ ، و ابن اوقمان : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج٤ ص٢ ، و القلقشندى : صبح الاعش ج٣ص٣٣٠ ، خطط المقريزي ج١ص٢٩٦ ، السـيوطي :حسـن المحاضرة ج١ص٥٧).

وعن انتشار اللغة العربية

تقول المؤلفة من ص ٢٥٨-٢٦٢ :و قد تبع انتشار الإسلام في مصر انتشار اللغـة العربية فيها أيضا . فأصبحت لغة الكتابة و لغة التخاطب ، علي أن انتشـار اللغـة العربية بمصر كان أبطأ من انتشار الدين الإسلامي ، و قد عرفنا مما سبق كيف كـان احتلال العرب سببا في إنعاش اللغة القبطية في أول الأمر ، بعـد أن كانـت اللغـة

اليونانية حتى الفتح العربي هي اللغة الرسمية للحكومة و الكنيسة و التعليم و التجارة و للعلاقات الخارجية ، و لا نعرف بالضبط متي أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب بين المصريين ، و إنما لا بد أن الذين اعتنقوا الدين الإسلامي كانوا يتعلمـون اللغـة العربية لغة القران . كذلك اضطر الأقباط الذين كانت تستخدمهم الحكومة العربيـة إلي تعلم تلك اللغة منذ أن أصبحت لغة الدواوين الرسمية سنة ٨٧ هـ . فضلا عـن أن هجرة القبائل العربية إلي مصر و استقرارها بها قد ساعد علي جعل تلك اللغة لغة التخاطب بين أهل البلاد. و يذهب القس " رنودو " "**Renaudot**" إلي انه بعـد فتح العرب لمصر بنحو قرن من الزمان ، تلاشت اللغة القبطية نهائيا في معظم القطر المصري ، و لم تعد تعرف إلا بين العلماء الذين كانوا يدرسون تلك اللغة ، دراسـة خاصة . ثم تضيف الكاتبة : ص ٢٦٠ القول بأنه لا ريب في أن انتشار اللغة في مصر ميزة للعرب علي غيرهم من الفاتحين، فإن الشعوب المختلفة التي توالت علي مصـر قبل العرب لم تستطع القضاء علي لغة المصريين، ثم تقول : هذه ظاهرة تستحق إمعان النظر، لأن تنازل شعب عريق في المدينة كالشعب المصري عن لغته ، و اتخـاذه لغـة شعب لا يوازيه في الحضارة أمر غير عادي.

و كانت مصر إحدى الأمم القليلة التي تخلت نهائيا عن ماضيها الوطني و عن لغتـها القديمة و رمت بنفسها في أحضان الإسلام و المدنية الإسلامية ، فلـم يقـض فـتح العرب لإيران و الهند علي لغتهما القومية و لم يقض علي العقائد الدينية التي وجدت فيها قبل الفتح قضاء تاما، و لم يمنع اعتناق الأتراك الدين الإسلامي مـن الاحتفـاظ بلغتهم القومية ، و نرى الأندلس التي كانت تزدهر فيها حضارة إسـلامية بعـد أن

فتحها العرب، تغلب علي أمرها في أواخر العصور الوسطى و تعود ثانية دولة مسيحية بعيدة عن اللغة العربية (من كتاب الدكتور / زكي محمد حسن مصر و الحضارة الإسلامية ص ٢٤) . و نجد مصر في الفترة ما بين الفتح العربي و الفتح العثماني لا تصبح دولة إسلامية فحسب ، بل تتزعم العالم الإسلامي كله، فبعد أن كانت مصر خاضعة للخلافة في عهد الولاة ، نجدها تصبح مركزا للخلافة (٣٦٢ – ٥٦٧ هـ) التي نافست فيها الخلافة العباسية. ثم نجد مصر تصبح مركزا للخلافة السياسية بعد زوالها من بغداد علي أيدي المغول في سنة ٦٥٦ هـ و انتقالها إلي مصر في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ ، تلك الخلافة التي ظلت قائمة بها إلي الفتح العثماني سنة ٩٢٣ هـ أي أن مصر في هذه المرة بعد فتح العرب لها خرجت فخورة بحضارتها الإسلامية و بزعامتها للعالم الإسلامي أجمع و حسبنا دليلا علي علو مركز مصر في العالم الإسلامي منذ العصور الوسطى أن نذكر قول ابن خلدون : " و لا أوفى اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم و إيوان الإسلام و ينبوع العلم الضائع " (من مقدمة ابن خلدون ص ٤٨١ فصل في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم)

الإسكندرية و مكتباتها

كانت الإسكندرية عند الفتح العربي أهم مركز في الشرق تشع منه الثقافة اليونانية و الرومانية ، و لكنها فقدت بعد الفتح مكانتها السياسية و كـان طبيعيـا أن تفقـد مكانتها العلمية تبعا لذلك . و لسنا نستطيع أن نغفل الحديث عن أمر طالما كثر فيـه الجدل. ذلك هو حريق مكتبة الإسكندرية الذي نسبه بعض المؤرخين إلي عمرو بـن العاص ، نفى مؤرخون آخرون هذه التهمة عن القائد العربي و عن الخليفة عمر بـن الخطاب الذي ينسب إليه أنه أمر عامله عمروا بأن يحرق المكتبة. ثم تقول المؤلفة: أن أول من تحدث عن حريق هذه المكتبة هو عبد اللطيـف البغـدادي المتـوفى سـنة ٦٠٩ هـ (١٢٣١م). و قد ذكر أنها حرقت بأمر عمرو بن العاص ؛ لكنه لم يذكر عن الحادث أي تفاصيل تجلي غوامضه.

أما الذي أتى علي قصة طويلة في مناسبة الكلام عن حريق المكتبة فهو " أبو الفـرج ابن العبري" و هو مؤرخ ولد في ملطية بأرمينية سـنة ١٢٤٦م و درس اليونانيـة و العربية و السريانية ثم اشتغل بالفلسفة و اللاهوت و نصب بعد ذلك أسقفا و تـوفى سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٨م). و ملخص القصة التي رواها أبو الفرج الملطي هذا ، أنه في زمن فتح العرب مصر أشتهر في البلاد رجـل اسمـه يحـيى النحـوي (يوحنـا غراماطيقوس) و الظاهر أنه من القسس اليعاقبة في الإسكندرية و انـه رجـع عمـا يعتقده اليعاقبة في طبيعة المسيح و طلب إليه الأساقفة بمصر أن يعـود إلي المـذهب الأرثوذكس فلم يرجع فعزله مجمع منهم ، و عاش يوحنا هذا إلي أن فتح عمرو بـن

العاص مدينة الإسكندرية فاتصل بعمرو بن العاص و أعجب بغزارة علمه فقربه إليه. ثم قال يوحنا له في يوم من الأيام، إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية و ختمت علي ما فيها و لست أطلب إليك شيئا مما تنتفع به ، بل شيئا لا نفع له عندك و هو عندنا نافع فقال عمرو و ما الذي تقصد ؟ فأجاب يوحنا " كتب الحكمة الموجودة في خزائن الروم" فأجاب عمرو بأن ذلك أمر ليس له فيه رأي قبل استئذان الخليفة . و كتب إلي عمر بن الخطاب يستفتيه في المسألة فأجابه عمر بالقول : و أما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء في كتاب الله ، ففي كتاب الله غنى عنها ، و إذا كان ما فيها يخالف كتاب الله فلا أرب لنا فيه ، و تقدم بإعدامها " فأمر عمرو بتوزيع الكتب علي حمامات الإسكندرية فمازالوا يحرقونها في مواقدها ستة أشهر.

ثم تضيف هذه القصة التي رواها أبو الفرج في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، كما أشار إليها من قبل عبد اللطيف البغدادي و أبن القفطي صاحب كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء من كتاب النصف الأول من القرن السابع (القرن الثالث عشر الميلادي).

ثم تضيف المؤلفة: و علي كل حال فإن الشك في صحتها قديم بين المؤرخين المحدثين ، فإن إدوارد جبون المؤرخ الإنجليزي المشهور الذي كتب بين سنتي ١٧٧٠م – ١٧٨٧م مؤلفه المشهور عن تدهور الرومانية و سقوطها، ناقش هذه القصة و نفاها (جزء ٩ ص ٤٣٧ و ما بعدها ثم تلخص المؤلفة في بضع نقاط الجدل الذي دار حول هذه المسألة.

أولا : إن اتهام المسلمين بإحراق المكتبة لم يذكره المؤرخين إلا بعد أكثر من خمسمائة سنة. تقول ذلك و إذا جاز لنا أن نتهم المؤرخون المسلمين بأنهم أحجموا عن الإشارة إلي ذلك تعصبا منهم – فإذا جاز ذلك – فلسنا نجد شيئا نفسر به عدم الإشارة إليها في كتب المؤرخين مثل " حنا التفيتوس " الذي كان قريب العهد بفتح الإسكندرية و مثل سعيد بن البطريق (أوتيخا) المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٦٠م) .

ثانيا : اثبت الدكتور " الفرد بتلر " مؤلف كتاب فتح العرب لمصر أن " يحيي النحوي " أحد أبطال هذه القصة مات قبل غزو العرب مصر بزمن طويل .

ثالثا : إن كتاب القرنين الخامس و السادس و أوائل القرن السابع بعد ذلك لم يذكروا شيئا عن مكتبة الإسكندرية . و الواقع – كما تقول المؤلفة – أن المكتبتين اللتين قد تشير القصة إلي واحدة منهما أو كليهما معا . و اللتين كانتا قد ضاعتا قبل الفتح العربي بزمن طويل . فالأولي و هي مكتبة المتحف أو الجامعة أتلفتها النار سنة ٤٨ ق.م. في الحريق الذي أحدثه يوليوس قيصر ليرد أعدائه عن أسطوله . و يؤيد هذا القول المؤرخ اليوناني " بلونارك " المتوفى سنة ١٢٥م. و غيره من المؤرخين.

أما المكتبة الثانية و هي مكتبة السرابيوم فليس العلماء متفقين في أمرها ، و لا يمكن القول يقينا هل نقلت من السرابيوم قبل سنة ٣٩١م. و هي السنة التي أشتد فيها النزاع بين الوثنيين و المسيحيين ، و حَكَمَ الطرفان الإمبراطور " ثيودوسيوس " فقضي للمسيحيين و أستطاع هؤلاء أن يخربوا السرابيوم و كان حصن الوثنية المنيع ، و الواقع أن نجاة الكتب (!!) غير معقولة بسبب تعصب المسيحيين الثائرين و اعتبارهم هذه الكتب الوثنية الضالة – و تقول المؤلفة – فيمكننا إذن أن نجزم بأن هذه الكتب

كان مصيرها الضياع و لاسيما أن "أوراسيوس" الذي كتب في سنة ٤١٦م ذكر أنه رأي الرفوف أو الصناديق في السرابيوم فارغة ليس فيها شيء من الكتب و لم يشر إلي وجود أي مكتبة تستحق الذكر في الإسكندرية.

رابعا: إذا سلمنا جدلا بأن الإسكندرية كانت تحتوي وقت الفتح الإسلامي علي مكتبة كبيرة ، فأن الهدنة التي عقدت بين المسلمين و أهل الإسكندرية كانت طويلة و كان في استطاعة القوم أن ينقلوا كنوز هذه المكتبة . إن لم يكن لقيمتها العلمية – فلقيمتها المادية – و نحن نعلم أن العرب أتاحوا للروم نقل ما يريدون من متاع و أموال.

خامسا : إن عناصر القصة تدل علي أنها قصة مصطنعه ثم تنهي ما ذكرته عن مكتبة الإسكندرية بالقول : فإن في التاريخ أمثلة عديدة تثبت إن إحراق الكتب لم يكن في يوم من الأيام وقفا علي شعب من الشعوب أو أتباع ديانة من الديانات. فالصليبيون أحرقوا الكتب في طرابلس الشام في القرن الثالث عشر ، و الأسبان أحرقوا الكتب العربية بعد أن طردوا العرب من الأندلس. و كذلك أحرق الفرنسيون الكتب التي وقعت في أيديهم عندما فتحوا قسطنطينية في تونس ، كما يشهد بذلك المؤرخ الفرنسي " سيديلو " نفسه و ليس ببعيد أيضا ما فعله الألمان قبيل الحرب الأخيرة بالكتب التي ألفها اليهود و الاشتراكيون أو الشيوعيون.

و هنا لابد أن نذكر خط سير جيش العرب لفتح مصر حتى نعلم الفترة التي استغرقها الفتح

من ص ١٠ تقول المؤلفة : سار عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين إلي مصر علي رأس جيش مكون من أربعة آلاف محارب أو ثلاثة آلاف و خمسمائة في سنة ١٨هـ (٦٣٩م) و وصل إلي العريش في أواخر تلك السنة و منها إلي الفرما (هي مدينة " بلازيم" " **Pelusium** " القديمة و كانت علي ساحل البحر الأبيض و هي شرقي بورسعيد الحالية . (التاريخ سنة ١٨هـ (٦٣٩م)) من كتب ابن عبد الحكم (طبعة المعهد ص ٥١ و البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٢ و تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٨ ، و خطط المقريزي ج ١ ص ٢٨٨ ، و أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٠٥) و في الفرما لقي أول مقاومة هناك من الجنود البيزنطية استوقفته شهرا و لكنه تغلب عليها في أوائل سنة ١٩هـ (٦٤٠م) ثم واصل السير متغلبا علي ما يصادفه من مقاومات حتى بلغ " أم دنين" ، ثم تقول في كتاب تاريخ حنا النقيوس ص ٥٥٧ يذكر اسما أخر لها و هو " تندونياس" " **Tendounya** " و هي تقع في شمال حصن بابليون حيث نشب قتال شديد بين المسلمين و البيزنطيين الذي تحصنوا في حصن بابليون (و هو الحصن الذي بناه الإمبراطور تراجان (٩٨ – ١١٧م) و كان يسميه العرب قصر الشمع أو الحصني) . و يظهر أن المقاومة البيزنطية في الحصن كانت علي أشدها بدليل أن عمرو بن العاص أستنجد بالخليفة عمر بن الخطاب فأمده بأربعة آلاف رجل (ذات المراجع السابقة) و يقال أنه أمده باثني عشر ألفا. ثم تقول حاصر العرب الحصن بضعة أشهر ،ثم استؤنفت الحرب حتى سلم

الروم في النهاية ، و يقال أن العرب فتحوا الحصن عنوة ، ثم عقد العرب مع المصريين معاهدة أجازها الخليفة عمر بن الخطاب (البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٣). و لم تكن بابليون عاصمة مصر و لكنها كانت أهم مركز فيها نظرا لموقعهـا علـي رأس الدلتا و كونها علي الطريق الموصل إلي الإسكندرية عاصمة البلاد في العصر الإغريقي الروماني. و بالرغم من هذا الصلح أشترط المقوقس أن لا يبت في أمر الروم نهائيا إلا بعد أن يكتب إلي هرقل بذلك ، فإن قبل الإمبراطور هذا الصلح سرى عليه ، و إن لم يقبل عادت الحالة بين الروم و العرب إلي ما كانت عليه . ثم تقول : و يفهم من هذا أن قبط مصر قد أصبح أمرهم مفروغا منه بمقتضى هذا العهد بعكس الروم (و هنـا تقول المؤلفة : يطلق مؤرخو العرب لفظ روم علي حاميـات هرقـل ، كمـا أنهـم يستعملون لفظ قبط مرادفا للفـظ مصـريين (Butler: The Treaty of Misr P. 29) ثم جاء جواب هرقل بلوم المقوقس و توبيخه علي تخاذله و يطلب منه أن ينهض هو و الروم لمحاربة العرب . و تجمعت حاميات الـروم بالإسـكندرية لمحاربة المسلمين و سار عمرو بن العاص لمحاصرتها ، و يقل إن هرقل أستعد للخـروج لمباشرة حرب الإسكندرية بنفسه (المقريزي ج ١ ص ١٦٤) و لكنه مات في ١١ فبراير سنة ٦٤١م (٢٠هـ) (من كتاب بتلر : فتح العرب لمصر ص ٢٦١) قبل أن يفعل شيئا ، و يظهر أن مقاومة البيزنطيين في الإسكندرية كانت عنيدة بدليل استبطاء عمر بن الخطاب (المقريزي ج ١ ص ١٦٥) و لا عجب فقد كان الروم مسـيطرين علي البحر بأساطيلهم و كان المدد يأتي إليهم عن هذا الطريق.

و عن معاهدة الإسكندرية : لأنها كان خاصة بأهل الإسكندرية و حاميتها ، و من شروط هذه المعاهدة حسب ما أورده حنا النقيوس : أن تعقد هدنه بين الطرفين مدتها أحد عشر شهرا تنتهي في أول شهر " بابه" (يوافق هذا التاريخ ٢٨ سبتمبر سنة ٦٤٢م و أواخر سنة ٢١هـ) و في أثنائها يكف الروم و العرب عن القتال كما يتم جلاء حامية الروم عنها حاملين أمتعتهم و أموالهم و اشترط ألا يعود جيش رومي ثانية إلي الإسكندرية و ألا يستولي المسلمون علي كنائس المسيحيين أو يتدخلوا في أمورهم و و ان يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية و ضمانا لنفاذ هذا العقد ياخذ المسلمون عدد ١٥٠ من الجند ، و عدد ٥٠ من غير الجند كرهائن . و نلاحظ من شروط هذا الصلح أنه عقد في نوفمبر سنة ٦٤١م . (٢٠ هـ) و عقب سقوط الإسكندريه أمتدد نفوذ العرب تدريجيا إلي سائر الأقاليم في مصر كما تقول المؤلفه ص ١٤ . (صدر الكتاب عام ١٩٤٧م)

الله سبحانه و تعالى
هو الخالق و هو المعلم الأول ، رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم : الآية رقم ٧ من سورة الأعراف :

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾

هذا قول الحق سبحانه و تعالى و يقول سبحانه و تعالى عن المضلين المكذبين . الآية رقم ٥١ من سورة الكهف :

۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا

يقول الله سبحانه و تعالى في أول سورة الرحمن من القرآن الكريم : –

بسم الله الرحمن الرحيم :

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾

و في شرح : (خلق الإنسان علمه البيان) يقول الأستاذ محمد فريد وجدي (المصحف المفسر) . أي علمه الإفصاح عما في ضميره بكلام مرتب حسن .

و من كتاب تنوير المقياس من تفسير أبن عباس. يقول: الهمه الله بيان كل شيء و أسماء كل دابة تكون علي وجه الأرض.

و يقول الإصحاح الثاني من سفر التكوين:

و جعل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية و كل طيور السماء و فأحضرها إلي آدم ليرى ماذا يدعوها . و كل ما دعا آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم و طيور السماء و جميع حيوانات البرية .

ثم هنا نود أيها القاريء العزيز أن نذكرك بما سبق من مناقشة لهذا الموضوع خـــلال ذكر كتاب " Roy Harris and Talbot J.Taylor) حيث ينتـــهي إلي القول : بأن ليس هناك من توضيح لوجود هذه الأسماء المختلفة للأشياء ســـوى إرادة الله. و كانت اللغة كما كنا نعتقد – يقول المؤلف – أنها شيء قد خلقناه نحـــن بـــني البشر و لكنها في الحقيقة هي هدية من الله و لا نعرف سببا لذلك ، و لكنها رغبـــة إلهيه و ليس لنا أي تحكم فيها.

هذه الكلمات إذن هي إحدى معجزات الله في خلقه من الإنس و الجن و الحيوانات و الطيور و جميع خلقه (بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين) و هي أول دليل علي وجود الله سبحانه و تعالى . ثم أقرأ من سورة الذاريات من الآيات ٢٠، ٢١ :

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

و حيث ان تعلم نطق هذه الكلمات لا يتأتى للطفل منذ لحظة ولادته إلا عن طريـــق السمع من والديه ، إذن فلم يعرف آدم هذه الكلمات إلا عن ربه سبحانه و تعـــالى الذي : (خلق الإنسان علمه البيان) حقا و صدقا.

لقد ذكرت الإله الواحد كل الكتب السماوية و كان أول ما نزل منها – كما هو معروف صحف ابراهيم – التوراة حيث ذكرت :

من الإصحاح التاسع من سفر الملوك الأول ص ٥٤٩

و كان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب و بيت الملك ، و كل مرغوب سليمان الذي سر أن يعمل و أن الرب تراءى لسليمان ثانية ، كما تراءى له في جبعون ، و قال له الرب : قد سمعت صلاتك و تضرعك الذي تضرعت به أمامي ، قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلي الأبد ، و تكون عيناي و قلبي هناك كل الأيام ، و أنت إن سلكت أمامي كما سلك داوود أبوك بسلامة قلب و استقامة و عملت حسب كل ما أوصيتك و حفظت فرائضي و أحكامي ، فإني أقيم كرسي ملكك علي إسرائيل إلي الأبد كما كلمت داوود أباك ، قائلا لا يعدم لك رجل من كرسي إسرائيل .

إن كنتم تنتقلون أنتم أو أبناؤكم من ورائي و لا تحفظون وصاياي ، و فرائضي التي جعلتها أمامكم بل تذهبون و تعبدون ألهه أخرى و تسجدون لها فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتم إياها ، و الوعد الذي قدسته لأسمي أنفيه من أمامي ، و يكون إسرائيل مثلا و هزأة في جميع الشعوب ، و هذا البيت يكون عبرة ، كل من يمر عليه يتعجب و يصفر و يقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض و لهذا البيت ؟

فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي اخرج آباءهم من أرض مصر و تمسكوا بآلهة أخرى و سجدوا لها و عبدوها لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر.

و من الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول

و أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمرنيات و آروميات و صيدونيات و حيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم و هم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء ألهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، و كانت له سبع مائة من النساء و السيدات و ثلاث مئة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه ، و كان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، و لم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داوود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتورث آلهة الصيدونيين و ملكوم رجس العمونيين و عمل سليمان الشر في عيني الرب ، و لم يتبع الرب تماما كداوود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعه لكموش رجس الموأبيين علي الجبل الذي تجاه أورشليم ، و لمولك رجس بني عمون ، و هكذا فعل لجميع نسائه القريبات اللواتي كن يوقدن و يذبحن لألهتهن . فغضب الرب علي سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين ، و أوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك و لم تحفظ عهدي و فرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا و أعطيها لعبدك إلا أني لا افعل ذلك في أيامك من أجل داوود أبيك ، بل من أبنك أمزقها ، علي أني لا أمزق منك المملكة كلها ، بل أعطي سبطا واحدا لأبنك لأجل داوود عبدي و لأجل أورشليم التي اخترتها.

و من المزمور السابع و الثلاثون لداوود

لا تغر من الأشرار ، و لا تحسد عمال الإثم ، فإنهم مثل الحشيش سريعا يقطعون ، و مثل العشب الأخضر يذبلون اتكل علي الرب و أفعل الخير ، اسكن الأرض و أرع الأمانة ، و تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك ، سلم للرب طريقك و اتكل عليه و هو يجري و يخرج مثل النور برك و حقك مثل الظهيرة .

انتظر الرب و أصبر له ، و لا تغر من الذي ينجح في طريقه من الرجل المجري المكايد ، كف عن الغضب و أترك السخط ، و لا تغر لفعل الشر ، لأن عاملي الشر يقطعون ، و الذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض ، بعد قليل لا يكون الشرير ، تطلع في مكانه فلا يكون ، أما الودعاء فيرثون الأرض و يتلذذون في كثرة السلامة . الشرير يتفكر ضد الصديق و يحرن عليه أسنانه، الرب يضحك لأنه يري أن يومه آت ، الأشرار قد سلوا السيف و مدوا قوسهم لرمي المسكين و الفقير ، لقتل المستقيم طريقهم ، سيفهم يدخل في قلبهم و قسيهم تنكسر، القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين ، لأن سواعد الأشرار تنكسر ، و عاضد الصديقين الرب . الرب عارف أيام الكملة و ميراثهم إلي الأبد يكون ، لا يخذون في زمن السوء ، و في أيام الجوع يشبعون ، لأن الأشرار يهلكون و أعداء الرب كبهائم المراعي كالدخان فنوا . الشرير يستعرض و لا يفي أما الصديق فيترأف و يعطي ، لأن المباركين منه يرثون الأرض و الملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان و في طريقه يسر، إذا سـقط لا ينطـرح لأن الرب مسند يده ، أيضا كنت فتى و قد شخت و لم أر صديقا تخلى عنه و لا ذرية له تلتمس خبزا . اليوم كله يترأف و يعرض و نسله للبركة .

حد عن الشر ، و أفعل الخير و اسكن إلي الأبد ، لأن الرب يحب الحق و لا يتخـل عن أتقيائه ، إلي الأبد يحفظون ، أما نسل الأشرار فينقطع، الصديقون يرثون الأرض و يسكنونها إلي الأبد فم الصديق يلهج بالحكمة و لسانه ينطق بالحق ، شريعة إلهه في قلبه ، لا تتقلقل خطواته ، الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته ، الرب لا يتركه في يده و لا يحكم عليه عند محاكمته، أنتظر الرب و أحفظ طريقـه فيرفعـك لتـرث الأرض. إلي الإنقراض الأشرار تنظر . و قد رأيت الشرير عاتيا دارفا مثـل شـجرة شارقة ناضرة ، عبر فإذا هو ليس بموجود و التمسته فلم يوجد . لاحظ الكامـل و أنظر المستقيم ، فإن العقب لإنسان السلامة ، أما الأشرار فيبادون جميعـا ، عقـب الأشرار ينقطع ، أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم في زمان الضـيق ، و يعينهم الرب و ينجيهم ، فينقذهم من الأشرار و يخلصهم لأنهم أحتموا به.

و من كتاب العهد الجديد

و قد ترجم من اللغة اليونانية

من إنجيل يوحنا - الإصحاح الخامس ص ١٥٤-١٥٥

يقول يسوع :- إن كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا . الذي يشهد لي هو آخر و أنا اعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق . أنتم أرسلتم إلي يوحنا فشهد للحق ، و أنا لا أقبل شهادة من إنسان . و لكني أقول هذا لتخلصوا أنتم .

كان هو السراج الموقد المنير و أنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة . و أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا ، لأن الأعمال التي أعطاني ألآب لأكملها ، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي (أنظر الآية ٤٩ من سورة آل عمران) : أن ألآب قد أرسلني ، و ألآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي . لم تسمعوا صوته قط و لا أبصرتم هيئته، و ليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به ، فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها أبدية . و هي التي تشهد لي ، و لا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة .

مجدا من الناس لست أقبل ، و لكني قد عرفتكم أن ليست لكم محب الله في أنفسكم ، أنا قد أتيت باسم آبي و لستم تقبلونني . إن أتي آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه .

كيف تقدرون أن تؤمنوا و أنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض. و المجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه .

لا تظنوا أني أشكوكم إلي ألآب . يوجد الذي يشكوكم و هو موسى الـــذي عليـــه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني ، لأنه هو كتب عــــني ، فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي.

و من الإصحاح السادس

بعد هذا مضى يسوع إلي عبر بحر الجليل و هو بحر طبرية و تبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التي كان يضعها في المرضي.

الله في القرآن الكريم

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤

(بسم الله الرحمن الرحيم:-

من فاتحة الكتاب (القرآن الكريم)

و من الآيات من رقم ٩٥ و حتى الآية رقم ٩٩ من سورة الأنعام:

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

و من الآية رقم ١٨٩ حتى رقم ١٩١ من سورة آل عمران:-

وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾

و من الآية رقم ٣٧ و حتى الآية ٣٩ من سورة فصلت:-

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

و من الآية رقم ٥٣ – ٥٤ من سورة فصلت:

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

و يقول القران الكريم (كلام الله سبحانه و تعالى) كما قال في أول سورة غافر (حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) يقول سبحانه و تعالى

هنا تذكر سورة الإخلاص أولا

في الآية رقم ٦ من سورة فصلت: تكتب هذه الآية تحت عنوان (محمد رسول الله) صلى الله عليه و سلم

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾

و في أخر سورة الكهف الآية رقم ١١٠.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

ثم سورة الإخلاص:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

تحت عنوان

محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم

يكتب هنا بعض ما سبقت إليه الاشارة من قول رسول الله صلى الله عليه و سلم و هنا نود أن نذكر انه كما قال السيد المسيح في انجيل يوحنا

— الإصحاح الخامس ص ١٥٤ / ١٥٥

و كما سبق أن أوضحنا:

و أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا، لان الأعمال التي أعطاني الأب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا اعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني، و الأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي.

ثم يقول: كيف تقدرون أن تؤمنوا و انتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض، و المجد الذي من الإله الواحد لستم تقبلونه.

يقول الله سبحانه و تعالى في قرآنه الكريم من سورة الأنعام (الآيات ١٩، ٢٠، ٢١) على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم:

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ
آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
(٢١)

و ما هي شهادة الله سبحانه و تعالى لرسوله الكريم

يقول الله سبحانه في أول سورة يس:-

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾

و من سورة الشورى يقول الله سبحانه و تعالى:

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾

و من الآية ١٣ من سورة الشورى قوله سبحانه و تعالى:

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

و من الآية رقم ١٥ من سورة الشورى أيضا قوله سبحانه:

وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

و من أول سورة الجمعة: بسم الله الرحمن الرحيم:

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

و من سورة المنافقون:- بسم الله الرحمن الرحيم:

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

من سورة الأحزاب من الآية رقم ٤٠:-

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

و من الآية رقم ٤٥ من سورة الأحزاب و حتى الآية ٤٧.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾

هل افترى محمد صلى الله عليه و سلم هذا القرآن من دون الله؟

لقد دفع الله سبحانه و تعالى هذا القول بالرد الحاسم بقوله في سورة يونس بالآيتين ٣٧، ٣٨: بما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم:

وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾

و يقول سبحانه بالآية رقم ٨٨ من سورة الإسراء (بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

و بالآية رقم ٤٢ من سورة فصلت: قوله سبحانه و تعالى:

لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

و من الآية رقم ٩ من سورة الحجر: يقول ربنا عز سبحانه:-

﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

و من سورة القيامة: بالآيات من رقم ١٦ – ١٩: يأمره سبحانه وتعالى:

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

و من سورة الأعلى الآيات رقم ٦ – ٧:

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾

ثم يعود ربنا سبحانه و تعالي للرد على الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، عندما طالبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن يأتي بقرآن غير هذا أو أن يبدله: فقد جاء رد الله سبحانه و تعالى في قرءانه الكريم بما يأتي :- بالآيات رقم ١٥ ، ١٦ من سورة يونس .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)

و من الآية رقم ٢٠٣ من سورة الأعراف : بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)

و من أول سورة الشورى :

حم (١) عسق (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)

و من الآية رقم ١٦٦ من سورة النساء :

لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

و من سورة الشعراء بالآيات من ١٩٢ – ١٩٤ :

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

و من سورة الواقعة من الآيات رقم ٧٥ – ٨٠ :

۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

و هنا يجب أن نذكر ما كان يعمله أهل الكتاب السابقين بما توعدهم به ربهم و رب العالمين من عذاب لو بدلوا كلمات ربهم .

و الآن لنستمع سويا لما جاء في كتاب العهد القديم إرميا

الإصحاح الثالث و العشرون ص ١١٠٨

و يل للرعاة الذين يُهلكُون و يبددون غنم رعيتي، و يقول الرب ، لذلك هكذا قال الرب اله إسرائيل عن الرعاة الذين يرعون شعبي. أنتم بددتم غنمي و طردتموها و لم تتعهدوها ، هاأنذا أعاقبكم علي شر أعمالكم ، يقول الرب و أنا اجمع بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتها إليها و أردها إلي مرابضها فتثمر و تكثر و أقيم عليها رعاة يرعونها فلا تخاف بعد و لا ترتعد و لا تفقد ، يقول الرب.

ثم يقول في الأنبياء :- أنسحق قلبي في وسطي و ارتخت كل عظامي . صرت كإنسان سكران و مثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب و من أجل كلام قدسه. لأن الأرض امتلأت من الفاسقين ، لأنه من أجل اللعن فاحت الأرض، جفت مراعي البرية ، و صار سعيهم للشر و جبروتهم للباطل. ثم يختتم هذا الإصحاح بالقول: و إذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلا ما وحي الرب فقل لهم أي وحي، إني أرفضكم هو قول الرب ، فالنبي أو الكاهن أو الشعب أو الرجل الذي يقول وحي الرب، أعاقب ذلك الرجل و بيته . و هكذا تقولون الرجل لصاحبه و الرجل لأخيه بماذا أجاب الرب ، و ماذا تكلم به الرب، أما وحي الرب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وصية إذا حرفتهم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا، و هكذا تقول للنبي بماذا أجابك الرب و ماذا تكلم به الرب. و إذا كنتم تقولون وحي الرب فلذلك هكذا قال الرب من أجل قولكم هذه الكلمة وحي الرب. و قد أرسلت إليكم قائلا لا تقولوا وحي الرب لذلك هاأنذا أنساكم نسيانا و أرفضكم من أمام وجهي و أنتم

و المدينة التي أعطيتكم و آباءكم إياها. و اجعل عليكم عارا أبديا و خزيا أبديا لا ينسى.

و لكن من هو إرميا
الإصحاح الأول ص ١٠٢٧
من الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم و العهد الجديد
(و قد ترجم من اللغات الأصلية عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأول)

كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عناثوث في ارض بنيامين الذي كانت كلمة الرب إليه في أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا في السنة الثالثة عشرة من ملكة. و كانت في أيام يهويا قيم ابن يوشيا ملك يهوذا إلي سبي أورشليم في الشهر الخامس.

فكانت كلمة الرب إلي قائلا. قبلما صورتك في البطن عرفتك و قبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبيا للشعوب. فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد. فقال الرب لي لا تقل إني ولد لأنك إلي كل من أرسلك إليه تذهب و تتكلم بكل ما آمرك به. لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب. و مد الرب يده و لمس فمي و قال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك . أنظر قد وكلتك هذا اليوم علي الشعوب و علي الممالك لتقلع و تهدم و تهلك و تنقد وتبني و تغرس . و ذلك بينما يقول الله سبحانه و تعالي : (و أتل ما أوحي إليك من كتاب

ربك لا مبدل لكلماته و لن تجد من دونه ملتحدا) و في نفس المعني السابق الإشارة إليه و الذي أورده الإصحاح الثالث و العشرون من سفر إرميا .

يقول الله سبحانه و تعالي في سورة الإسراء بالآيات من ٧٣-٧٧ :

وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

و في سورة يونس بالآيتين ١٦ ، ١٧ : يقول الله سبحانه و تعالي لرسوله محمد صلي الله عليه و سلم

﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

و في سورة الشورى بالآية رقم ٢٤

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾

و بالآية ٤٨ من سورة العنكبوت :

يقول الله سبحانه و تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه و سلم :

وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

و في سورة الحاقة بالآيات من ٣٨ و حتى ٥٢ : قول الله سبحانه و تعالى :

فلا أقسم بما تبصرون (٣٨) وما لا تبصرون (٣٩)
إنه لقول رسول كريم (٤٠) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (٤١)
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (٤٢) تنزيل من رب العالمين (٤٣) ولو
تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا
منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين (٤٧) وإنه لتذكرة
للمتقين (٤٨) وإنا لنعلم أن منكم مكذبين (٤٩) وإنه لحسرة على
الكافرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسبح باسم ربك العظيم (٥٢)

لقد سبق قول الله في سورة يس بالآية رقم ٧٠ :

وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين
(٦٩) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين (٧٠)

إذن فقطع الله علاقة هذا القرءان الكريم بأي من الشعر و الشعراء . و بعد كل ذلك إن القرءان الكريم هو الكتاب الوحيد الذي أختصه الله بأنه هو الذي علمه و ذلك في نص قوله سبحانه و تعالى من أول سورة الرحمن : (الرحمن علم القرءان) و ذلك قبل خلق الإنسان إذ تكمل الآية : (خلق الإنسان علمه البيان) و لم يترك ذلك للإنسان كما ترك البيان ليتعلمه الإنسان بعد أن علم البيان الأول لآدم ثم علمه لأولاده بعد ذلك . و عندما ذكر سبحانه و تعالى كيف علمه رسول الله صلى الله عليه و سلم : قول الله سبحانه و تعالى :-

في سورة الشعراء بالآيات من ١٩٢ – ١٩٤

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾

أما كونه قرءانا عربيا

فقد جاء ذلك بالآيات :-

من الآية ١٠٣ من سورة النحل :

وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾

و الآيات رقم ١٩٢– ١٩٤ من سورة الشعراء:

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

و من سورة يوسف الآية رقم ٢ :

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

و من سورة الرعد الآية رقم ٣٧ :

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا

و من سورة طه الآية ١١٣ :

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

و من سورة الزمر الآية ٢٨ :

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

و من سورة فصلت الآية رقم ٣ :

كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

و من سورة الشورى الآية رقم ٧ :

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

و من سورة الزخرف الآيتين رقم ٣ ، ٤ :

إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

و من سورة الاحقاف الآية رقم ١٢ :

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

و هنا نورد سؤالا : هل هذه اللغة العربية الفصحى التي أتى بها القرآن الكريم و الحديث الشريف و ما وصل إلينا من النصوص المعاصرة للنبي و أصحابه لغة قريش ؟ هذا السؤال أورده أو ذكره أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي في ذلك الوقت في كتابه الأدب الجاهلي ص ١٠٥ و تفضل سيادته بالإجابة على هذا التساؤل :

١- أما أن هذه اللغة العربية الفصحى التي نجدها في القرآن و الحديث و ما وصل إلينا من النصوص المعاصرة للنبي صلى الله عليه و سلم - لغة قريش فما نرى انه يحتمل شكا أو جدالا ، فقد اجمع العرب على ذلك بعد الإسلام و اتفقت كلمة علمائهم و رواهم و محدثيهم و مفسريهم علي أن القرآن نزل بلغة قريش ، و لكن هذه اللغة قد كانت تفهم في غير قريش من قبائل الحجاز و نجد ، و من هذه القبائل المضري كقيس و تميم و منها اليمني كخزاعة و الأوس و الخزرج بل منها قبائل لم تكن عربية بوجه من الوجوه و هي هذه اليهودية التي كانت تستعمر شمال الحجاز .

ثم يضيف : أنه كانت في مكة بيئة قريشية كان لها سلطان سياسي حقيقي (ص ١٠٧) و لكنه قوى في مكة وما حولها ، و هذا السلطان السياسي كان يعتز بسلطان اقتصادي عظيم، فقد كان مقدارا عظيم جدا من التجارة في يد قريش ، و كان هذا السلطان يعتز بسلطان ديني قوي مصدره الكعبة التي كان يحج إليها أهل الحجاز من عرب الشمال، فقد اجتمع إذن لقريش سلطان سياسي و اقتصادي و ديني ، و اخلق بمن تجتمع له هذه السلطات أن يفرض لغته علي من حوله من أهل البادية.

لغة قريش إذن هي هذه اللغة العربية الفصحى ، فرضت علي قبائل الحجاز فرضا لا يعتمد علي السيف و إنما يعتمد علي المنفعة و تبادل الحاجات الدينية و السياسية و الاقتصادية و كانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب كما كان الحج وسيلة من الوسائل السيادة للغة قريش.

و لكن ما أصل لغة قريش ؟ و كيف نشأت ؟ و كيف تطورت في لفظها و مادها و آدابها حتى انتهت إلي هذا الشكل الذي نراه في القرآن ؟؟

هكذا يستمر أستاذنا الكبير / دكتور طه حسين في بحثه عن أصل لغة قريش قائلا لا سبيل إلي الإجابة عليها الآن – فنحن لا نعرف أكثر من أن هذه اللغة لغة سامية تتصل بهذه اللغات الكثيرة التي كانت شائعة في هذا القسم من آسيا . و نحن نكاد نيأس من الوصول في يوم من الأيام إلي تاريخ علمي محقق لهذه اللغة – قبل ظهور الإسلام و كيف – كما يقول أستاذنا الكبير – و القرآن أقدم نص صحيح وصل إلينا في هذه اللغة . و نحن نري اللغة فيه كاملة متقنة تامة التكوين قد تجاوزت الوجود الطبيعي إلي هذا الوجود الراقي الذي يظهر في الآداب. ثم يضيف : و نظن أنا في غير حاجه إلي أن نقف عند هذا الاعتراف السخيف الذي لج فيه بعض أنصار القديم ، فأخذ يسألنا: كيف فرض الإسلام لغة قريش علي العرب و متي صدر " المرسوم " بفرض هذه اللغة ؟؟

فإبراز هذا الاعتراض في نفسه أوضح دليل علي أن صاحبه أبعد الناس من الفقه بطبائع الأشياء.

فقد فرض الإسلام لغة قريش علي أمم لم تكن من قريش في شيء، فأخلق به أن يفرضها علي قبائل كانت تتصل بقريش اتصالا قويا.

و قبل أن يفرض الإسلام لغة قريش علي المسلمين فرضت روما لغتها علي ما حولها من الأرض، علي إيطاليا ثم علي الإمبراطورية الرومانية الغربية كلها . ومن قبل ذلك فرض اليونان لغتهم علي الشرق كله ، و من بعد ذلك فرضت الأمم الحديثة و ما زالت تفرض لغتها علي أقطار من الأرض .

ثم يقول أستاذنا الكبير / الدكتور طه حسين و الآن لننتقل إلي مسألة أخرى ليست أقل من هذا خطرا و هي أننا نلاحظ أن العلماء قد اتخذوا هذا الشعر الجاهلي مادة للاستشهاد علي ألفاظ القرآن و الحديث و نحوهما و مذاهبهما الكلامية . حتى أنك لنحس أن هذا الشعر " الشعر الجاهلي " إنما قد قُدَّ علي قدر القرآن و الحديث كما يقد الثوب علي قد لابسه لا يزيد و لا ينقص عما أراد طولا و سعه . إذن فنحن نجهر بأن هذا ليس من طبيعة الأشياء و أن هذه الدقة في الموازاة بين القرآن و الحديث الشريف و الشعر الجاهلي لا ينبغي ن تحمل علي الاطمئنان إلا الذين رزقوا حظا من السذاجة لم يتح لنا مثله.

ثم يختتم الدكتور طه حسين هذه الدراسة عن الشعر الجاهلي و علاقته بالقرآن الكريم بالقول : و هو أن من الحق علينا لأنفسنا و للعلم أن نسأل : أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين و لا عقليتهم و لا دياناهم و لا حضارهم ، بل لا يمثل لغتهم . أليس هذا الشعر قد وضع وضعا و حمل علي أصحابه حملا بعد الإسلام ؟!! أما أنا – يقول دكتور طه حسين – فلا أكاد اشك الآن في هذا

- و لكننا محتاجون بعد أن ثبتت هذه النظرية أن نتبين الأسباب المختلفة التي حملت الناس علي وضع الشعر و النثر و نحلهما بعد الإسلام.

و هنا نود أن نقول: أننا قد سبق أن أوضحنا هذه الأسباب التي تساءل عنها الدكتور طه حسين عند عرض كتاب " العصر الجاهلي " للأستاذ الدكتور شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي.

٢- و من كتاب " ملامح من تاريخ اللغة العربية " للدكتور أحمد لطيف الجنابي صادر عن وزارة الثقافة - الجمهورية العراقية : يقول : فاللغة العربية الفصحى ليست لغة قريش و لا لغة غيرها من القبائل ، بل هي اختيار لا شعوري من لغة هؤلاء و هؤلاء. هكذا نستنتج - بينما الحقيقة هي التي فرضها الله سبحانه و تعالي من قبل تواجد قريش أو أباء قريش - كما سبق و أوضحنا كيف فرض اله سبحانه و تعالى اسم إبرهيم كما تقول التوراة - و كما يقول القرآن الكريم بالآية (سمعنا فتى يقال له إبرهيم) قبل أن يترك أباه و يخرج مهاجرا بدعوهم.

٣-من كتاب إبرهيم أبو الأنبياء للأستاذ عباس محمود العقاد - الصادر عن دار الهلال ص ١٣١ و كذلك لربما كانت من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم أن إبرهيم (عليه السلام) كان عربيا و أنه كان يتكلم العربية ، و لكنها الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلي فرض غريب ، و تفسير نادر و إنما الفرض الغريب أن يحيد المؤرخ عن هذه الحقيقة لينسب إبرهيم إلي قوم غير قومه الذين هو منهم في الصميم .

و إن اللغة العربية المقصودة ، هي لغة الأقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية و بها عبر منها و إليها في تلك الحقبة.

و نحن هنا نود أن نضيف إلي تساؤل استأذنا الكبير طه حسين هذا التساؤل : متي فرض الإسلام – أي قريش لغتها علي الجن ؟؟ عندما قالت الجن في أول سورة الجن في القرآن الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم : (قل أوحي إلي أنه أستمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءانا عجبا ، يهدي إلي الرشد فأمنا به و لن نشرك بربنا أحدا و أنه تعالى جد ربنا ما أتخذ صحبة ولا ولدا)

٤– و قول الأستاذ الدكتور / شوقي ضيف ما أورد – كما يقول – و زعم " بروكلمان " أن الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات و إن غزها أو قد فذها جميعا. (من كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان)

٥– و موضوع أخذ اللغة العبرية من اللغة العربية و التي أطلق عليها " النهب اللغوي " من كتاب لسان العرب التي أطلقنا عليها نحن عنوان " العودة إلي اللغة الأم"

و هل قامت قريش بفرض لغتها بقوة السلاح علي الروح القدس جبريل عليه السلام لكي يترل القرآن بلغتها علي الرسول لأمين صلي الله عليه و سلم .؟؟!!

و هل فرضت قريش أو الإسلام علي الملائكة أيضا حيث يبلغنا الله سبحانه و تعالي بشهادهم و ذلك بعد شهادته؟!! " و كفى بالله شهيدا " كما جاء في سورة النساء بالآية ١٦٦ (لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون ، و كفى بالله شهيدا) صدق الله العظيم.

و هنا نذكر ما قاله الأستاذ الدكتور / عمر فروخ
في كتابه كتاب تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم
من مطلع الجاهلية إلي سقوط الدولة الأموية

تأليف د ./ عمر فروخ

الجزء الأول (دار العلم للملايين. بيروت)

و الدكتور/ عمر فروخ

(عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة)
(عضو المجمع العلمي العربي في دمشق)
(عضو جمعية البحوث الإسلامية في بمباى)

حزيران (يونيه) ١٩٧٨

اللغة العربية:

و اللغة العربية أقدم اللغات الحية فليس ثمة في العالم لغة محكية أقدم منها. و لا تزال اللغة العربية تحتفظ بالإعراب تاما كاملا كما كان شأن جميع اللغات القديمة . أما معظم اللغات الأخرى فقد فقدت الإعراب، و لكننا نجد الإعراب شبه تام في اللغة الألمانية و الأيسلندية و نجد بعض الإعراب في اللغة الدنمركية و اللغة الروسية. و هناك آثار للإعراب في عدد من اللغات الباقية. ثم يضيف سيادته:

يبدو أن اللغة العربية انفصلت مع أخواتها الشماليات، من اللغة السامية الأم منذ زمن بعيد جدا ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية أيضا منذ زمن بعيد.

و إذا نحن اعتبرنا اللغة العربية – يقول المؤلف – و جدناها أكثر أخواتها الساميات مفردات و أتمها صيغا و أكملها صرفا و نحوا و أرقاها بيانا و بلاغة و أحسنها أسلوبا من أجل ذلك لا نستبعد أن تكن اللغة العربية هي اللغة السامية الأم الفصحى ، و أن سائر اللغات السامية ، من شمالية كالبابلية و الكنعانية و الآرامية ، و من جنوبية كالحبشية و الحميرية لهجات. و مع كثرة الصلات التي كانت بين عرب الشمال و عرب الجنوب منذ أقدم الأزمنة فإن لغة حمير (اليمن) ابتعدت كثيرا عن اللغة المضرية (العربية الشمالية التي نزل بها القرآن الكريم) حتى قال أبو عمر بن العلاء (راجع طبقات الشعراء ٤ – ٥) منذ صدر الدولة العباسية . " ما لسان حمير و أقاصي اليمن بلساننا و لا عربيتهم بعربيتنا ".

و هنا نود أن نذكر سؤال

هل اللغة العربية من وضع محمد صلي الله عليه و سلم أم هي

من وحي الله سبحانه و تعالى :- بقول الرسول : الآيتان ٨، ٩ من سورة الأحقاف

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

جاء بالآية رقم ٢٤ من سورة الأنبياء بالقرآن الكريم:

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

و من سورة الكهف الآية الأخيرة بالسورة :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

و من الآية ١٦١ من سورة الأنعام:

﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

و من الآية ٥٠ من سورة الأنعام :

قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ
عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

و من الآية ١٩ — ٢٠ من سورة الأنعام :

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ
آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمُ ۘ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

و من سورة الأعراف:الآية رقم ١٨٨

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

و من الآية ٢٨ من سورة الملك:

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ
أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾

و من سورة الحاقة الآيتين٣٨ ، ٣٩ حتى ٤٧ :

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ
تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا
مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ
لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

و من سورة البقرة الآية ٢٥٦:

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ
مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

و كانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم هي سورة العلق:

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك
الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)

و من سورة الأنعام الآيتان ١١٤، ١١٥: يقول الله سبحانه و تعالي علي لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه و سلم:

أفغير الله
أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين (١١٤)

لكون القرآن نزل باللغة العربية التي فرضت عليهم من خلال اسم إبرهيم و بنيه عليهم السلام و في الآية ١١٣ من سورة البقرة : يقول سبحانه و تعالي:

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب
الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد
إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها
واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣)

و من الآية ١٣٦ من سورة البقرة قوله سبحانه و تعالى :

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

إذن هذا هو كتاب الله لا ريب بنص كلماته لا تحريف فيه و لا تبديل كما نزله الله بأمره علي قلب رسوله الكريم نزل به الوحي الأمين بلسان عربي مبين تولى الله سبحانه و تعالي حفظه و فرضه بنصه قرآنا عربيا ، و تولى سبحانه كل شيء فيه قراءته و قرءانه و تفسيره و بيانه و جعله نورا لمن أراد أن يذكر أو يتدبر و جعل أول علامة علي صدقه (أي القرآن) أنه نزله باللغة العربية الفصحى التي علمها لكل مخلوقاته من الملائكة و الجن و الطير و الجبال، فكانت و ما زالت اللغة العربية هي أهم دلالات القرآن الكريم فرضها سبحانه و تعالى في جميع كتبه المقدسة التي نزلت علي جميع رسله من آدم و نوحا و إبرهيم و موسي و عيسى و محمدا عليهم جميعا رحمة الله و سلامه و بركاته .

و أخيرا نختتم كتابنا هذا بالقول كما جاء في أخر سورة البقرة:

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

و أخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

و هنا نود أن نذكر بعض مالاحظناه

خلال هذه القراءة أو الدراسة

كما يلي

هناك كلمات لها نفس الحروف تكتب بها و لكنها تختلف عند القراءة أو النطق بها تبعا للتشكيل مثال لذلك :

الآية ٣٥ من سورة يونس :

(قل هل من شركائكم من يهدي إلي الحق ، قل الله يهدي للحق ، أفمن يَهدْيِ إلي الحق أحق أن يتبع أم من لا يَهدْيِ إلا أن يُهدَى فما لكم كيف تحكمون)

الآية ٧٢ ، ٧٣ من سورة الصافات :

(و لقد أرسلنا فيهم مُنذِرين ، فأنظر كيف كان عاقبة المُنذَرِيَنْ)

والآية ٣٢ من سورة الزمر :

(فمن أظلم ممن كَذَبَ علي الله و كذب بالصدق إذ جاءه ، أليس في جهنم مثوى للكافرين)

و من الآية ١٣٦ من سورة النساء :

(يا أيها الذين آمَنوا أَمِنو بالله و رسوله و الكتبَ الذي نزلّ علي رسوله و الكتب الذي أنزَل من قبل ، و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)

و الآية ١٤ من سورة الأنعام:

(قل أغير الله أتخذ وليا ، فاطر السموات و الأرض و هو يُطعِمُ و لا يُطْعَمْ ، قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم و لا تكونن من المشركين)

و إلي الذين لا يؤمنون بالله

و هل لهم كتاب أو اثر في ألأرض يدلهم علي ذلك ؟!!

يقول القرآن الكريم بالآيتين ٤، ٥ من سورة الأحقاف :

(قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات أتوني بكتب من قبل هذا أو أثره من علم إن كنتم صادقين)

و من سورة الطور الآيتان ٣٥، ٣٦ :

(أم خُلقُوا من غير شيء أم هم الخالقون)

(أم خلَقُوا السموات و الأرض بل لا يوقنون)

و من سورة الروم الآية ٤٠ :

(الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، سبحانه و تعالى عما يشركون)

و من سورة لقمان الآيتان ١٠ ، ١١:

(خلق السموات بغير عمد ترونها ، و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة و أنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضلل مبين)

ثم يرد القرآن الكريم في سورة الكهف الآية ٥١ :

(ما أشهدتم خلق السموات و الأرض و لا خلق أنفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضدا)

و من سورة الذاريات : يقول الحق سبحانه و تعالى مقسما بمعجزة النطق :

(فورب السماء و الأرض ، أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)

سورة فاطر :

(الحمد لله فاطر السموات و الأرض ، جاعل الملائكة رسلاً أولى اجنحة مثنى و ثلاث و رباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ان الله علي كل شيء قدير ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم ، يا أيها الناس أذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الأرض لا إله إلا هو فأنا تؤفكون)

الهدف الأساسي و الأول
من دعوة محمد صلي الله عليه و سلم

أوجزها الله سبحانه و تعالى في قرأنه الكريم بالقول بالآية رقم ٦٤ من سورة آل عمران و ما بعدها

بسم الله الرحمن الرحيم :

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾

و من سورة البينة الاية رقم ٤ :

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

و مما يؤكد أن جميع الأنبياء و الرسل كانت دعواهم إلي عبادة الله الواحد القهار ، إن الله سبحانه و تعالي بعد ما ذكر الأنبياء جميعهم من نوح عليه السلام و حتى محمد صلى الله عليه و سلم قال بالآية رقم ٩٢ من سورة الأنبياء :

إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

إذن فالهدف من هؤلاء الرسل جميعا هو الإبلاغ لبني آدم عن عبادة الله الواحد لا شريك له ، و هو القاهر فوق عباده الرحمن الرحيم .

و جاء في أخر سورة الكهف : قول الله سبحانه و تعالى لخاتم أنبيائه و رسله:

﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

و من سورة الأنبياء الآيات من ٢٥ – ٢٨ قوله سبحانه وتعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾

ثم يقول سبحانه و تعالى مؤكدا ذلك بقوله بالآية رقم ١٨ من سورة آل عمران :

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

و من سورة البينة يكرر هذا القول سبحانه و تعالى :

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

هذه البينة و هذا العلم الذي جاءه علي يد الآية رقم ٢ من سورة البينة .

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾

و الآن فلنراجع فيما سبق متي كتبت الكتب المقدسة الأولي و هي العهد القديم و العهد الجديد و عرف بها الناس لكي يقرؤها و يعملوا بما جاء فيها ؟؟!!

(و انظر شرح ذلك بالآيتين رقم ١٦،١٥ من سورة المائدة)

طريقة الدعوة إلي الإسلام و التي حددها الله سبحانه و تعالى في قرأنه الكريم :

١- يقول سبحانه و تعالى العلي القدير بالآية رقم ٨ من سورة المائدة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ
أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

و من سورة النحل : الآية ١٢٥ :

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

و في الآية رقم ٥٣ من سورة الإسراء :

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ
عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)

٢- من الآية ١٢٥ من سورة النساء .

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)

٣-الآية رقم ٥٢ من سورة إبرهيم :

هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)

٦- و من الآية ١٦١ من سورة الأنعام :

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

٧–و يقول له ربه في سورة يس

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾

٨– و يوضح له سبحانه ما هو المقصود بمعنى رب العالمين : بالآية رقم ٣٦ من سورة الجاثية :

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦﴾

٩– و من سورة العنكبوت : من الآية ٤٦ :

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾

١٠– و من الآية رقم ٦ من سورة التوبة :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾

١١- و من الآية ٤٨ من سورة العنكبوت :

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

١٢ - و من الآية ٥٢ من سورة العنكبوت :

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

١٣- و من الآية ١٢٨ من سورة التوبة :

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

١٤- من سورة النساء الآيات من ١٦٣-١٦٦ يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

و الآيات من ١٢٧ من سورة البقرة و حتى الآية ١٣٦ و الآيتان ٩٧ ، ٩٨ من سورة البقرة و من الآية رقم ١٥ من سورة الشورى

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

نتيجـــــة البحـــــث
عن اللغـــة العربيـــة
بداية – و نـهاية

١. إن القرآن الكريم سبق خلق الإنسان و تعلمه البيان من الله سبحانه و تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (الرحمن علم القرآن... خلق الإنسان علمه البيان) حقا و صدقا .

٢. أن البيان بمعنى نطق الإنسان لإظهار ما يريد و ما يحتاج إليه في حياته الأرضية كان بفضل الله سبحانه و تعالي – الخالق العظيم – و الذي أنطق كل شيء من مخلوقاته . (كل قد علم صلاته و تسبيحه) و يعترف بذلك الكاتب الأمريكي:

حيث يقول في كتابه أن البيان و الكلام هو هدية من الله سبحانه و تعالى .

و يقول القرآن الكريم : (و علم آدم الأسماء كلها) و قول الملائكة لله سبحانه و تعالى (لا علم لنا إلا ما علمتنا)

٣. أن اللغة العربية هي كما أوضح الكاتب الأمريكي – السابق الإشارة إليه – هي اللغة التي كتب بها آدم عليه السلام كلمة " ذهب " " **Zahab** " بالإشارة إلي معدن الذهب و كلمته " قنينة " علي ما يدل علي " الزجاجة"

٤. أن الوسيلة الوحيدة لتعلم إحدى اللغات أو النطق بها ليس هناك إلا طريقا واحد هو " الإستماع " لمن ينطق بها . (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة و تعيها أذن واعية) من سورة الحاقة الآية رقم ١٢.

٥. يقول العهد القديم (التوراة) أن الله هو الذي فرض تعبير اسم إبرهيم عليه السلام بدلا من " أبرام " و كذلك أسم " ساراي " زوجته إلي " سارة " و لم يذكر اسم " آرام " مرة أخرى و لا اسم " ساراي" .

٦. و كان أسم " إبرهيم " عليه السلام في كل الكتب المقدسة من توراة و إنجيل و قرآن و كذلك أسماء أبنائه عليهم السلام إسماعيل و إسحق و يعقوب حفيده من إسحق و الذي سماه الله بعد ذلك " إ سرائيل " هي الأسماء الدالة علي نزول هذه الكتب من الله سبحانه و تعالى و جميعها كما نلحظ باللغة العربية و ليست بأي لغة أخرى. (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) الآية ١٩٧ من سورة الشعراء.

٧. قال الله سبحانه في قرآنه الكريم – أن إبرهيم عيه السلام – لم يكن يهوديا و لا نصرانيا و لكن حنيفا مسلما.

٨. و الدليل الذي أورده أو ذكره الله علي ذلك أن التوراة و الإنجيل لم تنزل إلا بعد نزول إبرهيم عليه السلام بفترة زمنية طويلة.

٩. فرض الله أسم إبرهيم عليه السلام علي كتبه السابقة للقرآن ليكون آية علي نزول كتابه الأخير – القرآن الكريم – علي خاتم رسله عليهم جميعا السلام – و الله أعلم بمراده – ليكون علامة لبني إسرائيل أنه الكتاب الخاتم و أن رسوله محمد صلي الله عليه و سلم هو الرسول المصطفى من الله سبحانه و تعالى ليكون خاتم رسله إلي هذه الدنيا و ليظهره علي الدين كله و كفى بالله شهيدا.

﴿إ إن هذا القرآن يقص علي بني إسرائيل أكثر الذي كانوا فيه يختلفون ﴾ و من سورة الشعراء الآية ١٩٧ ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾

١٠. أ- لذلك نجد أن هناك أكثر من تفسير للآية الكريمة في أول سورة الرحمن ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ في أول سورة من سور القرآن الكريم نزلت علي رسول الله صلى الله علية و سلم هي و سورة العلق . نجد أن لفظة العلم جاءت كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾

و المعنى هنا (علم بالقلم أي الخط بالقلم علمه للإنسان و لم يعلمه قبل ذلك لأي من مخلوقاته سوى الملائكة البررة الكرام و يقال علم الإنسان يعني آدم ، علمه أسماء كل شيء ما لم يعلمه قبل ذلك .

ب – ثم نجد لفظة (علم) في قوله سبحانه و تعالى في سورة البقرة الآية ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ حيث يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسماهم ، قال الم اقل لكم إني أعلم غيب السموات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون ﴾

و علم آدم الأسماء كلها أسماء الملائكة و ذريته و أسماء الدواب كلها في الأرض و قد شـــرح ســـبحانه و تعـــالى المعـــني المباشـــر عنـــد قولـــه ســـبحانه :

(قال يا آدم أنبئهم (أي أخبرهم) بأسمائهم فلما أنبئهم (أي أخبرهم بأسمائهم)
(قال ألم اقل لكم إني اعلم غيب السموات و الأرض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون)

ج – و من سورة الشعراء الآية ١٩٧ : قوله سبحانه و تعالى :

(أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) و المعنى هنا (أولم يكن لهم) أي لأهل مكة (آية) أي علامة لنبوة محمد عليه الصلاة و السلام (تفسير ابن عباس من كتاب تنوير المقياس) (أن يعلمه) أن يخبرهم (علماء بني إسرائيل) حيث سألوهم عن محمد صلي الله عليه و سلم و القرآن فأخبروهم بذلك . و في نفس هذا المعنى جاء بشرح معنى كلمة علم من المعجم الوجيز عن مجمع اللغة العربية سنة ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣م أي (عَلّم) أي له علامة أو جعل له أماره يعرفها أو جعله يتعلمه عند القول (علم فلانا الشيء).

د– و من كتاب تفسير القرآن للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (طبعة جديدة مصححة) عن دار المعرفة – بيروت – لبنان) (ابن كثير /٤/دار المعرفة) ص ٢٨٩ من سورة الرحمن : و التفسير : يخبر سبحانه و تعالى عن فضله و رحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن و يسر حفظه و فهمه على من رحمه تعالى : فقال تعالى (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان) قال الحسن يعني النطق و قال الضحاك و قتادة و غيريهما يعني الخير و الشر و قول الحسن هنا أحسن و أقوى لأن

السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته و إنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق و تسهيل خروج الحروف من مواضعها بين الحلق و اللسان و الشفتين على اختلاف مخارجها و أنواعها.

هـ- و من مجموعة " مع أعلام المفسرين (١٧) من كتاب صفوة التفاسير (تفسير جزء الذاريات) تأليف محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الإسلامية (مكة المكرمة - جامعة أم القرى) و هو تفسير للقرآن الكريم جامع بين المأثور و المعقول مستمد من أوثق كتب التفسير " الطبري ، و الكشاف ، و القرطبي ، و الألوسي ، و ابن كثير ، البحر المحيط و غيرها بأسلوب ميسر ، و تنظيم حديث مع العناية بالوجوه البيانية و اللغوية كما يقول المؤلف .

يقول المؤلف في شرح أول سورة (الرحمن) سورة الرحمن من السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية و هي كالعروس بين سائر السور الكريمة، و لهذا ورد في الحديث الشريف : لكل شيء عروس و عروس القرآن سورة الرحمن .

ثم يضيف سيادته : ابتدأت السورة بتعديد آلاء الله الباهرة، و نعمه الكثيرة الظاهرة على العباد التي لا يحصيها عد و في مقدمتها " تعليم القرآن "بوصفه المنة الكبرى على الإنسان.

فسبق في الذكر خلق الإنسان ذاته و تعليمه البيان (الرحمن، علم القرآن ، خلق الإنسان، علمه البيان) ثم فتحت السورة صحائف الوجود الناطقة

بآلاء الله الجليلة و آثاره العظيمة التي لا تحصى ، الشمس و القمر و النجم و الشجر و السماء المرفوعة بلا عمد و ما فيها من عجائب القدرة و غرائب الصنعة .

و- و من كتاب التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور/محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر. الطبعة الثانية - الجزء السادس و العشرون :-

يقول في التفسير: افتتحت السورة بهذا الاسم الجليل لله - عز و جل - و هو لفظ مشتق من الرحمة ، و صيغته الدالة على المبالغة تنبه إلى عظم هذه الرحمة و سعتها ، و هذا اللفظ مبتدأ و ما بعده إخبار له.

و يضيف : ثم بين سبحانه مظاهر قدرته و نعمته على عباده بأجل النعم و أعظمها شأنا فقال (علم القرآن) و القرآن هو أعظم وحي أنزله سبحانه على أنبيائه و رسله . أي علم نبيه صلى الله عليه و سلم القرآن الذي هو أعظم النعم شأنا و أرفعها مكانا إذ بإتباع توجيهاته و إرشاداته يظفر الإنسان بالسعادة الدنيوية و الأخروية.

و لفظ القرآن هو المفعول الثاني لعلم و المفعول الأول محذوف. و هذه الآية تتضمن الرد على المشركين الذين زعموا أن هذا القرآن قد تعلمه الرسول صلى الله عليه و سلم من البشر - كما حكى سبحانه - عنهم في قوله : (وقد نعلم إنهم يقولون إنما يعلمه بشر) الآية ١٠٣ من سورة النحل.

و في قوله ﴿ و قال الذين كفروا إن هذا إلا إفك إفتراه و أعانه عليه قوم آخرون﴾ الآية ٤ من سورة الفرقان . كما تتضمن الرد عليهم لزعمهم إنهم لا يعرفون الرحمن كما في قوله ﴿ و إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا و ما الرحمن ﴾ الآية ٦٠ من

سورة الفرقان و قوله تعالى (خلق الإنسان، علمه البيان) بيان لنعمتين أخريين من نعمه سبحانه .

ثم يقول سيادته – رحم الله تعالى صاحب الكشاف فقد صور هذه المعاني بأسلوبه الرصين فقال : عدد الله عز و جل آلائه فقدم ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه و أصناف نعمائه و هي نعمة الدين، و قدم من نعمة الدين ما هو أعظم وحي الله درجة ، و أعلاها منزلة و أحسنه في أبواب الدين أنها وهو سنام الكتب السماوية و مصداقها ، و آخر ذكر الإنسان عن ذكره ثم اتبعه إياه ليعلم انه إنما خلقه ، و ليحيط علما بوحيه و كتبه و ما خلق الإنسان من اجله .

ثم ذكر ما تميز به الإنسان عن سائر الحيوان من البيان و هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير .

و لفظ الرحمن مبتدأ و هذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة و إخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد .

و من كتاب " القرآن الكريم و بهامشه تنوير المقياس من تفسير ابن عباس " لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي المتوفى سنة ٨١٧ هـ من دار الإشراق للطباعة و النشر – بيروت – ص.ب:٣٧٧١-١١–لبنان .

بسم الله الرحمن الرحيم : و بإسناده عن ابن عباس : قال : لما نزلت هذه الآية (قل أدعو الله أو أدعو الرحمن) قال كفار مكة أبو جهل و الوليد و عتبة و شيبه و أصحابهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب الذي يكون باليمامة فمن الرحمن

يا محمد ؟!! فانزل الله (الرحمن، علم القرآن) جبريل عليه السلام ، و جبريل محمدا ، و محمد أمته معناه بعث الله جبريل بالقرآن إلى محمد و محمد إلي أمته .

(خلق الإنسان) يعني ادم من أديم الأرض (علمه البيان) ألهمه بيان كل شيء و أسماء كل دابة على وجه الأرض .

و هنا نود أن نشير إلي تفسير جزء الذاريات – و الذي سبقت الإشارة إليه – تأليف محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الإسلامية – مكة – جامعة أم القرى)

في شرح و تفسير " سورة الطور " من نفس الجزء من القرآن الكريم ، يقول الله سبحانه و تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ و الطور و كتاب مسطور ، في رَقٍ منشور ، و البيت المعمور ، و السقف المرفوع ، و البحر المسجور ، إن عذاب ربكَّ لواقع ، ما له من دافع ﴾

يقول : أقسم سبحانه و تعالى بجبل الطور الذي كلم الله عليه موسى ، و أقسم بالكتاب الذي انزله الله على خاتم المرسلين و هذا القرآن العظيم المكتوب " في رق " أي في أديم من الجلد الرقيق " منشور " أي مبسوط غير مطوي و غير مختوم عليه . قال القرطبي :- أقسم الله تعالى بالطور – و هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى – تشريفا له و تكريما و تذكيرا لما فيه من الآيات ، و أقسم بالكتاب المسطور أي المكتوب و هو القرآن – يقرأه المؤمنون من المصاحف ، و يقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ ، و قيل يعني بالكتاب سائر الكتب المنزلة على الأنبياء لان كل

كتاب في رق ينشره أهله لقراءته ، و الرق مارق من الجلد ليكتب فيه (تفسير القرطبي ١٧/ص٥٨) (و البيت المعمور) أي و اقسم بالبيت المعمور الذي تطوف به الملائكة الأبرار ، و هو لأهل السماء كالكعبة المشرفة لأهل الأرض . و في حديث الإسراء " ثم رفع إلى البيت المعمور ، فقلت يا جبريل ما هذا ؟! قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه (أخرجه مسلم في صحيحه) و قال ابن عباس : هو بيت السماء السابعة حيال الكعبة – أي يقابلها – تعمره الملائكة يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه . (و السقف المرفوع) أي السماء العالية المرتفعة الواقعة بقدرة الله بلا عمد ، و سمي السماء سقف لأنها للأرض كالسقف للبيت و دليله (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) و قال ابن عباس : هو العرش و هو سقف الجنة (و البحر المسجور) أي البحر المسجور الموقد نارا يوم القيامة ، كقوله سبحانه (و إذا البحار سجرت) أي أضرمت حتى تصير نارا ملتهبة تتأجج ، تحيط بأهل الموقف (إن عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم أي ان عذاب الله لنازل بالكافرين لا محالة .

و قال ابن الجوزي : اقسم الله تعالى بهذه الأشياء الخمسة للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أن عذاب المشركين حق (زاد المسير ٢٤٨/٨) و هنا نشير إلى الآيات القرآنية أرقام ١٦٣،١٦٤،١٦٥ ، ١٦٦ من سورة النساء .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)

و من سورة البقرة الآيات ٩٧ – ١٠١ :

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

و من سورة النجم : بسم الله الرحمن الرجيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾

و في التفسير يقول أي أقسم بالنجم وقت سقوطه من العلو ، قال أبن عباس : أقسم سبحانه بالنجوم إذ أنقضت إثر الشياطين حين استراقها السمع (هذه إحدى الروايات عن أبن عباس) و عنه أن المراد بالنجم (الثرية) إذا سقطت مع الفجر . و قال الحسن المراد في الآية النجوم إذا انتشرت يوم القيامة كقوله ﴿إذا الكواكب انتثرت ﴾ قال أبن كثير: الخالق يقسم بما شاء من خلقه و المخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق (مختصر تفسير أبن كثير ٣ / ٣ / ٣٩٦) (ما ضل صاحبكم) أي ما ضل محمد صلي الله عليه و سلم عن طريق الهداية و لا حاد عن نهج الاستقامة . (و ما غوى) أي و أعتقد باطلا ، بل هو في غاية الهدى و الرشد . (و ما ينطق عن الهوى) أي لا يتكلم صلي الله عليه و سلم عن هوى نفسي و رأي شخصي (إن هو إلا وحي يوحى) أي لا يتكلم إلا عن وحي من الله عز و جل . قال البيضاوي : أي ما القرآن إلا وحي يوحيه الله إليه.

(علمه شديد القوى) أي علمه القرآن ملك شديد قواه هو جبريل الأمين ، قال المفسرون : و مما يدل علي شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط و حملها علي جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها، و صاح بثمود فأصبحوا خامدين ، و كان هبوطه

بالوحي علي الأنبياء أو صعوده في أسرع من رجعة الطرف ، (ذو مرة فاستوى) أي ذو حصانة في العقل و قوة في الجسم.

نجد في هذه السورة أن الذي علم القرآن لرسول الله صلي الله عليه و سلم هو جبريل عليه السلام . (و أنظر و اقرأ سورة النجم) حيث يقول الله سبحانه و تعالى في أولها:

بسم الله الرحمن الرحيم : (و النجم إذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى)

و يقول التفسير أن الله سبحانه و تعالى يقسم هنا بالنجم إذا سقط من أعلى و هل يستطيع النجم أن يهوي أو يسقط إلا بأذن الله سبحانه و تعالى و بعد أن يستوفي أجله .

و الله يقول في آية أخرى من القرآن الكريم في سورة الأنعام من الآية رقم ٥٩ :

(و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها)

و من سور فاطر الآية ٤١ :

(إن الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا ، و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا)

و من سورة الحج الآية ٦٥ :

(و يمسك السماء إن تقع علي الأرض إلا بأذنه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم)

و هنا نوضح حقيقة علمية و هي أن القسم الذي جاء ذكره في أول السورة لم يكن بالكواكب التي قال عنها سبحانه أنها :

﴿ كانت رجوما للشياطين﴾ و التي أشار إليها في سورة الإنفطار بالقول الآية رقم ٢ ﴿ إذا الكواكب انتثرت ﴾ فالنجم جسم مضيء ملتهب و أصغر النجوم و أقربها إلينا هو نجم الشمس فلو سقط هذا النجم علي الأرض لاحترقت و هو أي النجم غير الكواكب كما نعرف فهنا يقسم الله و – هو أعلم بما خلق – بشيء يستحيل وقوعه إلا بأذن سبحانه و تعالى و ذلك دليلا علي عظم القسم و علي عظيم المقسوم عليه وعظيم المقسوم به. و هنا نذكر الآية رقم ١٦ من سورة النحل :﴿ و علامات و بالنجم هم يهتدون ﴾ و كان القرآن الكريم أول كتاب ديني يدعو إلي القراءة و الكتابة يقول في أول سورة العلق ﴿ اقرأ باسم ربك الذي الخلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم ، الذي علم بالقلم و علم الإنسان ما لم يعلم ﴾

و في سورة القلم : ﴿ ن ، و القلم و ما يسطرون ﴾

و من سورة البقرة : نزل الأمر بالكتابة و وجوب تعلمها عندما ذكر موضوع الوصية في الآية ٢٨٢ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلي أجل مسمى فاكتبوه، و ليكتب بينكم كاتب بالعدل و لا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ﴾

و هنا ما يجعلنا أن نقول أن الله سبحانه و تعالى إنما أراد بقوله

في أول سورة الرحمن بعد قوله سبحانه ﴿الرحمن علم القرآن ﴾ ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ و هنا نقول أن الله سبحانه و تعالى إنما أراد – و الله أعلم بمراده – بكلمة البيان هو تعليم الإنسان القراءة و الكتابة . بينما علم جميع مخلوقاته الكلام تبعا لقوله (قد علم كل صلاته و تسبيحه) بينما تفردت الملائكة و الإنسان بتعلم القراءة

والكتابة . حيث قال في سورة الإنفطار الآيات ١٠ – ١٢ (و إن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون)

و أنظر يا أخي ماذا فعلت القراءة و الكتابة و العلم بالآخرين الذين أخذوا أنفسهم بما أمر به الله في قراءته. بينما ابتعدنا نحن عن تنفيذ أوامر الله !!! بالابتعاد عن القراءة و العلم و المنهج العلمي الذي سبق ذكره في القرآن الكريم .

و كان الله سبحانه و تعالى هو أول من حث علي تتبع أثار الأقدمين في قرأنه الكريم بقوله سبحانه بالآية رقم ٣٦ من سورة (ق) : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ و كم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا ، فنقبوا في البلاد هل من محيص ﴾ (محيص = مهرب)

و كانت قمة رضاء الله علي نبيه و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم عندما نزلت عليه سورة الإسراء بعد حادثة الإسراء التي شكك فيها المشركون و اليهود فكانت كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾

ثم أنزل له خبر الإفسادتين التي وعد بهما اليهود و لم يكن يعلمهما أحد غيرهم في ذلك الوقت لتكون دليلا علي صدق الحدث .

ثم يشرح الله سبحانه و تعالى معني كلمة (سبحان) التي وردت في أول السورة بالقول ثانية بالآيتين ٤٣، ٤٤ من سورة الإسراء و هي نفس السورة :

﴿ سبحانه و تعالى عما يقولون علوا كبيرا ، تسبح له السموات السبع و الأرض و من فيهن ، و إن من شيء إلا يسبح بحمده ، و لكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا ﴾

ثم يوضح الله معنى و مغزى كلمة (بعيده) التي ذكرت في أول السورة بالقول في نفس السورة ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، و كفى بربك وكيلا ﴾ الآية رقم ٦٥ .

ثم يأمره ربه و ربنا إذ بقول الله له : ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ الآية رقم ٩٦ من سورة الإسراء

ثم يقول الله له بالآيتين ١٠٥ ، ١٠٦ ﴿و بالحق أنزلناه و بالحق نزل ، و ما أرسلناك إلا مبشرا و نذيرا ، و قرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث و نزلناه تنزيلا ﴾

و أخيرا الآية رقم ٨٤ من سورة آل عمران

﴿ قل آمنا بالله و ما أنزل علينا و ما أنزل علي إبرهيم و إسماعيل و إسحق و يعقوب و الأسباط و ما أوتي موسى و عيسى و النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون﴾

هذا هو ما يؤكد أن الرسل جميعهم من الله الواحد الأحد .

ثانيا: إن ما أنزل علي إبرهيم – الذي فرض أسمه بالعربية – علي آله و صحبه بالعربية (أي اللغة العربية) كما يقول العهد القديم و حيث يؤكد الله سبحانه و تعالى

أنه كان حنيفا مسلما حيث لم تنزل التوراة و الإنجيل إلا من بعده بمئات السنين فكانت صحف إبرهيم و موسى و عيسى بالعربية لغة حيث قال سبحانه :

﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ و قال ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾ و يوضح سبحانه و تعالى معني (الذكر) الذي يشمل كل الكتب السماوية بقوله في سورة النحل الآيتين ٤٣ ، ٤٤ بالنص الأتي :

(و ما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ، فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، بالبينات و الزبر و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون) و كان تفسير أبن عباس كما يأتي: (فسئلوا أهل الذكر) أهل التوراة و الإنجيل ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ إن الله لم يرسل الرسل إلا إنسيا ، ﴿ بالبينات ﴾ بالأمر و النهي و العلامات ﴿ و الزبر﴾ خبر كتب الأولين ﴿ و أنزلنا إليك الذكر﴾ جبريل بالقرآن (لتبين للناس ما أرسل إليهم) ما أمر لهم في القرآن و ذلك من كتاب القرآن الكريم و بها هشة تنوير المقياس من تفسير أبن عباس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي عن دار الإشراق.

و من كتاب (المصحف المفسر) للأستاذ / محمد فريد وجدي عن مطابع دار الشعب : يقول في تفسير الآيتين السابقتين : (وما أرسلنا إلي الأمم من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم لا ملائكة فسئلوا أهل الكتب السماوية إن كنتم لا تعلمون ذلك . أرسلناهم بالآيات الواضحات و الكتب و أنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما أنزل إليهم لعلهم يتفكرون.

إذن كان إبرهيم حنيفا مسلما يتلو ما نزل إليه من الذكر العربي بلسان قومه العربي حيث قال سبحانه من سورة الزخرف

﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون و إنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم . أفنضرب عنكم الذكر صفحا إن كنتم قوما مسرفين ﴾

و هنا أيضا يوضح تفسير أبن عباس – ما سبقت الإشارة إليه في تفسيره في كتابه السابق : بالقول : أفنرفع عنكم الوحي و الرسول يا أهل مكة (صفحا) أو نترككم هملا بلا أمر أو نهي (إن كنتم قوما مسرفين) بأن كنتم قوما مشركين لا تؤمنون بعلم الله .

و ذلك في سورة الزخرف الآيات ٣ – ٥ :

و عن نتيجة البحث في هذا الموضوع

حيث أنه قد تأكد من هذه القراءة المطولة أن اللغة العربية الفصحى (لغة القرآن الكريم) أنها اللغة الأم لكل هذه اللغات العالمية ، و أنها اللغة التي سبقت كل اللغات الي عالم الوجود حيث اختارها الله سبحانه و تعالى لغة عالمية لقرأنه الكريم و ذكره الحكيم الذي أنزله على جميع رسله و قال عنه في كتابه الكريم – القرآن الكريم – وصدق الله العظيم :

في أول سورة الزخرف :

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

ثم قوله سبحانه و تعالى في أول سورة الرحمن :

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾

و كانت تسمية الله سبحانه و تعالى لخليله إبرهيم عليه السلام و التي فرضها في جميع كتبه المترلة من توراة و إنجيل و قرآن دليلا ساطعا على ذلك و كذلك أسماء رسله و أنبيائه .

و كان أوضح دليل هو اعتراف المعترض الوحيد بذلك و هم بني إسرائيل كما ثبت من هذه الدراسة لقراءة كتب التاريخ .

و كان قول الله سبحانه و تعالى في ختام سورة البقرة : من الآيات ٢٨٥ :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

ثم يأمر رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه و سلم في الآيات من ١١-١٥ من سورة الزمر :

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾

ثم قوله سبحانه بالآية ١٨ من نفس السورة (سورة الزمر)

ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾

ثم يقول بالآية رقم ٥٤ من ذات السورة :

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

صدق الله العظيم و صدق رسوله الكريم و ختاما نقول كما أوحى ربنا علي لسان رسوله :

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

و الحمد لله رب العالمين

و الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

صدق الله العظيم





رقم الإيداع ٢٠٠٣/٥٩٠٢

دار الزعيم للطباعة الحديثة
ت : ٥٨٧١٤٣٤

